

الفصل

مجلة ثقافية شهرية
AL FAISAL MAGAZINE

ISSUE 52 AUGUST 1981

الفصل العدد (٥٢) - شوال ١٤٠١ هـ السنة الخامسة - آب (أغسطس) ١٩٨١ م



الفصل

رئيس التحرير
علي طه الصافي

مجلة ثقافية شهرية
تصدر عن
دار الفیصل الثقافية

١٩٨١ هـ

العدد (٥٩) شوال ١٤٠٢ هـ

العدد

العدد (٥٩) شوال ١٤٠٢ هـ

- ٤ من كتاب هذا العدد
- ٥ الحركة الثقافية في شهر
- المفهوم الإسلامي للطفولة واتجاهات التربية الحديثة
- ١٩ (بمناسبة القرن الخامس عشر الهجري) د. محمد سلامة آدم
- ٢٤ ازواج الفصحى أحمد عبد القفور عطار
- شعراء من السعودية (النزار الوجداني) ..
- ٢٦ في شعر عبد الله الفيصل) د. يوسف نوفل
- ٣١ تكنولوجيا المعلومات في شؤون الحياة د. سعد الحاج بكري
- ٣٥ القنفذة (مدينة وتاريخ) حسن إبراهيم الفقيه
- ٥١ لغاء مع (د. عبد الكريم خليفة) إعداد: عيسى حسن الجراحرة
- الانتماءات الحديثة في علاج التخلف العقلي
- ٥٩ (بمناسبة العام الدولي للمعوقين) د. محمد فرغلي فراج
- ٦٤ جنة الصحراء (قصيدة) علي دمر
- ٦٦ اللغة الشعرية هدية الأبوسي
- ٧١ بين شاعرين (شارل بودلير - إبراهيم عبد القادر المازني)
- ٧٤ ابن ياديس .. رائد الإصلاح الإسلامي والتربية في الجزائر د. تركي رايح
- ٨٢ ابتلالات في طرب (قصيدة) علي عبد الفتاح عيسى
- زحف الفارات .. (رحلة في كتاب) عرض وتقديم:
- ٨٣ د. أحمد عبد القادر المهندس
- ٩١ القبلة .. والأجيال القادمة (موضوع خاص) د. أحمد محمد غندور
- ١٠٠ منظر طبيعي قرب ميتون (لوحة وفنان) أوجست رينوار
- ١٠٣ لاوس (من عادات الشعوب)
- ١٠٧ حماسيات ... (قصيدة) عثمان بن سيار
- ١٠٨ رسام الطفولة المشرقة (موريلو) محمد غالب سالم
- ١١٩ ناموس كوني .. جوهر التجدد! عبد الحسن صالح
- ١٢٣ آلان روب جرييه .. وموجة الرواية الجديدة! جلال العشري
- ١٣١ حياة زوجين (قصة) ترجمة: د. عيسى الناعوري
- ١٣٣ صغبر على الهم (قصة) فاضل السباعي
- ١٣٧ العبدية (قصة) عبد الله عمر باحکم
- ١٣٩ كتاب الحيوان للحافظ (من كتب التراث) إعداد وعرض: رقية صالح طه
- ١٤٢ دائرة المعارف (الذرية)
- ١٤٨ مناقشات وتعليقات
- ١٥١ مسابقة مجلة الفصل



★ «زحف الفارات» ..

كتاب يحكي بإيجاز ملامح من النظرية القديمة الجديدة (زحف الفارات)، على شكل قصة بوليسية علمية، ويصف خطوة بخطوة الأدلة العلمية التي تثبت نظرية زحف الفارات. خلاصة هذه النظرية في كلمات:

«الفارات في حالة زحف، ونزوح، وانفصال، وانتقال من مكان إلى آخر». طالع ص (٨٣) ★



★ مدينة هامة على الساحل الغربي بالملكة العربية السعودية، عاشت حياة تجارية وحضارية، واتخذت باباً بحرياً للمنطقة النهامية والسروية ومدخلًا لتجارة وحجاج اليمن والمند إلى مكة المكرمة. وهي اليوم نشهد حركة عمرانية وتعليمية وثقافية نأخذ بيدها لنلحقها بركاب أمهات المدن السعودية. إنها مدينة «القنفذة». طالع ص (٣٥) ★



★ كما يتجدد النوع من خلال التزاوج بين الأفراد، كذلك يجدد الجسم ذاته ويعوض ما يفقد من خلاياه وأنسجته. إلا أن بعض هذه الخلايا لا تعمر في داخلنا نفس السنين التي نعيشها .. بل تموت كل يوم بعشرات الملايين، ولو استمرت هذه العملية دون تجديد أو تعويض .. فقل على حياتنا السلام! طالع ص (١١٩) ★



★ من مواليد منفلووط - مصر
عام ١٩٣٧ م .

★ دكتوراه في علم النفس .
★ عمل أستاذاً مساعداً
بجامعة القاهرة ، وأخصائياً نفسياً
أكلينيكياً بمستشفى «ميهان»
بالقاهرة ، وأخصائياً نفسياً
بالتدريب المهني (وزارة الصناعة)
مصر ، وأخصائياً نفسياً أكلينيكياً
باليوالات المتحدة الأمريكية .

★ يعمل حالياً أستاذاً مشاركاً
في علم النفس - كلية التربية -
أوهايو .

★ اشترك في عدة مؤتمرات
لعمل النفس .

★ له عدد من المؤلفات في علم النفس ، إلى جانب عدد من البحوث والمقالات العلمية .

★ عضو في جمعية علم النفس
المصرية ، وجمعية علم النفس



الجزائرية في جبهة التحرير الجزائرية
(الوفد الخارجي).

★ عضو الأمانة العامة لاتحاد
التربويين العرب - بغداد .

★ يعمل حالياً أستاذاً لأصول التربية والتخطيط التربوي في جامعة الجزائر .

★ له ثمانية مؤلفات منها
خمسة تحت الطبع ، وله دراسات
نشرتها المجلات العربية .

☆ عضو اتحاد الكتاب
الجزائريين .



100

★ خريج كلية اللغة العربية
بجامعة الأزهر عام ١٩٥٥ م .

★ يدرس اللغة العربية منذ ربيع قرن .

☆ له ستة دواوين مطبوعة
أولها (رعشات) عام ١٩٤٦ م،
وآخرها (إشراق الغروب) عام
١٩٧٨ م، وله شعر كثير لم يطبع



★ من مواليد « يبة
الساحلية » - ضواحي مدينة
القنفذة في المملكة العربية السعودية
عام ١٣٥٨ هـ .

★ بكالوريوس آداب ، وبعد
للمهاجستير في النحو العربي .

★ عمل مدرساً ، فديراً
لمدرسة ابتدائية ، ثم متوسطة ،
لمساعد مفتش .

★ يعمل حالياً مفتشاً مركزياً
في مديرية تعليم منطقة القنفذة .

★ يعد دراسة عن الآثار في
تهامة .



☆ من مواليد اللاذقية -
سورية ، عام ١٩٤٧ م .

★ دكتوراه في هندسة أنظمة
الحاسبات والاتصالات (جامعة
آسبن في برمنجهام - إنجلترا).

★ عمل مدرساً (غير متفرغ)
في قسمي الهندسة الكهربائية
والدراسات التكميلية بجامعة

* * من خلال هذا «الملف» سوف نحاول رصد الحركة الثقافية من اصدارات جديدة .. وندوات .. ومؤتمرات .. ومعارض .. ومناسبات .. وأحداث ثقافية .. وادبية .. وفنية بصورة نطمح أن تكون مسحاً شهرياً لمجريات الحركة الثقافية ليس في «الوطن العربي» فحسب ، بل في «العالم» الانساني .
أملنا أن نجد من المؤسسات العلمية .. والتربوية .. والفنية .. الى جانب الأدباء .. والمفكرين كل عون في إمدادنا بالجديد الدائم من النشاطات لتحقيق الأهداف التي تسعى اليها المجلة لخدمة القارئ .. لإضافتها الى ما يرودنا به مندوبونا ، والله الموفق * *

- موسوعة جديدة عن الصحافة ستصدر في الرياض .
- معرض متنقل عن الثقافة العمانية .
- اكتشافات أثرية في كل من مصر والإمارات العربية المتحدة .
- ندوة عالمية عن الآثار الفلسطينية بجامعة حلب .
- العثور على مخطوطة لجابر بن حيان بالكويت .
- «الفهرست» و«شؤون عربية» مجلتان جديدتان ، الأولى في بيروت والثانية في تونس .

- المعرض الثاني عن عسير يقام في جنيف .
- صدور كتاب في الهند عن قصة «الفضة عبر التاريخ» .
- العثور على مخطوطة عربية في روسيا .
- اكتشافات أثرية في كينيا وتركيا .
- وفاة المؤرخين الفرنسيين فرانسوا بورد ، وموريس بومون .



★ قاسم حذاد ★



★ عزيز صباه ★

المعاصرة في دول الخليج ، شارك فيها ممثلون عن الدول الأعضاء والممثلة في دول الإمارات العربية المتحدة والكويت وقطر والعراق والبحرين وسلطنة عمان ، بالإضافة إلى المملكة العربية السعودية . وتهدف هذه الندوة إلى دراسة الواقع الثقافي لدول الخليج وتبادل وجهات النظر في واقع الحركة الثقافية فيها وتنمية الثقافة العربية الإسلامية ونشرها .

تعليمات الحج

اهتماماً بوفود بيت الله الحرام فقد أصدرت وزارة الحج والأوقاف كتاباً يحتوي على الأسس والأحكام العامة التي ينبغي للحاج أن ينفذها وأن يكون على علم بها ، وكذا ذوي العلاقة بالحج وخدمة الحاج .

* كتب جديدة *

- «أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر الهجري» ، جمع ودراسة محمد علي مغربي ، صدر عن إدارة النشر بتهامة ضمن سلسلة «الكتاب العربي السعودي» .
- «نبت الأرض» ، تأليف الدكتورة فائدة أمين شاكر ، صدر عن إدارة النشر بتهامة ضمن سلسلة «الكتاب العربي السعودي» .
- «القواعد والنظريات الموسيقية» ، تأليف حمزة حمد البشير ، صدر عن الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون ، توزيع مؤسسة الجريسي .
- «دورة مع الشمس» ، مجموعة مقالات وضعت في كتاب تأليف عبد الكريم الجهيمان ، صدر عن جمعية الثقافة والفنون بالرياض .
- «ضياء» ، مجموعة شعرية للشاعر ماجد الحسيني ، صدرت عن النادي الأدبي بالرياض .
- «النشيرة والقصيدة المضادة» ، تأليف محمد ياسر شرف ، صدر عن النادي الأدبي بالرياض .
- «تأملات بين الفكر والمجتمع» ، مجموعة مقالات وضعت في كتاب ، تأليف عبد الله بوقري ، صدر عن نادي الطائف الأدبي .

موسوعة جديدة في الصحافة

ستتولى (دار الرفاعي) للنشر بالرياض نشر موسوعة جديدة تحمل عنوان «دراسة في الصحافة الأدبية» وذلك بالاتفاق مع المؤلف الدكتور سيد محمد سيد أستاذ الصحافة بجامعة الرياض . وتتكون هذه الموسوعة من عدة مجلدات ستنشرها دار الرفاعي خلال عدة سنوات منها :

- ★ «الزيات والرسالة» .
- ★ «هيكل والسياسة الأسبوعية» .
- ★ «حمد الجاسر وصحافته الأدبية» .
- ★ «عبد الحميد بن باديس وصحافته الأدبية» .

وستغطي هذه الموسوعة أبرز الصحف الأدبية التي صدرت في الوطن العربي بعد الحرب العالمية الأولى وكانت ذات أثر بالغ في الصحافة والأدب ، وتعد هذه الموسوعة الثانية في تاريخ الصحافة ، فقد سبقها موسوعة الدكتور عبد اللطيف حمزة التي شملت سبعة مجلدات عن الجرائد اليومية بمصر .

نادي الطائف والمسابقة الثقافية

أعلن نادي الطائف الأدبي عن مسابقته الثقافية الخامسة لعام ١٤٠١ هـ ، وذلك في مجال (القصة القصيرة) ، (الشعر) ، (البحث والمقالة) ، (الرسم والنحت) . وقد اشترط النادي في ذلك شروطاً عدة أهمها :

- ★ الحدائة في كل لون .
- ★ آخر موعد ١٤٠١/١١/٣٠ هـ .
- وضع لكل لون من تلك الألوان شروطاً معينة . وقد رصدت جوائز قيمة للفائزين بهذه المسابقة .

الواقع الثقافي الخليجي في ندوة

نظم مكتب التربية العربي لدول الخليج بالرياض الندوة الثانية لدراسة واقع الثقافة العربية الإسلامية واتجاهاتها

● «دراسة في السياسة الداخلية للمملكة العربية السعودية»، تأليف السيد أحمد حسن دحلان، صدر عن دار الشروق بجدة.

● «بناء المجتمع الإسلامي ونظمه - دراسة في علم الاجتماع الإسلامي»، للدكتور نبيل محمد توفيق السالموطي، صدرت عن دار الشروق بجدة.

● «إمارة آل الرشيد»، بحث علمي أعده الدكتور عبد الله صالح العثيمين، صدر عن عمادة شؤون المكتبات بجامعة الرياض.

● «المعايير التخطيطية للخدمات التجارية»، صدر عن وكالة وزارة الشؤون البلدية والقروية لشؤون تخطيط المدن.

كما صدرت الكتب التالية عن (تهامة) ضمن سلسلة الكتاب العربي السعودي وسلسلة الكتاب الجامعي:

★ «النجم الفريد»، مجموعة قصصية ترجمة عزيز ضياء «سلسلة الكتاب العربي السعودي».

★ «الملاحم الجغرافية لدروب الحجيج»، تأليف سيد عبد المجيد بكر.

أسبوع ثقافي

أقامت كلية الخليج التكنولوجية أسبوعاً ثقافياً اشتمل على أمسية شعرية أحيائها كل من:

★ الشاعر علي عبد الله الخليفة.

★ والشاعر قاسم حداد.

وكذلك على ندوة حول الصحافة حاضر فيها الدكتور هلال الشايجي والسيد علي سيار، وندوة أخرى عن (المرأة) تحدثت فيها كل من سلوى الجابر، وهدي المحمود، وبعد هذا الأسبوع من نشاطات الكلية التي تقيمها كل سنة.

معرض الربيع

أنيم في (المنامة) معرض الربيع للفنون التشكيلية وذلك تحت إشراف جمعية الفن المعاصر البحرينية، اشترك فيه أكثر من أربعين فناناً بأعمال مختلفة.

* كتب جديدة *

● «تقاسيم ضاحي بن وليد الجديدة»، ديوان شعر

(١٠) الحركة الأدبية في المملكة

ونأتي للنقطة الأخيرة من مجموعة النقاط التي حاولنا من خلالها رصد نشاط الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية، هذه النقطة المتمثلة في ظهور عدد من دور النشر السعودية التي استطاعت أن تسهم في طبع عدد من الأعمال الأدبية والفكرية والثقافية لأقلام سعودية.

ويأتي ظهور دور النشر في وقت ارتفعت فيه الأصوات الأدبية مطالبة بإنشاء دور نشر تتولى طباعة ونشر أعمالها.

ومن دور النشر التي برزت من خلال مجموعة من الإصدارات المختلفة: المكتبة الصغيرة للأستاذ عبد العزيز الرفاعي، ودار ثقيف، مؤسسة تهامة للنشر، دار العلوم، دار المريخ، دار عكاظ، دار الفيصل الثقافية، دار اللواء، هذا إلى جانب دور النشر القائمة منذ عدة سنوات مثل: دار الإمامة للشيخ حمد الجاسر، ودار الشروق للأستاذ محسن باروم، ودار النشر السعودية للأستاذ محمد صلاح الدين.

كما أسهمت النوادي الأدبية في نشاط الإصدارات بشكل ملموس، رغم المأخذ على بعض هذه النوادي من حيث مستوى هذه الإصدارات.

والسؤال: هل استطاعت دور النشر هذه تحقيق الانتشار المطلوب للكتاب السعودي؟

هذا السؤال يطرح قضية التوزيع التي تمثل أكبر عقبة أمام الكتاب السعودي.

والملاحظ أن هذه القضية لم تحل بالصورة التي يتوق إليها الأدباء، فقد قام أغلب نشاط دور النشر، والنوادي الأدبية على التوزيع الداخلي، باستثناء نشاطها الجيد في معارض الكتب داخل المملكة وخارجها.

إذن فقد حققت دور النشر التي قامت الهدافين التاليين:

١ - إصدار مجموعة من الأعمال لأدباء سعوديين، وبعض الأدباء العرب.

٢ - توفير الكتاب السعودي من خلال تمثيلها في معارض الكتب، وقد كانت هذه المعارض تقام في غياب الكتاب السعودي.

وتبقى مشكلة «التوزيع» كقضية عامة لم تتمكن دور النشر من التغلب عليها.. وهي قضية لو خطط لها، وصاحب هذا التخطيط التصميم والإصرار على مواجهتها لأثمرت، وأنت أكلها.

إن دور النشر السعودية بقليل من الاهتمام، والاتصال بدور التوزيع والمكتبات في العالم العربي يمكن أن تحقق للكتاب السعودي الانتشار المطلوب على مستوى جماهير القراء العرب.

ومن المعروف وجود دور توزيع عربية تتطلع إلى توسيع نشاطها سواء بتوزيع الكتاب السعودي في بلدانها، أو توزيع الكتاب العربي في المملكة، وهذا يضع على دور النشر السعودية مسؤولية تاريخية ووطنية، إذ ينبغي عدم الوقوف عند إصدار الكتاب السعودي وتوزيعه في الداخل في وقت تعددت فيه وسائل المواصلات بصورة تجعل قضية توزيع الكتاب السعودي ميسورة وممكنة.. وهذا ما لا يستبعد على طموح وهمة دور النشر السعودية.

ونأمل بهذه الحلقات العشر السريعة أن نكون قد سلطنا الأضواء على بعض جوانب الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية، وهي مجرد محاولة متفائلة ترنو إلى حركة أدبية سعودية فاعلة ومتجاوزة حدودها الإقليمية.. والله الموفق.

علوي طه الصافي



★ علي الشرفاوي ★

وتاريخ التيارات السياسية والمتغيرات الاجتماعية والاقتصادية التي مرت بها المنطقة، وستهم أيضاً بنشر الوثائق والخطوط المهمة التي يضمها المركز عن تاريخ الوطن العربي.

* كتب جديدة *

- «التصريح الأخير للناطق الرسمي باسم نفسه»، مجموعة شعرية للشاعر حبيب الصايغ، صدرت عن مؤسسة الخليج العربي للدراسات والنشر بالتعاون مع دار الكلمة ببيروت.
- «خطوة فوق الأرض»، مجموعة شعرية للشاعرة ظبية خيس، صدرت عن نفس المؤسسة بالتعاون مع الدار اللبنانية.

* كتب جديدة *

- «رعاية الأبناء بين الإسلام وآراء علماء النفس»، دراسة اشترك في إعدادها جمع من أساتذة التراث الإسلامي وعلم النفس، صدرت في «الجزائر» العاصمة.

الندوة العالمية للآثار الفلسطينية

تتقد في شهر ذي القعدة (بجامعة حلب) ندوة عالمية للآثار الفلسطينية. وتعد هذه الندوة هي الأولى من نوعها، وستستمر أسبوعاً. دعي إليها عدد كبير من ذوي الاختصاص ومن لهم اهتمام بالآثار والتاريخ من أساتذة الجامعات والباحثين المشتغلين بالآثار في مختلف بلدان العالم، وذلك بهدف بحث مشاكل الآثار الفلسطينية ووسائل حمايتها وصيانتها والتعريف بها والتأريخ لها، وذلك خلال الفترة من ١١/٢١ إلى ١١/٢٦ لعام ١٤٠١ هـ.

* كتب جديدة *

- «حكاية جسدي»، مجموعة قصصية للقاص جمال

للشاعر علي الشرفاوي، صدر في البحرين.

- «مرايا الظل والفرح»، مجموعة قصص قصيرة لفوزية رشيد، صدرت في البحرين.
- «الرمل والياسمين»، مجموعة قصص قصيرة لعلي عبد الله خليفة، صدرت في البحرين.
- «هذي أنا... القبرة»، ديوان شعر للشاعرة إيمان أسيري، صدر في البحرين.
- «قصص صمد بهرنجي»، مجموعة قصص للأطفال ترجمها عن الفارسية عبد القادر عقيل، وهي من تأليف الكاتب الإيراني صمد بهرنجي.
- «الماء سائل متكامل الصفات»، دراسة للدكتور علي الفيومي، صدرت عن كلية البحرين الجامعية.

معرض للتراث المحلي

أقيم بقاعة المعارض بمركز رعاية الشباب بدولة الإمارات العربية المتحدة معرض للتراث استمر أسبوعاً، وقد احتوى على مختلف أنواع الأشغال اليدوية المرتبطة بالبيئة التي قامت سيدات المنطقة بشغلها.

اكتشاف أثري

اكتشفت في منطقة (القصيصة) بدبي وهي إحدى الإمارات المتحدة وأكبرها، آثار هامة يرجع تاريخها إلى حوالي (٣٠٠٠) عام وتشمل عدداً من رؤوس السهام، والأقراط النسائية، ومناشير للثعبان من البرونز، وعقد زينة، وخاتم حديدي.

إصدار مجلة دورية

سيصدر مركز الدراسات والوثائق في أبو ظبي، في أوائل العام القادم، مجلة دورية تعكس تاريخ وتراث وحضارة دولة الإمارات من خلال نشر الوثائق والخطوط والأبحاث التي يضمها المركز، كما ستهم بإبراز عادات وتقاليد شعب منطقة الخليج

« النهضة » الكويتية وجريدة « الرأي العام » عن عمر يناهز الثانية والأربعين عاماً قضاها في خدمة الصحافة العربية والإسلامية . رحم الله الفقيد وأسكنه فسيح جناته وأهم أهله ومحبيه الصبر والسلوان .

مسابقة في القصة القصيرة

أعلن في الكويت عن مسابقة للوهة في تأليف القصة القصيرة وذلك من إعداد اللجنة العليا للترويج السياحي بوزارة الإعلام بالتعاون مع المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب . وقد وضعت لتلك المسابقة شروط أهمها :

★ يحق الاشتراك للجنسين المقيمين في الكويت والذين لا تتجاوز أعمارهم الخامسة والعشرين .
★ لا يجوز لمن سبق أن نشرت له أكثر من قصة الاشتراك في هذه المسابقة .

★ يجوز للمشارك الاشتراك بأكثر من قصة .

★ أن تكتب باللغة العربية الفصحى .

★ لا تقل كلماتها عن (١٥٠٠) كلمة .

★ آخر موعد هو يوم ١٩٨١/٧/٥ م .

هذا وقد رصدت جوائز قيمة للفائزين بهذه المسابقة .



★ يوسف المساعيد

★ علي عبدالله خليفة

بنورة ، صدرت عن دار الكاتب بالقدس .

● « سقوط الجدار السابع » ، تأليف حسين البرغوني ،

دراسة نقدية وضعت في كتاب صدر عن دار العامل برام الله .

● « أنت ، أنا ، القدس والمطر » ، ديوان شعر للشاعر

أسعد الأسعد ، صدر ضمن منشورات الأسوار بعكا .

● « فلسطين وأوروبا ... دبلوماسية المواجهة » ، تأليف

خالد الحسن « أبو السعيد » ، صدر في بيروت .

« يوسف المساعيد »

انتقل إلى رحمة الله تعالى في مستشفى الصباح بالكويت إثر مرض مفاجئ الزميل الأستاذ يوسف عبد العزيز المساعيد رئيس تحرير مجلة



★ كل سنة ، يخسر ٢٥٠ ألف طفل

بصرهم بسبب فقدان فيتامين أ .

تكاليف الوقاية يمكن ألا تتجاوز

٥ سنتات للشخص سنوياً ★

مخطوطة لجابر بن حيان

عثر في الكويت على مخطوطة نادرة لرائد الكيمياء العربية (جابر بن حيان) الذي يعد أول شخصية ظاهرة في العرب والإسلام اشتغلت في الكيمياء ، وقد عثر على هذه المخطوطة التي تحمل عنوان «مصححات سقراط» وتقع في ثلاثين صفحة من الحجم الصغير .

* كتب جديدة *

● «الحلقة الرابعة من أعمال الكاتب المسرحي يوجين أونيل» ، ترجمة الدكتور عبدالله عبيد الحافظ ، مراجعة الدكتور إسماعيل اللواني ، صدرت ضمن سلسلة «من المسرح

العالمي» الكويتية .

● «مع الهوامع في شرح جمع الجوامع» ، سبعة أجزاء بتحقيق وشرح الدكتور عبد العلي سالم مكرم ، صدرت عن دار البحوث العلمية بالتعاون مع جامعة الكويت (كلية الآداب) .

* كتب جديدة *

● «مغامرات الأصابع والعيون» ، مجموعة شعرية للشاعر بندر عبد الحميد ، صدرت عن اتحاد الكتّاب العرب بدمشق .
● «صبح الأعشى في كتابة الإنشا» ، للعلّشندي السفر

وتلافت الإسهاب في إيراد المقدمات التاريخية ، واهتمت بالاستشهاد بالأمّاذج وفحصها ، ونظرت إلى هذا الشعر بوصفه صورة لمزاج فني عام تصدر عنه بيئة الخليج في بلدانها المختلفة .

★ ★ ★

★ الباب الأول: تيار الشعر التقليدي: عقدت فيه فصولاً خمسة :

● الأول: لشعر المديح الديني ، وفيه لاحظت تركيز ما وصل إلينا منه في مديح آل سعود ، ومن اتصل بهم ، وأن الكثرة منه ولانسد معارك وانتصارات عسكرية واستعرضت قصائد (لابن مشرف) و(ابن عثيمين) ، ووجهت الانتباه إلى أهمية ما تطلعنّا عليه بعض هذه القصائد من رأي للمعارضة السياسية من خلال ما تفنّده

القصائد من حجج هذه المعارضة ، وهو جانب نفتقده في كتب التاريخ .

● الثاني: لشعر المديح السياسي ، الذي أخذ يزاحم المديح الديني مهتماً بعنصر جديد هو القومية ، والدعوة إلى الوحدة السياسية ، والتخلص من الاستعمار ، وتحقيق التطور الحضاري ، واستعرضت شعر (خالد الفرّج) وإن نهبت إلى أنه لم يبتدع هذا الاتجاه ، فقد ظهر في فترات الاضطراب التاريخي ، كما أن له إشارات عند ابن مشرف وابن عثيمين . وتشير إلى أن شيئاً من شعر خالد الفرّج - الذي قسمته إلى ثلاث مراحل قبل وأثناء وبعد إقامته بالبحرين - يعد وثائق سياسية بصرف النظر عن فنيته .

● الثالث: لشعر الغزل ، وهو إما في مقدمات القصائد ،

سواء أكانت في المدح أو الحنين أو الإخوانيات ، وإما غزل تفرد له القصائد ، وقد لاحظت الباحثة عليه اهتمامه بالعاطفة في حال الفراق دون اهتمامه بها في حال اللقاء ، وإكثاره من ذكر الرقباء والرشاة والتخويف منهم ، وأن إشارته إلى المحبوبة لا تدل على امرأة بعينها حتى ما ورد فيه اسم المحبوبة فقد ورد اسماً رمزياً ، وأن أكثر معانيه مستقاة من القديم في مبالغات تحيلها صوراً ذهنية باردة .

● الرابع: لفنون أخرى ، مثل الرثاء وتشير إلى ترجمه أكثره إلى رثاء الحكام والعلماء وقلة ما قيل في رثاء الزوجات ، أو الأبناء ، مما يعبر عن إحساس صادق ، وترصد من ظواهر شعر الرثاء افتتاح القصائد بالغزل ، أو الوقوف على الأطلال ، وخلط المعاني الرمزية فيه ، مثل الحديث عن المياه والمطر

● اسم الكتاب: الحركة الشعرية في الخليج العربي بين التقليد والتطور .

● اسم المؤلفة: الدكتورة نورية صالح الرومي .

● المطبعة: العصرية ومكتباتها بالكويت ، ط . أولى ١٩٨٠ م .

رسالة نالت بها الباحثة درجة الدكتوراه ، صنفها إلى بابين قدمت لها بإيجاز ، استهدفت الدراسة تفسير شعر هذه المنطقة في العصر الحديث موضوعياً وتقويمه فنياً ،

ربيعة الجلطى ، صدرت عن دار الكرمل للدراسات والنشر والتوزيع بدمشق .

● « فهرس المخطوطات المودعة في خزانة معهد التراث العلمى العربى » ، صدر عن معهد التراث العلمى العربى بسورية .

● « المعز لدين الله الفاطمى » ، دراسة للدكتور عارف تامر ، صدرت عن دار دمشق ودار الجيل للطباعة والنشر والتوزيع .

شؤون عربية

ذلك هو عنوان المجلة التى أصدرتها جامعة الدول العربية حديثاً و برأس تحريرها الدكتور أنيس صايغ ، كما يساهم فى تحرير أبوابها عدد من الكتّاب والمفكرين العرب من مختلف الأقطار .

* كتب جديدة *

● « مدن معبد » ، ديوان شعر للشاعر محيى الدين خريف ، صدر ضمن منشورات عبد الكريم بن عبد الله .

ثقة الجيل الجديد بذاته ، وأدى إلى ضرورة تعبيره على أحاسيسه الجديدة ، وقد عقدت الباحثة فى هذا الباب فصلاً ثلاثة :

● الأول : عودة الذاتية وإن كانت مغلصة للشكل التقليدي وأنموذجها (صقر الشبيب) ومفتاح فهمه هو فقره وعياه اللذان عزفا النغم الذاتى فى قصائده على اختلاف أغراضها ، ووضحت أن شقاءه بعياه نظور إلى شقائه بغيره من العميان أيضاً ، وتابعت الاستشهاد بالنماذج على صدره فى تشبيهاته وصوره عن هذه الحقنة ، وعن المفارقة المأساوية بين دلالة اسمه ، وحقائقه حاله ، فأكثر الحديث عن النور ومشتقاته ، كما اعتمد لإظهار المفارقة على مقارنة نفسه بالطيور والحيوانات ، وأوضح أن اعتماد الشبيب على محفوظه من القديم أدى

القديمة ، احتذوا الصور القديمة ، فكانت إما ذهنية تشبه صور العصر العباسى ، وإما عادية تشبه ما سبقه ، وتدور حول معان محدودة ومسبوق إليها ، مثل الشجاعة والكرم ، ولاحسنت الدراسة تكرار الصورة ، وتراكم التشبيه ، وتفكك اللوحات ، ثم استطردت إلى إثبات صفة الاحتذاء لشيء من هذا الشعر فى القصيدة برمتها وزناً وقافية وموضوعاً ، ومثلت لمن برعوا فى ذلك بابن عثيمين وإن كانت سميت ذلك براعة فى السرقة .

* * *

★ الباب الثانى : تبار التطور
المواكب للظروف التى استجدت بظهور النفط ، وتدفق الأموال ، وزيادة الاحتكاك بالعالم الخارجى ، والسرعة التى تم بها ذلك ، مما أكد

الأول ، اختار النصوص وعلق عليها وقدم لها عبد القادر زكار ، صدر عن وزارة الثقافة والإرشاد القومى بدمشق ضمن سلسلة « مختار من التراث العربى » .

● « الفيلم السينمائى من الفكرة إلى الشاشة » ، تأليف فتية عقله عرسان ، صدر عن وزارة الثقافة والإرشاد القومى بدمشق .

● « كوب من الشاي البارد » ، مجموعة قصص قصيرة تأليف نيروز مالك ، صدرت عن اتحاد الكتّاب العرب بدمشق .

● « لغة الشعر » ، دراسة أعدها أحمد يوسف داود ، صدرت فى كتاب بدمشق .

● « تضاريس لوجه غير باريسى » ، مجموعة شعرية للشاعرة

الدين ومثلت له بشعر (ابن مشرف) الذى شخصت به أيضاً لاتجاه ثالث هو مداخل الرسول صلى الله عليه وسلم ، والخلفاء الراشدين ، ولو أنه منظومات تاريخية سطحية خالية من المسحة الفنية .

● الخامس : للدراسة الفنية
فبينت التزام القصيدة بالشكل التقليدي ، وممايز مفتاحها ما بين الغزل ، أو الوقوف على الأطلال ، أو وصف الخمر أو القهوة أو خلط رمزيها ، وبين الالتفات إلى الطبيعة وربط ذلك بمعاني القصيدة ، مما يمثل شيئاً من التجديد ، كذلك أشارت إلى هجوم الشاعر على موضوعه بدون مقدمات فى قصائد كثرت كثرة ملفقة عللتها بتوالي الأحداث ، والمناسبات ، مما لم يهمل الشاعر فيقدم المقدمات . وكما احتذى هؤلاء الشعراء اللغة

رمزاً للحياة ، وتشير إلى غمط آخر من افتتاحيات المراثى وذلك بالحديث عن الموت وفلسفته ممثلة بابن عثيمين وإن كانت تنبى إلى تخلف نظمه عن فلسفة الحياة والموت على نحو ما نجده عند الجاهليين والعباسيين .

ومثل الشعر الدينى الخالص من الاختلاط بأغراض أخرى ، ومنه شعر المذهب الشيعى الذى قل ما وصل إلينا منه ، فاستنتجت الباحثة أن روايته أسقطت من تاريخ هذه الفترة ، وهو لا يتحدث عن المذهب مباشرة لكنه يستعين على ذلك بمديح آل البيت وشيوخ المذهب ومثلت بشعر (لعلى تقي الأحسانى) . ومنه شعر الدعوة السلفية التى جدها الشيخ ابن عبد الوهاب ما بين نظم لمبادئ الإسلام ، أو رثاء للعلم ، أو إحساس بغيره



★ محيي الدين صبحي ★

★ د. انيس صايح ★

١٩٤٨م ، تأليف شكيب الأموري ، صدر عن الدار التونسية للنشر والتوزيع .

اكتشاف مدينة أثرية

اكتشفت مدينة أثرية كاملة بصحراء المعادي القريبة من القاهرة بقدر عمرها بحوالي (٨) آلاف سنة ويرجع تاريخها إلى العصر الحجري الحديث ، وتعتبر أقدم كشف أثري يعثر عليه في مصر حتى الآن . هذا وقد عثرت بعثة الآثار المصرية التي اكتشفت تلك المدينة على

لمصطلحات الذاتية والوجدانية ... الخ ، هو مفهوم عربي ضده التسميات حيث إنها لا تشمل على كل خصائصها المعروفة في مفهومها الغربي الدقيق .

★ ★ ★

وفي الختام لا يفوتني أن أشير في دائرة الضوء إلى أن قارئ هذه الدراسة سيستفيد ولا شك من منهج الباحثة ، ومن نتائجها ، لكنني أستبعد أن يستمتع بقراءة كثير من النماذج ، وهذا ما يضاعف تقديرنا لجهود الدكتورة فقد كانت تدقق النظر في شرائح أكثرها بعيد عن الجمال .

قدم للكتاب الدكتور إبراهيم عبد الرحمن محمد .

عصام الغزالي - الرياض

له أن التناقضات التي أحدثها ظهور النفط أسلمت إلى إحساس عميق بالغربة المكانية والزمانية والنفسية ، مما أدى إلى إنكار الواقع والدعوة إلى تغييره ، وتبين أن استقراء دواوين هذا التيار يؤكد أنه يركز الإحساس بالتناقضات في تجربة واحدة مبالغ فيها ، هي مواجهة السلطة القائمة مواجهة ذاتية وفردية ، مما لا يعبر باتزان عن هموم هذه البيئة . أما المواجهة الحضارية الحققة لقضايا هذه البيئة فتتمثل في شعر (علي السبتي) الذي تستعرض شيئاً منه تشخيصاً لشعر الالتزام الاجتماعي ، و(محمد الفايض) الذي يظهر في ملامح مختلفة تنسم بالرمزية ، وتفكير العواطف الذاتية ، فيبدو في ديوانه (مذكرات بحار) ذا وجه إنساني عام ، وآخر متصل بنفسه .

وتوضح الباحثة أن استخدامها

● «مبررات الكيان» ، بحث أعده عبد الوهاب بوحديبة ، صدر ضمن سلسلة «علم الاجتماع» التي تصدر عن مركز البحوث والدراسات الاقتصادية والاجتماعية بتونس .

كما صدرت الكتب التالية عن الدار العربية للكتاب بتونس :

★ «ملامح الشخصية العربية في التيار الفكري العربي المعاصر» ، تأليف محيي الدين صبحي .

● «مفكرة عاشق - قصائد للقدس» ، ديوان شعر للشاعر هارون هاشم رشيد .

● «شهادة من الميدان - وثائق عن حرب فلسطين

القديمة ، والصور المألوفة .

ثم تتبعه الدراسة بالشعراء الرومانسيين فتختار منهم (فهد العسكر) فتشخص بشعره ولع الوجدانيين باتخاذ الطبيعة وسيلة للتعبير عن الموقف من الحياة ومشكلاتها . ثم (أحمد العدواني) مثلاً لغزو الانحياز الفكري لشعر الوجدان ، وتعميقه الموقف من الحياة إلى نظرة تفلسف وتنقد . ثم (غازي القصيبي) مستدلة بشعره على ولع الرومانسيين العرب بنقل الدلالات اللغوية ، والإيغال في الصور الممنحة . ثم (خليفة الوقيان) ممثلة بشعره لأحاسيس الغربة والقلق وعدم الرضى عن الواقع والحلم بعوالم مثالية . وتورد لكل منهم أمثلة جيدة .

● الثالث : الانحياز الواقعي بين الفن والالتزام ، ويوضح التمهيد

إلى كثرة التقديم والتأخير في نظمه .

● الثاني : التيار الوجداني والرومانسي وفيه تورد الدراسة موكباً من شعراء المنطقة علامات على التطور من الذاتية إلى الشعر الوجداني فالرومانسي يختلف انجذاماته فتشخص (بإبراهيم العريض) لتطور النغم الذاتي من الفردية الخالصة إلى الإنسانية العامة مصنفه شعره إلى رومانسي النغم كما في ديواني (العرانس) و(الدموع) وقصصي التفاصيل نثري الأسلوب كما في (أرض الشهداء) وتلاحظ أن نغمه الذاتي يدور حول تجربة عاطفية واحدة ، وأنه بكثرت من اللجوء إلى الطبيعة مفتتناً بها ، وأنه يمثل تطوراً للغة الشعرية بدلالاته الرومانسية ، وإن كان مبقياً على الجوانب التقليدي ، مثلاً في المفردات



★ د. عبد القادر القط ★



★ د. إبراهيم مذكور ★

بقايا مساكن و (٢٢) مقبرة تحتوي على هياكل عظمية كاملة لأشخاص في وضع القرفصاء بالإضافة إلى مجموعة من الأدوات المصنوعة من الحجر على شكل سكاكين ورماح وأدوات صيد .

التراث العلمي العربي في ندوة

عقدت في القاهرة ندوة حول « التراث العلمي العربي بين الشرق والغرب » شارك فيها عدد من أساتذة التراث العربي منهم :

★ الدكتور إبراهيم مذكور .

★ الدكتور أحمد الحوفي .

★ الدكتور أحمد هيكمل .

وذلك تحت إشراف المجلس الأعلى للثقافة .

* كتب جديدة *

● « علم النفس والجريمة » ، تأليف محمد فتحي ، صدر عن دار المعارف بالقاهرة ضمن سلسلة « كتابك » .

● « الوسيلة الأدبية » ، تأليف الشيخ حسين محمد المرصفي ، تحقيق الدكتور عبد العزيز الدسوقي ، صدر المجلد الأول عن الهيئة المصرية العامة للكتاب .

● « الشعر الحر والمسرح » ، دراسة للدكتور عبد القادر القط ، صدرت في القاهرة .

● « المرأة والإسلام » ، ج ٢ ، تأليف غادة الخرساني ، صدر في القاهرة .

● « فن المقال الصحفي » ، بقلم الدكتور عبد العزيز شرف ، صدر ضمن سلسلة « كتابك » التي تصدرها دار المعارف بمصر .

● « مواكب الحياة » ، ديوان شعر للدكتور عزت شسندى موسى ، صدر عن المجلس الأعلى للثقافة .

● « ما أبتت الأيام » ، ديوان شعر للشاعر أحمد مصطفى حافظ ، صدر عن المجلس الأعلى للثقافة .

جائزة « عرار » لشاعر فلسطيني

قدمت رابطة الكتّاب الأردنيين جائزتها السنوية « جائزة عرار » التي تمنح لأي أديب عربي يكون لصوته صده على مدار السنة العربية ، قدمتها للشاعر الفلسطيني الدكتور « وليد سيف » صاحب ديوان « وشم على ذراع خضره » وصاحب الملحمة الشعرية الجديدة « تغريبة زيد الياسين » . وفور نسلم الدكتور سيف لتلك الجائزة تبرع بها إلى لجنة النشر في الرابطة لدعم نشاطاتها ونشر نتاج الشعراء الشباب .

المهرجان السنوي لرابطة الكتّاب

أقامت رابطة الكتّاب الأردنيين مهرجانها السنوي الرابع بعمان وذلك خلال الفترة من ٢١ يونيو (حزيران) إلى ٢٥ منه عام ١٩٨١ م ، أقيمت فيه ثمان عشرة قصة وضعها عدد من كتّاب القصة أمثال : وليد سلیمان ، إبراهيم خليل ، أحمد عودة ، هند أبو الشعر ، كما أقيمت فيه ست عشرة قصيدة لعدد من الشعراء أمثال : إبراهيم نصرالله ، أحمد جبر ، رجاء أبوغزالة ، عطف جاتم ، وتسعة بحوث لعدد من الكتّاب أمثال : الدكتور محمد شاهين ، والدكتور وليد مصطفى والسيد حيدر رشيد وغيرهم .

* كتب جديدة *

● « النحلة والحديث النبوي الشريف » ، دراسة للدكتور حسن موسى الشاعر ، صدرت عن وزارة الثقافة والشباب الأردنية .

* كتب جديدة *

● « مقدمة في علم الآثار » ، دراسة أعدها الدكتور تقي الدباغ ، صدرت في كتاب عن وزارة الثقافة والإعلام العراقية .

● « الشعر العراقي في القرن السادس الهجري » ، دراسة أعدها مزهر السوداني ، صدرت في بغداد .

● « خمسة مداخل إلى النقد الأدبي » ، كتاب من تصنيف ويلبر سكوت ، ترجمة وتقديم وتعليق الدكتور عناد غزوان إسماعيل ، وجعفر صادق الخليلي ، صدر عن دار الرشيد ببغداد .

● « ديوان عبد المحسن الصوري » ، ج ١ ، تحقيق مكى



★ مارون عبود ★

حزيران (يونيو) - أي في الذكرى السنوية للأديب الراحل - وتمنح لصاحب أفضل أثر ينشر على مدار السنة حاملاً خصوصية لبنانية مميزة سواء في الإنتاج الإبداعي من قصة ورواية ومسرح وشعر أم في التناج النقدية.

الفهرست

ذلك هو عنوان أحدث مجلة صدرت في بيروت، فقد صدر عددها التجريبي الأول حافلاً بموضوعات شتى تهم الدارسين في الدوريات العربية خاصة وأن معظمها غير متوفر في الأسواق. المجلة علمية متخصصة، ستصدر شهرياً ويرأس تحريرها السيد ميشال نوفل.

* كتب جديدة *

● «تاريخ الضنية السياسي والاجتماعي في العهد العثماني»، دراسة أعدها قاسم صمد، صدرت عن المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ضمن السلسلة التاريخية.

● «الخطابة وإعداد الخطيب»، للدكتور عبد الجليل عبده شلبي، صدر عن دار الشروق.

● «السلاح النووي والصراع العربي الإسرائيلي»، دراسة أعدها الدكتور سلمان رشيد سلمان، وضعت في كتاب صدر عن دار ابن خلدون ببيروت.

● «الحلم والعنقاء»، مجموعة شعرية للشاعر الدكتور ميشال سليمان، صدرت عن المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر.

كما صدرت عن دار الأندلس الكتب التالية من تأليف الدكتور مصطفى ناصف:

★ «الصورة الأدبية».

★ «قراءة ثانية لشعرنا القديم».

★ «نظرية المعنى في النقد العربي».

السيد جاسم وشاكر هادي شكر، صدر عن دار الرشيد، ضمن سلسلة «كتب التراث».

● «الحملة على برنامج العراق النووي.. لماذا؟»،

دراسة من تأليف حسن محمد طوالبه، صدرت في بغداد.

● «الاستراتيجية العربية نحو الأمية»، صدر عن الجهاز

العربي نحو الأمية وتعليم الكبار ببغداد.

● «تعليم الكبار في البلدان النامية»، صدر عن الجهاز

العربي نحو الأمية وتعليم الكبار ببغداد.

● «القواعد والفوائد»، تأليف الإمام أبو عبد الله العمالي

المعروف بالشهيد الأول، تحقيق وتقديم وشرح الدكتور

عبد الهادي الحكيم، صدر عن جمعية منتدي الشعر في النجف الأشرف.

● «فهرسة المخطوط العربي»، إعداد ميري عبودي

فتوح، صدر عن وزارة الثقافة والإعلام العراقية ضمن سلسلة «المعاجم والفهارس».

● «ابن طفيل: قضايا ومواقف»، تأليف مدني صالح،

صدر عن وزارة الثقافة والإعلام.

● «فكرة القانون الطبيعي عند المسلمين - دراسة

مقارنة»، للدكتور محمد شريف أحمد، صدرت عن دار الرشيد ببغداد.

● «تحديد المجالات البحرية للدول الساحلية في الخليج

العربي»، دراسة للدكتورة حنان جميل سكر، صدرت

عن كلية الآداب بجامعة بغداد.

● «كتاب الأدوار»، من كتب التراث العربي في الموسيقى،

تأليف صفي الدين عبد المؤمن الأموي البغدادي، تحقيق وشرح وتعليق

هاشم الرجب، صدر عن وزارة الثقافة والإعلام العراقية.

جائزة مارون عبود

خصصت (دار رواد النهضة للنشر) اللبنانية جائزة سنوية تحمل اسم «جائزة مارون عبود» تقدم سنوياً في الأسبوع الأول من شهر

● «الإشارة إلى أدب الإمارة»، تأليف المرادي (أبوبكر محمد بن الحسن الحضرمي القيرواني)، دراسة وتحقيق الدكتور رضوان السيد، صدر عن دار الطليعة.

كما صدرت عن دار المسيرة ضمن سلسلة «الورود الصغيرة» القصص التالية من تأليف ياسين رفاعية :

★ «الغيمة البيضاء».

★ «الزهرة الصغيرة».

★ «الفيل الهرم».

★ «الحطاب وشجرة الأرز».

● «الذين أدركتهم حرفة الأدب»، دراسة لطاهر

أبو فاشا، صدرت عن دار الشروق ببيروت.

● «مدخل إلى علم الضرائب... النظرية العامة في الضرائب وأنماط الأنظمة الضريبية»، دراسة من تأليف الدكتور علي مقلد، صدرت عن دار المنشورات الحقوقية ببيروت.

● «منهجية ابن خلدون التاريخية»، دراسة للدكتور محمد الطالببي، صدرت ضمن سلسلة «قضايا أدبية» التي تصدر عن دار الحداثة ببيروت.

● «أصول البلاغة»، للإمام كمال الدين ميثم البحراني المتوفي سنة ٦٧٩هـ، تحقيق الدكتور عبد القادر حسين، صدر عن دار الشروق ببيروت.

● «العائلة في الإسلام»، تأليف أبو الحسن بني صدر، صدر عن دار التوجيه الإسلامي ببيروت.

● «زاد المعاد في هدي خير العباد»، ج ٥، تأليف ابن قيم الجوزية، تحقيق وتعليق وتخريج شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، صدر عن مكتبة المنار الإسلامية ومؤسسة الرسالة.

● «الحكاية الشعبية في المجتمع الفلسطيني»، دراسة للدكتور عمر عبد الرحمن الساريسي، صدرت عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

تاريخ الثقافة العمانية في معرض

رغبة في التعريف بتاريخ الثقافة العُمانية وبكل معطياتها، أعدت الجهات المختصة معرضاً عالمياً متنقلاً، أقيم في (لندن) بقاعة الاحتفالات الملكية تحت عنوان «تاريخ الثقافة والحرف التقليدية العمانية».

ويعد هذا المعرض الأول من نوعه حيث حضره أكثر من (٧٥٠٠) شخص فكان الإقبال عليه كبيراً، ثم نقل المعرض بعد ذلك إلى (باريس) ثم إلى (لشبونة)، وهكذا سيتنقل إلى العواصم الأخرى.

وأطل فجر العيد

نعم.. فقد أطل فجر العيد، وأشرق بنوره.. فلا الأرض ضياءً وأملًا.

أقبل العيد بالجديد من الثياب، والجديد من النفوس، والجديد من الأيام.

ولكن أحقاً هذي الثياب الجديدة قد خلعتها على نفوس جديدة؟

أحقاً تحولت نفوسنا.. بعد معاناة خلال شهر الصيام؟ أو تخلصت من شهواتها، وتطهرت من معاصيها وخطاياها، بعد أيام قضيناها صائمين، شاكرين مسبحين؟

أترانا قد قوينا على أن نروض هذه النفس الطاغية.. على الاحتمال، والصبر، وننقيها من البطر والغرور والخيلاء؟ لقد فرط الكثير مناً في حقه، وحق مجتمعه، وحق خالقه.. فهل كان الصيام لنا مسلماً ومنسكاً لنشوب إلى رشدنا وننتصر لإنسانيتنا وأدميتنا.

لا يكفي المسلم أن ينطلق في عيده.. يلهو، ويلعب، ويتزاور، ويتهادى، فالعيد الحقيقي للمسلم حين تصفو نفسه، وتشف روحه إلى آفاق الخير.. حين يسامح فلا يعاقب، ويعفو فلا ينتقم. العيد بما ترمز إليه معانيه أن نخرج من شهر رمضان وقد استجمعنا قوانا وشجاعتنا على مصارحة أنفسنا بأخطائنا ومشاكلنا، أن نعوض - وكلنا عزم وتصميم - ما فاتنا من أيام فرطنا خلالها في حقوقنا السلبية.

العيد حقاً.. حين ننفض عنّا غبار الهوان وننتصر على ضعفنا وتفككننا، فإحوجنا أن نتفياً لظلال الإسلام الوارفة. عيد المسلمين الحق.. هو ذلك اليوم الذي نحصر فيه على إشاعة السلام والحب والتعاون والعطاء.. ذلك اليوم الذي نقطف فيه ثمرة جهدنا المشترك فننقذ إخوة لنا في الإسلام مشردين.. محرومين.. مطاردين في جميع أنحاء العالم يهددهم الجوع والعري والدمار.

إن عيادنا الحقيقي يوم نعقد العزم على أن نملك زمام الأمور بأيدينا.. يوم ننتصر في صراعنا مع العدو، فنضيء لبني أمتنا جوانب الطريق نحو غد مشرق يتحقق فيه تحريرهم واستقلالهم. إلى ذلك الغد نصبو، وإلى ذلك العيد نغدو.

حينئذ يطفح البشر في وجوهنا، حينئذ يتحقق عيادنا، حينئذ نتصافح ونقول لبعضنا: كل عام وأنتم بخير.

أسامة أحمد السباعي



الحديث) تحت شعار «عصر علم الأثریات المصرية القرنسفة». من بین تلك الاکتشافات فك رموز الهيروغليففة ، وتمثال لعجل « أبفس » إلى جانب بعض اللوحات الفنية السفة تصور حضارة مصر القبطفة وكذا مجموعة من الأحجار الكرففة المعروفة باسم « لازوردو تقفز » .

معرض لأعمال أورلف

أقامت الأوساط الفنية الفرنسية معرضاً ضم روائع الفنان الإسباني الشهفر (برنار قان أورلف) الذي فففر في مقدمة الفنانفن الذين عاشوا في بلاط «مرغرطف دوفرش» ابنة إمبراطور بلجفكا «ماكسفمفان» والذي عاش في القرن السادس عشر المفلادف ، كما ضم

المعرض أيضاً مجموعة من التماثفل والبُسُط. والمعروف أن فان أورلف رسام إسباني ولد عام ١٤٨٨ م ، وفوف عام ١٥٤١ م ، وتعتبر لوحفه السفة رسمها وتحمل عنوان «مارغرطف دوفرش» من أشهر أعماله .

جاك دف بورفون والأكادمفة الفرنسية

انتخب الدفلوماسف والكاتب (جاك دف بورفون) ، البالغ من العمر (٦٩) عاماً ، عضواً جدفداً فف الأكادمفة الفرنسية . وبورفون ففتمف إلى عائلة (آل بورفون) الفف حكمت فرنسا بعد ثورة ١٤ تموز (فولفو) عام ١٧٨٩ م ، وبعد العضو الأربعفن فف الأكادمفة وسبق وأن حصل عام ١٩٥٧ م ، على جائزة من الأكادمفة السفة أصبح عضواً ففها الآن وذلك عن روائفه الفف كتبها تحت عنوان «ملع الأرض» .

معرض عن الاکتشافات الأثرفة فف مصر

أفم فف بارفس معرض عن الاکتشافات الأثرفة المصرية السفة أثناء الحملة الفرنسية على مصر وذلك (بمتحف الفن

فن السوائفل والجوامد . وقد تم سابقاً استعمال الكرفستال السائل فف شاشات الحاسبات الإلکترونة المکتفة وفف الساعات الرقفة .

شاشة الكرفستال السائل التلفزفونة صغرفة جداً لا فزفد طولها عن ١,٦ برصة (حولف ٣,٥ ستمترات) وعرضها ١,٢ برصة (حولف ، ستمتر) . والجهاز كله لا ففجاوز وزفه (٣٠٠) غرام فقط ، فمكن تشغيله بفطارفة عاففة (٦ فولتات) .



ظهرت مؤخراً «جزرفة صناعفة» ضخمة بالقرب من مفاء «كوففه» ، أكبر مفاء دولف فف اليابان ، وقد أطلق عليها اسم «جزرفة المفاء» ، وذلك لأنها أنشفت أصلاً بسبب توسع مرافق المفاء . هذه الجزرفة من صنع الإنسان وتغطي مساحة قدرها ٤٣٦ هكتاراً ، وقد تكلف انشاؤها (٢٤١٠) ملايين دولار أمفرکف ، واستغرق حولف (١٥) سنة كاملة . تم تفدشن هذه الجزرفة فف آذار (مارس) ١٩٨١ م ، ورافقها معرض على مفاسف كبر .

تمتد هذه الجزرفة مسافة ٣ كفلومترات طولاً و٢ كفلومتر عرضاً ، وقد استهلك بناؤها ٨٠ مليون متر مكعب من الترفة والرمال . وقد عمد

فف ٧ تشرين الأول (أکتوبر) ١٩٨٠ م ، أعلنت شركة توشففا اليابانفة عن أحد متوجاتها الجدففة : جهاز تلفزفون ذو شاشة من الكرفستال السائل ففعتبر هذا الجهاز بفاة فففل جدفد من التلفزفونات .

فف هذا الجهاز الجدفد فم عرض الصورة على شاشة من الكرفستال السائل ، عوضاً عن شاشة الأنبوب الإلکترونف ، الذي فمثل قلب جهاز التلفزفون . والكرفستال السائل مرکب عضوف ذو ترکیب کفمفافی معقد ، وخواصفه تقع

وقد حصل عليها (لوران) تقديراً لأعماله الأدبية التي بلغت حتى الآن حوالي (٥٠) عملاً، إضافة إلى أعمال أخرى أهمها تأسيس مجلة (الباريسية) عام ١٩٥٠ م، ورئاسة تحرير مجلة (الفنون)، من أشهر أعماله «الأجساد الهادئة» و«الحفاقة».

أما (بونو فوي) فقد صدرت له عدة دواوين من بينها «حلم في نانتيير» و«الضباب الأحمر» كما صدرت له عدة دراسات نقدية نال عليها جائزة تقديرية عام ١٩٧١ م.

وفاة فرانسوا بورد

توفي أشهر مؤرخ فرنسي في العالم متخصص في تاريخ العصر الحجري القديم «فرانسوا بورد» عن ثمان وستين سنة، وقد ولد (بورد) في عام ١٩١٩ م، وحصل على الدكتوراه في العلوم عام ١٩٥١ م، وعين في جامعة (بوردو) مديراً لمعهد التاريخ المتخصص في فترة العصر الرابع في تاريخ الأرض، كما كان عضواً في المجلس الأعلى للأبحاث الجيولوجية، وقد قام بعدة دراسات للبحث عن آثار العصر الحجري في كل من إسبانيا، وأستراليا والولايات المتحدة. صدر له أكثر من مائتي كتاب علمي في هذا المجال، وكان يكتب تحت اسم مستعار هو «فرانسييس كارزاك». وقد حصل قبل وفاته على جائزة الفنون والأدب التي تمنحها الأكاديمية الفرنسية.

وفاة موريس بومون

توفي عن (٨٩) عاماً المؤرخ الفرنسي «موريس بومون»

ملتقى الفنانين العالميين

احتفل في فرنسا بمرور ستين عاماً على إنشاء المقهى الشهير الذي أطلق عليه اسم مقهى «القمة» والذي كان يلتقي فيه كبار الفنانين والرسامين العالميين والشخصيات الشهيرة، وهذا المقهى يمثل شهرة مطعم «مكسيم»، والمعروف عنه أنه كان مكاناً تعقد فيه الندوات والمناقشات بين كبار الفنانين والرسامين أمثال (بيكاسو، وسلفادور دالي، وأندرية جيد) كما كانت تعزف فيه السيمفونيات الشهيرة لكبار الموسيقيين العالميين.

جوائز الأكاديمية الفرنسية

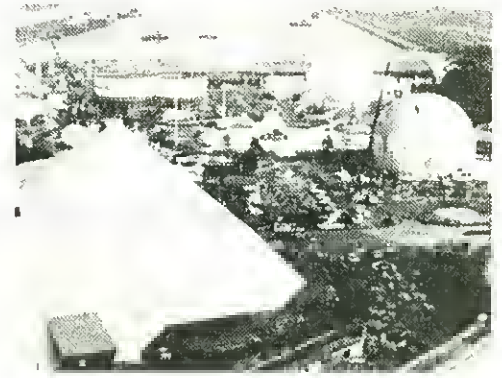
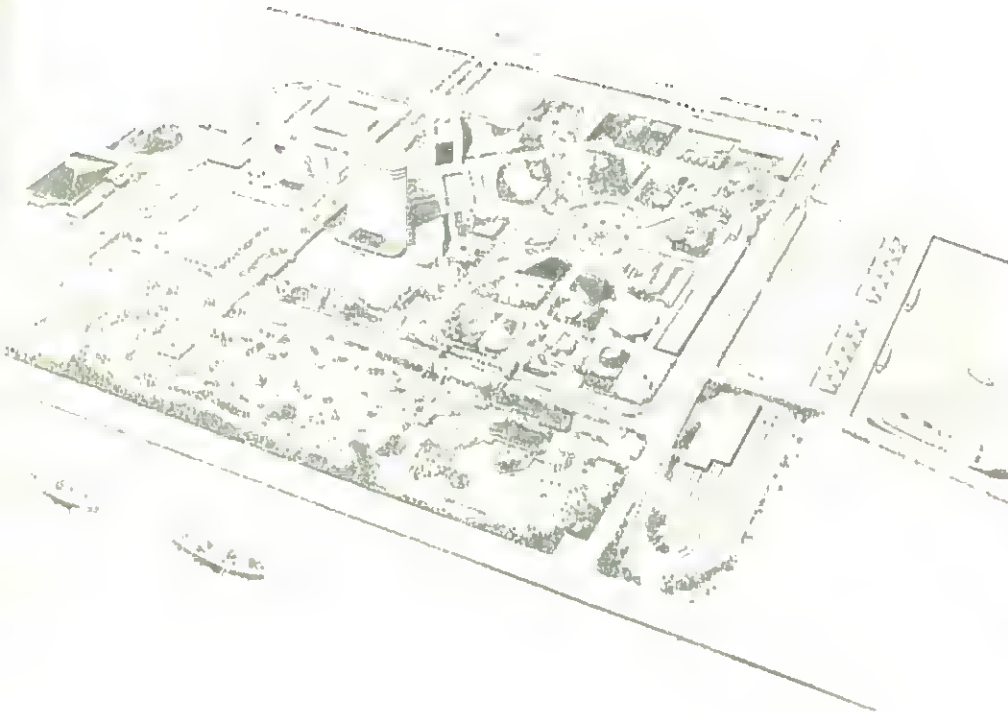
منحت الأكاديمية الفرنسية جوائزها الأدبية هذا العام في الأدب والشعر لكل من:

★ الأديب جاك لوران وقيمة الجائزة (مائة ألف فرنك).

★ والشاعر أيف بونو فوي وقيمة الجائزة (٢٥ ألف فرنك).

المهندسون إلى نقل الأثرية اللازمة من جبل روكو الموجود في شمال المدينة بواسطة سيور ناقلة إلى الشاطئ.

(الصورة رقم ٩) الجزيرة الصناعية قيد الإنشاء في كانون الأول (ديسمبر) ١٩٨٠ م.
(الصورة رقم ١٠) المخطط العام لموقع الجزيرة الحديثة.



اكتشاف مخطوطة عربية

اكتشف فريق من الباحثين المشتغلين بإحياء التراث العربي والإسلامي في «أكاديمية العلوم السوفياتية» (بكاغان) نسخة خطية نادرة من كتاب عربي في علم الفلك، هذه النسخة تتضمن معلومات جديدة ودقيقة في حسابات لمدار ومكان الأرض، وكذلك الأجرام السماوية الأخرى، وهذه المخطوطة تحمل عنوان «نزهة الحقائق»، ومصنفها العالم الفلكي غياث الدين الكاشي.

* أحدث الكتب *

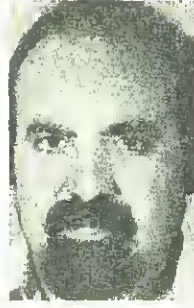
- «سيرة حياة إسحاق نيوتن»، دراسة للكاتب ريتشارد ويستول، صدرت في لندن.
- «مونتجمري... حياته العسكرية والشخصية»، دراسة أعدتها نيجل هاميلتون، صدرت بلندن.
- «حياة جون دون»، دراسة بقلم جون كاري، صدرت في لندن.
- «أوروبا والشرق الأوسط»، مجموعة مقالات وضعت في كتاب بقلم ألبرت حوراني، صدر في لندن.
- «نشأة الشرق الأوسط الحديث»، مجموعة مقالات وضعت في كتاب بقلم ألبرت حوراني، صدر في لندن.

معبد لرصد النجوم

اكتشفت بعثة الآثار الأمريكية معبداً في كينيا يتكون من (١٩) عموداً يشبه إلى حد كبير المرصد الدولي القديم الموجود في بريطانيا والمعروف باسم «ستونهيغ»، وقد لاحظ العلماء بعد دراسة الزوايا المثبت عليها أعمدة المعبد أنها تتجه نحو نجوم ومجرات معينة، وأن سكان هذه المنطقة يلجأون إلى أعمدة المرصد لتحديد موقع النجوم.

العثور على كنز من النقود

عُثر بعثة آثار فرنسية على كنز من النقود اليونانية يرجع تاريخه إلى عام (٢٣٠ ق.م) وذلك بالقرب من مدينة (جلنار) بتركيا، وهذه المدينة كانت لها مكانة تاريخية وسياسية حيث كان يحتلها (الحثيون) حتى نهاية الاحتلال البيزنطي.



* د. حسن طافش *

والمتخصص في كتابة تاريخ الصناعة الألمانية وأستاذ التاريخ المعاصر (بجامعة باريس) وفي (المعهد الدولي للدراسات التجارية في جنيف).

فقد ولد (موريس) في عام ١٨٩٣ م، وخلال الفترة من ١٩٤١ م، إلى عام ١٩٥١ م، شغل منصب أستاذ الجغرافيا الاقتصادية والصناعية، ثم عين في أثناء الحرب العالمية الثانية رئيساً للجنة تاريخ الحرب، من أشهر كتبه «فشل السلام» و«انتصارات ومآسي الجمهورية الفرنسية الثالثة» و«جذور الحرب العالمية الثانية».

معرض عن عسير

أقام الدكتور حسن طافش الأستاذ بكلية التربية بأبها معرضه الثاني عن منطقة عسير وذلك بمدينة (جنيف) خلال الفترة من ١ أغسطس (آب) ١٩٨١ م، ولدة ثلاثة أسابيع، ويمثل ذلك المعرض التراث الشعبي وطرز المباني ومناظر طبيعية عن المنطقة.

معرض عالمي لرسوم المجلات

أقيم في مدينة (شتوتغارد) في ألمانيا الاتحادية معرض عالمي لرسوم المجلات اشترك فيه فنانون من إنجلترا، فرنسا، ألمانيا، النمسا، ضم المعرض (١١٠) صور رسم أغلبها بقلم الرصاص أو الفرشاة، وضم تخطيطات ورسوماً مائية لمناسبات مختلفة أطلق عليها اسم: «رسوم أوروبا ١٩٨١ م».

* أحدث الكتب *

- «قصة الفضة عبر التاريخ»، كتاب صدر عن معهد الإدارة المالية والأبحاث بالهند.

قصدت بهذا المقال أن أبرز حقيقة هامة ، وهي أن الإسلام عقيدة إنسانية سمحاء .
توافق طبيعة الإنسان ، وتعبر عن فطرته وبساطته وتلقائيته ، وأنه يجافي التصنع والجمود .
والشكلية . . وأصدق برهان على ذلك ما نجده في نظرة الإسلام إلى الطفولة ، المرادفة
للفطرة والبراءة والتلقائية ، وهي مفاهيم تحاول الاتجاهات التربوية الحديثة أن تؤكد بها شتى
الطرق ، وأن تقيم عليها أساليب التعليم وبرامجه .

ثم إذ كنت النظرة إلى الأطفل . وإن الطفولة ، بما قبل الإسلام ؟ وكيف أصبحت هذه النظرة في
العقيدة الإسلامية . ولدى المفكرين والعلماء المسلمين في عصور الإسلام الزهراء ؟ ثم كيف ضاعت هذه
النظرة لأصبة في عصور التدهور والظلام . حتى انبعث من جديد ، في عصر التنوير ، ولدى علماء
التربية في العصر الحديث ؟

المفهوم الإسلامي للطفولة

واتجاهات التربية الحديثة

بقلم : د. محمد سلامة آدم

الطفل رجل صغير

وعلى خلاف ذلك ، كانت « أثينا » مدينة تجارية ، فاهنت التربية
فيها بتعليم الحساب ومبادئ القراءة والكتابة ، وقدمت ذلك على الرياضة
البدنية والتدريبات العسكرية .
يقول أفلاطون فيلسوف اليونان الشهير (٤٢٣ - ٣٤٧ ق . م) :
إنه يمكن للطفل أن يهيئ لحياة الكبار بصورة مبكرة ، فيما بين الثالثة
والسادسة .

الطفل والخطيئة الأصلية

وحينما ظهرت المسيحية ، لاقى المؤمنون بها كثيراً من العنت
والاضطهاد ففرعوا إلى الأديرة والصوامع ، يلوذون بها من عالم مليء
بالشرور والآثام . وكان المسيحيون الأوائل يسيثون الظن بالنفس
البشرية ، وأنها تحمل بين طياتها بذور الخطيئة الأولى التي تورط فيها
« آدم » عليه السلام . . . « لأنك سمعت لقول امرأتك ، وأكلت من
الشجرة التي أوصيتك ، فאלلاً : لا تأكل منها ، ملعونة الأرض

إن أقدم المفاهيم التي وصلتنا عن الطفولة هو المفهوم الذي يعتبر
الطفل صورة مصغرة من الكبير الراشد ، فالطفل في المجتمعات البدائية ،
ينشأ بين أبناء قبيلته ، بقلد أعمال الكبار ، ويشرب المهنة التي تحتكرها
القبيلة لنفسها . ومع تلقينه سر المهنة ، يتلقن فنون التعامل مع الغرباء ،
الكبار ، وسرعان ما ترسم على وجهه سمات الرجال ، ويحمل على كتفيه
الصغيرتين عظام الأمور ، ويحاسب حساب المكلف المسؤول .

ونجد تجسيدا لهذا التصور في التربية اليونانية القديمة ، وبصفة
خاصة التربية الأسبرطية . فقد كانت « أسبرطة » لا تكف عن المعارك
بينها وبين جاراتها ، وكان أهم ما يشغل أهل المدينة توفير سبل الحماية
لمدينتهم ، فاهتمت التربية بتحقيق القوة الجسدية لدى الأطفال ، وغرس
الشجاعة في نفوسهم ، واعتياد حياة المشقة والخشونة ، وتحمل الآلام ،
وباختصار ، الانتصاف بأخلاق الرجال منذ سنوات العمر الأولى . ولذلك
قدمت التربية الأسبرطية الرياضة البدنية والتدريبات العسكرية على القراءة
والكتابة والموسيقى .

بسيبك . بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك . . » (تكوين ، ٣ : ١٧) . ومن هنا كان أسلوب « الآباء » في تربية الأبناء معاناة المزيد من التعب والمشقة ، وتحمل الآلام ، وأخذ النفس بالشدة والقسوة والصبر على المكافرة . فهذا هو سبيل التطهير وسبيل خلاص النفوس مما تحمل من آثام وشرور .

هذا كان العقاب الجسدي وسيلة ضرورية ، ومشروعة ، وكان هذا العقاب قاسياً ، ومتنوعاً ، بل إن هناك نوعاً من العقاب النفسي أو الروحي يتمثل في منع الطفل من الجلوس على كرسي ، أو على مقعد أثناء الدرس خشية أن نرفع هذه الكراسي ، من هامات الصلاميذ ، فنفسح المجال للغرور والكبرياء .

كل مولود يولد على الفطرة

فلما جاء الإسلام ، حرر الإنسان من فكرة الخطيئة الأصلية . وجعله مسؤولاً عن نفسه وعن سلوكه ﴿ ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ (سورة الأنعام ، الآية ١٦٤) و ﴿ كل نفس بما كسبت رهينة ﴾ (سورة المدثر ، الآية ٣٨) . وعلى ذلك ، فلا صلاح الأبناء يغفر سيئات الآباء ، ولا تقوى الآباء بشاعة عن فساد الأبناء ، ﴿ واتقوا يوماً لا تجزى نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها شفاعة ﴾ (سورة البقرة ، الآية ٤٨) . وحتى الأنبياء ، لا تغني نبوتهم عن خطيئة يرتكبها أبناؤهم . وهذا هو « نوح » عليه السلام ، حينما عصاه قومه ، وابنه معهم ، شاقاً عليه عصا الطاعة ، فكان بينهم « من المغرقين » ، رغم شفاعات نوح إلى ربه :

﴿ رب إن ابني من أهلي ﴾ (سورة هود ، الآية ٤٥) .

﴿ يا نوح ، إنه ليس من أهلك ، إنه عمل غير صالح ﴾

(سورة هود ، الآية ٤٦) .

والفكرة الإسلامية الأساسية ، هنا ، أن الله خلق الإنسان ، وسواه ،

على أحسن صورة ، ثم وهبه العقل الذي يميز به الحق والباطل . وخبر والنشر ، والخميل والقيح ، وهذا هو قانون الفطرة السليمة : ﴿ والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة لعلكم تشكرون ﴾ (سورة النحل ، الآية ٧٨) .

والفطرة ، في اللغة ، هي الخلق الذي خلُق عليه المولود في رحم أمه ، وهي الطبيعة السليمة التي لم تُشَبَّ بعيب . ويرفع الإسلام من شأن الفطرة ، والبساطة والتلقائية ، بل إنه يعتبر الإسلام نفسه دين الفطرة ، أي الدين الذي يلائم طبيعة الإنسان . وسنجيب خجائه . ويشيع دوافعه ، ويحقق تطلعاته : ﴿ فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ﴾ (سورة الروم ، الآية ٣٠) . ولعله من هذه الآية جاء الحديث الشريف : « كل مولود يولد على الفطرة ، وإما أيواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » .

الفطرة والعقل

وقد أورد الإمام أبو حامد الغزالي (٤٥٠ - ٥٠٥ هـ) حديثاً عن النبي صلى الله عليه وسلم مؤداه أن « أول ما خلق الله العقل » .

ويقول الغزالي : « إن العقل الذي يقصد إليه الرسول الكريم ، هو العقل العريزي أو العقل الفطري . السذي يفترق الإنسان به البهائم » .

والعقل فيما يرى حجة الإسلام نوعان . أو مستويان :

المستوى الأول

● « العقل المطبوع » وهو العقل الغريزي الفطري الذي وهبه الله استعداداً طبيعياً للمعرفة والتعلم ، وهذا الاستعداد الطبيعي يميز الصبي عدداً من المبادئ العقلية الأولية أو البديهية ، وهي التي تسميها الفلاسفة « المبادئ الضرورية للمعرفة » مثل : الاثنين أكثر من الواحد - وأن الشخص الواحد ، أو الشيء الواحد ، لا يكون في مكانين في وقت واحد - وأن هذا العقل الفطري يستطيع أن يميز بين « الجائزات » وبين « المستحيلات » .

المستوى الثاني

● « العقل المتأثر بالبيئة » وهو الذي تحصل به المعلومات الكسبية ، أي التي تكتسب من خلال التجربة أو الفعل مستعيناً بذلك بملكة العقل الفطري من مبادئ عقلية أولية ضرورية ، وفطرية . فالنفس الإنسانية مؤهلة بما وهبها الله من فطرة سليمة ، وعقل غريزي أن تصل إلى طريق الرشاد ، إن هي أحسنت استخدام هذا

★ الخوارزمي ★

★ ابن خلدون ★





★ ابن رشد ★

★ ابن القيم ★

يلعب الطفل لعباً جيداً

كما التفت الغزالي إلى أن اللعب حاجة أساسية بالنسبة إلى الطفل ، وضرورة من ضرورات نموه الجسمي والعقلي والوجداني ، وأن الحياة لا يمكن أن تكون للعلم وحده ، فالعمر كله لا يتسع لجميع العلوم . كما أن إرهاق الطفل بالعلم يمت قلبه ، وينغص العيش ، وعلى ذلك فإن الغزالي يدعو إلى تخصيص وقت يلعب فيه الطفل بعد أن يؤدي واجبه من الدرس : « فإذا ما انصرف الصبي ، فليؤذن له أن يلعب لعباً جيداً يستريح إليه من تعب المكتب .. فإن منع الصبي من اللعب ، وإرهاقه بالعلم ، يمت قلبه ، ويبطل ذكائه وينغص عليه العيش .. » .

وزن طبع الصبي وسر قريحته

والطريف أننا نجد عالماً من علماء المسلمين يدعو منذ عشرة قرون إلى ما يعرف اليوم بفن « التوجيه التعليمي » وهو ذلك الفن الذي يعتمد على قياس ذكاء التلاميذ وتحديد قدراتهم ، واستعداداتهم العقلية ، ومعرفة ميولهم واهتماماتهم النفسية ، ثم توجيههم بناء على ذلك كله إلى نوع التعليم المناسب وهذا العالم هو الطبيب الفيلسوف ابن سينا (٣٧٠-٤٤٨ هـ) .

يقول ابن سينا : ليعلم مدبر الصبي أن ليس كل صناعة يرومها الصبي ممكنة له مواتية ، لكن ما شاكل طبعه وناسبه ، وأنه لو كانت الآداب والصناعات نجيب وتنقاد ، بالطلب والمرام ، دون المشاكلة والملاءمة ، إذن ما كان أحد غفلاً من أدب أو عارياً من صناعة ، وإذن ، لاجمع الناس كلهم على اختيار أشرف وأرفع الصناعات .. ولذلك نرى واحداً من الناس تواتيه البلاغة .. وآخر يواتيه النحو .. وآخر تواتيه الخطب .. وآخر يختار علم الهندسة .. وآخر يختار علم الطب ..

العقل ، واستجابت إلى فطرتها السليمة . وأما إذا أساءت استخدام هذا العقل وتنكرت لفطرتها السليمة ، فإنها تحيد عن الطريق السوي ، وتقع عليها التبعة ويحز عليها الخسار :

﴿ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ﴾ (سورة البقرة ، الآية ٢٨٦) .

﴿ ونفس وما سواها . فألهمها فجورها وتقواها . قد أفلح من زكاها . وقد خاب من دساها ﴾ (سورة الشمس ، الآيات ٧-١٠) .

الصبي أمانة عند والديه

والإسلام لم يترك الطفل يتصرف بما وهبه الله من عقل ، دون أن تتوفر للطفل الرعاية والتوجيه والتربية السليمة .

ولعل من أجل النصوص التي خلفها لنا الإمام الغزالي هي تلك التي يجعل فيها تربية الطفل « أمانة » في عنق والديه ، وفي عنق المعلم على السواء ، يقول الغزالي :

« الصبي أمانة عند والديه ، وقلبه الطاهر جوهرة نفيسة ، ساذجة ، خالية من كل نقش وصورة ، وهو قابل لكل ما نُقش فيه ، ومائل إلى كل ما يُمال إليه . فإن عُود الخير وعُلمه نشأ عليه ، وسعد في الدنيا والآخرة ، وشاركه في ثوابه كل معلم له ومؤدب ، وإن عُود الشر وأهمل إهمال البهائم شقي ، وهلك وكان العذر في رقبة القسيم عليه والسوالي له .. » .

كذلك لم يدع الإسلام الطفل أسير فرديته ، وإنما ربطه بإخوته من المؤمنين وجعل بينه وبينهم وشائج متينة من القررى والتقوى ، والبر والتعاون ، فالمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً :

﴿ فأصبحتم بنعمته إخواناً ﴾ (سورة آل عمران ، الآية ١٠٣) .

﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ﴾ (سورة التوبة ، الآية ٧١) .

﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ﴾ (سورة المائدة ، الآية ٢) .

لا ترهقوا الطفل بكثرة العلم

ويدعو الغزالي إلى التخفيف عن كاهل الأطفال ، فلا تثقل عليهم في طلب العلم ، ولا تقدم إليهم منه إلا ما استعدت له نفوسهم ، وألا نقسو عليهم في العقاب . فإذا أراد المعلم أن يزجر الصبي فبطريق التعريض لا بطريق التصريح ، وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ .

كما رسم ابن خلدون (٧٣٤-٨٠٨ هـ) طريقة سليمة للتعامل مع الأطفال تحبب إليهم العلم والتعلم ولا تنفرهم فيه ، فنقدم المعرفة إليهم في البداية « على سبيل التقريب والإجمال وبالأمثال الحسية ، وأن نقدم المبادئ الأولية البسيطة قبل أن نقدم النتائج والغايات التي ينتهي إليها العلم » .

فينبغي ، إذن ، لمربي الصبي ، إذا رام اختيار الصناعة ، أن يزن أولاً طبع الصبي ، وسير قريحته ، ويختبر ذكائه ، ويختار له الصناعات بحسب ذلك .

الركود الثقافي والتدهور الفكري

لكن فترة طويلة من الركود الثقافي ، والتدهور الفكري تمر بالشرق العربي وكذلك بالغرب الأوروبي فيما يعرف بعصور الظلام والانحطاط ، تلك العصور التي استحال فيها الطفل - في المشرق والمغرب - أداة لحمل أسفار وكتب الأقدمين ، فتمت « متن » أو متون قليلة عليها شروح وتخریجات كثيرة ، وعلى الطفل أن يحفظ كل ذلك عن ظهر قلب ، وهي الطريقة التي عرفت باسم « الطريقة التلقينية » ، ولكن أوروبا تستيقظ فجأة من سباتها العميق ، وجودها المدرسي ، على أثر الترجمات التي وصلتها لبعض كتب العرب عن طريق إسبانيا وصقلية ، ومن خلال الاحتكاك الفعلي في الحروب الصليبية . فكتب ابن سينا والخوارزمي وابن الهيثم نصيح من المراجع الأساسية ، وآراء ابن رشد ، وغيره من فلاسفة العرب والمسلمين تغدو موضع نقاش مستمر ، فكان ذلك إيذاناً بنهضة جديدة نعم سائر أوروبا ونهضة لعصر التنوير ، عصر العقل ، والروح العلمي ، الذي بشر به جاليليو ويككون ولوك وغيرهم .

عقل الطفل صفحة بيضاء

وكان « لوك » الفيلسوف الإنجليزي (١٦٣٢ - ١٧٠٤ م) هو صاحب العبارة التي تقول إن الطفل يولد وعقله صفحة بيضاء ، وهي عبارة تذكرنا بكلام الإمام الغزالي الذي سبقت الإشارة إليه . إلا أن « لوك » يأخذ بتفسير حسي مادي لنشاط العقل . فليس هناك في رأي « لوك »

أصدق من الحس مصدراً للمعرفة ، ولستنا ، في رأيه ، في حاجة إلى مبادئ أولية مغروسة في عقولنا بالفطرة . فنحن ندرك معنى الخلو والمر ، ونفرق بينها ، دون الحاجة إلى مبدأ الذاتية أو « عدم التناقض » الذي يحكم باستحالة أن يكون الشيء هو وضده في آن واحد . فالتجربة وحدها هي التي تستنقش على صفحة العقل المعاني والمبادئ جميعاً .

ومن سوء الحظ فإن أفكار « لوك » في الاعتماد على الحواس والملاحظة وإقامة التجارب لم تفهم فهماً سليماً ، والسبب في ذلك يرجع إلى ظهور نظرية أخرى وجدت من يدعو لها ويروجها وهي التي تعرف باسم « نظرية الملكات » . ومؤدى هذه النظرية : أن عقل الطفل يتكون من عدد من الملكات ، المنفصل بعضها عن بعض ، كملكة الإحساس ، وملكة التفكير ، وملكة الذاكرة ، ... إلخ ، وأن الممارسة هي التي تشحذ هذه الملكات وتقويها . فأعادت هذه النظرية التأكيد على أهمية المعارف النظرية ، وحشو الذهن بها بدعوى أن في ذلك « تدريباً » هذه الملكات ، وصقلها ، وتهيئة للعقل لحسن استعمال هذه المعارف في المستقبل ومن هنا شجعت هذه النظرية ، مرة أخرى . على أسلوب التلقين والحفظ والتسميع .

ولعل من الطريف أن نلاحظ أن ابن خلدون في (القرن الثامن الهجري) كان ينقد طريقة حشو الذهن بالمعارف بحجة « الزمان على التعليم » ، فهو يعيب على معلمي عصره تقديمهم إلى الطفل « المسائل المقلدة من العلم » ، ثم بظاليون بإحضار ذهنه في حلها ، وبحسبون ذلك مراناً على التعليم ، وصواباً فيه .. ونكون النتيجة - كما يقول ابن خلدون - أنك « تجد طالب العلم منهم ، بعد ذهاب الكثير من أعمارهم ، في ملازمة مجالس العلم ، سكوتاً لا ينطقون ولا يفاضون ، وعنايتهم بالحفظ أكثر من الحاجة .. » ، أما الطريق السليم في نظره ، فهي طريق « المحاورة والمناظرة » لأنها « أيسر طرق اكتساب ملكة الحظ في العلوم » .

اتجاهات التربية الحديثة

وبينا كانت « نظرية الملكات » تمارس تأثيرها ، وتجد من يدعو لها ويؤيدها بين رجال التربية والتعليم ، إذا بفيلسوف كبير يتصدى لها بكل قوة ، حيناً يلاحظ أن الطفل ينوء بععب ثقل من المعارف والمحفوظات التي توشك أن تفسد عليه طبيعته ، بل وحياته ، سواء في حاضرها أو في مستقبلها . وهذا الفيلسوف هو « جان جاك روسو » (١٧١٢ - ١٧٧٨ م) صاحب كتاب « إميل » الذي أطلق فيه صيحته المشهورة : « إن الطبيعة تتطلب منهم أن يكونوا أطفالاً قبل أن يصبحوا رجالاً » .

ولذلك أخذ « روسو » طفله « إميل » بعيداً عن أبويه ، وعن المجتمع وعن المدارس ليربيه وفق قانون الطبيعة . ومن هنا بدأت تباشير الاتجاهات الحديثة في التربية . وظهر مربيون يحققون دعسوة روسو « في الاستماع إلى نداء الطبيعة في تعليم الأطفال ، في مقابل حشو الذهن

★ يكون ★

★ ادلاطون ★





★ ابن سينا ★

★ جالينوس ★

والخلاصة

إن المفهوم السائد عن الطفولة في العصور القديمة كان يجعل من الطفل صورة مصغرة من الرجل ، وإن على المربي أن يهيئه حياة الكبار منذ الصغر . وحينما ظهرت المسيحية ، ومعها فكرة الخطيئة الأولى ، فلإنها تصورت الطفل حاملاً ، منذ بداية سيلاذه ، لبذور الشر والانحراف ؛ ومن ثم فإن على المربي أن يتعهده بالتقويم والإصلاح ، منذ الصبا الباكر ، فيأخذه بالشدّة والقسوة ، ويدربه على تحمل المتاعب والآلام كسبيل لتطهير النفس وخلاصها من الآثام .

ولقد كانت نظرة الإسلام إلى الطفولة مرادفة للفسطرة ، والتلقائية وتفاوت الطباع ، واختلاف القدرات ، ومن ثم ؛ فإن على المربي أن يأخذ الطفل بما يلائمه من العلوم والفنون والصناعات بعد أن يزن طبع الصبي ، ويسرّ قريحته ، ويختار ذكاءه ، كما يقول ابن سينا ، ودون أن يكلف الصبي بما يزيد على طاقته ، ويحث يترك له وقتاً للراحة واللعب ، كما يقول الغزالي ، لأن منع الصبي من اللعب ، وإرهاقه بالعلم ، يميّس قلبه ، ويبطل ذكاءه وينقص عليه العيش .

وبالرغم من مرور قرون طويلة من الركود الثقافي والتدهور الفكري ، سواء في المشرق العربي الإسلامي ، أو في المغرب الأوروبي المسيحي ، إلا أن الفكر التربوي الحديث الذي بشر به «روسو» في القرن الثامن عشر واستمرت مبادئه الأساسية حتى وقتنا هذا ، جاء معبراً أصدق تعبير عن المفهوم الإسلامي للطفولة ، ومؤكداً لسلامة النهج التربوي الإسلامي .

فأحرى بعلمائنا في التربية أن يعيدوا النظر في تراثهم وأن يستخرجوا جواهره المكنونة ، وأن يعبروا عما فيه من أصالة ، وأن يقيموا فلسفاتهم التربوية بدءاً من هذا التراث ، وأن يشتقوا برامجهم وطرقهم التربوية من بعض العناصر الإيجابية التي نجدها في تراثنا ثم يطوعونها لمعطيات العلوم التربوية والنفسية المعاصرة .

بالمعارف النظرية الجافة . وكانت دعوة روسو في العودة إلى «نبع الطبيعة» عودة إلى المفهوم الإسلامي للطفولة ، المرادفة للفسطرة ، والتلقائية ، وتفاوت الطباع ، وتيسير كل أمرٍ لما خلق له . وقد وجدت هذه الدعوة صدى عظيمًا ، ووجهت اهتمامات المربين وجهة مختلفة تماماً ، بدأت بها صفحة جديدة في الفكر التربوي وفي الطرق التعليمية التي تبدأ من «عند» الطفل نفسه .

ويمكن أن نلخص أهم معالم الاتجاهات الحديثة في تربية الأطفال فيما يلي :

(أ) إن عقل الطفل لا يستطيع أن يقوم بنفس الوظائف ، أو يعمل بنفس الكيفية التي يعمل بها عقل الراشد ، وإن غو الطفل النفسي بصفة عامة يمر بمراحل متعاقبة متمايزة ، الأمر الذي يستوجب اختلاف أسلوب التنشئة الاجتماعية وطريقة التربية ، وكيفية التعامل مع الطفل بصفة عامة ، من مرحلة ثمانية إلى مرحلة أخرى .

(ب) إن من الخطأ النظر إلى الأطفال على اعتبار أن ما يصلح لواحد منهم يصلح بالطبيعة للآخرين ، وبعبارة أخرى أن ننظر إلى الأطفال ، كما لو كانوا متماثلين في التكوين ، ومن ثم نعاملهم بدون تفریق .

(ج) لا ينبغي النظر إلى الطفل كما لو كان جهازاً «ميكانيكياً» جامداً ، نحركه فيتحرك ، ونصب فيه من المعلومات والمعارف فيقبلها حتى يمتلئ ؛ فلقد وجد أن للطفل فاعلية خاصة ، تحكمها استعدادات عقلية معينة ، وحاجات ودوافع بيولوجية ونفسية واجتماعية خاصة ، وأننا لا نستطيع أن نعطيهِ إلا بمقدار ، أي في حدود طاقته على الاستيعاب والفهم ، وفي ضوء حاجاته ودوافعه الخاصة كما أننا لا نستطيع أن نطلب منه أيضاً إلا بمقدار .

(د) ومن أهم معالم الاتجاهات الحديثة في تربية الأطفال ، أن نطلق استعدادات الطفل من عقائدها فنمارس نشاطها الذاتي وإبداعها ، وأن نعرّج بحرية عن إمكاناتها الخاصة ، ثم علينا بعد ذلك — كأباء وأمهات ومربين ومثقفين — أن نتلقف كل هذا ونوجهه ، الوجهة السليمة التي تلائم منطق النمو من ناحية ، وتتمشى مع قيم المجتمع وثقافته من ناحية أخرى .

(هـ) إنه لا يمكن أن ننشئ طفلاً سويساً متكاملًا ، بعيداً عن الجماعة ، والاندماج معها ، فالطفل كائن اجتماعي تواف إلى الاتجاه إلى الجماعة والتشبه بها والانتماء إلى عضويتها .

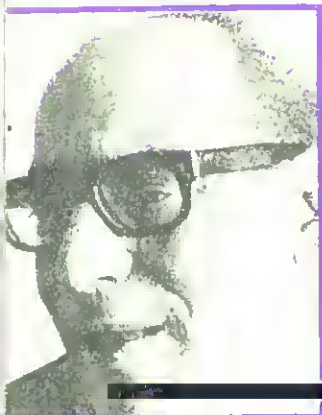
وقد دفع هذا كثيراً من المربين إلى أن يجعلوا من المدرسة صورة مصغرة من الحياة الاجتماعية ، كما تحدث خارج جدران المدرسة . بل نادى بعضهم بأنه لا ينبغي أن تكون جدران المدرسة حاجزاً يحول دون اتصال الأطفال بما يجري خارجها ، والمشاركة في مختلف ألوان النشاط الاجتماعي والاقتصادي والثقافي بالصورة التي تلائمهم ، وبالقدر الذي يربطهم بمجتمعهم وينتظمهم لممارسة أدوارهم الاجتماعية بنجاح في مستقبلهم القريب .



★ أنيس فريحي ★

كل أعداء الفصحى من الصليبيين سواء أكانوا أوروبيين أم كانوا عرباً من مصر ولبنان من أمثال وليم ولكوكس الإنجليزي وسبيتا الألماني وسلامة موسى ولويس عوض المصريين وسعيد عقل وأنيس فريحي اللبنانيين يتهمون اللغة العربية الفصحى بالازدواجية والانقسام ، ويقصدون بها وجود لغتين : إحداها العامية الدارجة التي يتخاطب بها العرب جميعاً فيما بينهم ، والأخرى الفصحى المقصورة على القلم والكتاب .

ازدواجية



★ لويس عوض ★



★ سلامة موسى ★

وقبل أن نفند هذه الأبطولة نقول لأصحابها مجازاة هم : قبلنا دعواكم وسمعنا أن لدى العرب دون الناس لغتين : عامية وفصحى ، فماذا ترون ؟

ويرون أن ندع الفصحى لأن الشعب لا يحسنها ، ونأخذ العامية ونتخذها لغة العلم والكتابة ، وبذلك نقضي على ما يسمونه «الازدواجية» .

والآن ، وقد رأوا القسك بالعامية على زعمهم أنها لغة الشعب ولغة الحياة نسأهم : أي عامية تختار ؟

يجيب سعيد عقل : عامية زحلة ، وليس ما نسبناه إليه قسالة لم يقلها ، بل كتب منذ زمن مقدمة ديوان شعر بعامية زحلة .

وإذا رضينا بأن يجعل كل شعوب الأمة العربية عامية زحلة لغة الأدب والعلم والكتابة والفلسفة والفن فهل يفهمونها ، عندما كتب سعيد مقدمة ذلك الديوان بعامية زحلة مات في كل لبنان ، بل لم يُعرف في «شتورة» التي لا تبعد عن زحلة غير ميل .

ولن يرضى سلامة موسى بعامية زحلة ، بل هو يختار عامية شوارع

يقول سلامة موسى في كتابه «البلاغة العصرية» صفحة ١٤٧ : «يجب ألا يكون للمجتمع لغتان : إحداها كلامية أي عامية ، والأخرى مكتوبة أي فصحى كما هي حالنا في مصر» .
ويقول أنيس فريحي في صفحة ٤٠ من كتابه «نحو عربية ميسرة» : «تنحصر مشاكل اللغة العربية الأساسية في أربعة أمور : وجود لغتين مختلفتين : عامية وفصحى» إلخ .
وقد سبقهما ويلهم سبيتا فقال في كتابه المسمى «قواعد اللغة العامية في مصر» :

«كل من عاش فترة طويلة في بلاد تتكلم العربية يعرف أن الأمر كبير وتأثير كل نواحي النشاط فيها بسبب الاختلاف بين لغة الحديث ولغة الكتابة» .

ويقول سعيد عقل في مقال له منشور بجريدة «النهار» البيرونية : «نواجه معركة اللغة فنخوضها غير هبّايين . إن ناموس الإفصاح يقضي بأن يحل لسان النطق محل لسان الكتاب ، ولسان الكتاب هذا الذي حنا عليه لبنان وأبلغه أشده ولقن العرب كيف اطلاع التحفة فيه .. إلخ» .

وهؤلاء أربعة من أئمة الدعاة إلى العامية وغيرهم مثلهم مجتمعون على أن عيب العربية والعرب وجود لغتين في مجتمعاتهم : إحداها لغة الخطاب الدارجة ، والثانية لغة الكتاب التي لا يحسنها إلا من تعلموها وأتقنوها . وهؤلاء أنفسهم لا يتحدثون فيما بينهم بالفصحى ، وإنما يتحدثون بالعامية التي هي لغة تخاطبهم في البيت والسوق والنادي والمدرسة وفي المعهد والجامعة .

وهذي دعوى من دعاوى أعداء الفصحى الكثيرة ، إذ يزعمون أن العرب وحدهم دون كل الأجناس يستعملون لغتين متغايرتين : عامية وفصحى ، وأما غيرهم من الأمم فلهم لغة واحدة في الخطاب والكتاب .

وما من لغة على وجه الأرض إلا وفيها فصحي للكتابة والعلم ، وعامية للمخاطبة الدارجة ، وإلا لكان الناس متقاربين في الفصاحة والبيان ، وهذا غير واقع ، بل يتعذر وقوعه .

وأعداء الفصحى حيناً يزعمون أنها اللغة الوحيدة التي تختلف عن غيرها من اللغات في مسألة اختلاف لغة القلم والكتاب عن لغة الخطاب إنما يفترون الكذب على العربية وهم يعلمون . . وإذا كان في العربية فصحي وعامية فكذلك كل اللغات شأنها شأن لغة العرب ، وما هي بشاذة بين اللغات .

يقول الأستاذ عباس حافظ - أحد كبار المترجمين من الإنجليزية إلى العربية في العالم وليس في مصر وحدها أو العالم العربي وحده - في مقال له منشور بمجلة « الإذاعة المصرية » سنة ١٩٥١ م :

« إن أرق شعوب الأرض تكتب بلغة تغاير لغة الكلام ، ومن بظن أن الإنجليز أو الفرنسيين أو الروس أو الألمان يكتبون كما يتكلمون يخطئ الخطأ كله ، فإن هؤلاء أيضاً لغة كلامية أو كلاماً دارجاً أو طريقة سخيفة في التعبير لا تستقيم إذا كتب بها ، ولا نكتفي للتأدية الباردة ، ولا تصلح للإنشاء والوصف والترسل والاستطراد المطلوب في الأدب الرفيع » .

ومع وجود لغة عامية ولغة فصحي في الإنجليزية وغيرها من اللغات الحية فإن أولئك الناقين على العربية الفصحى الداعين إلى هجرها واتخاذ العامية بدلاً عنها كذبوا على أنفسهم وعلى الناس حيناً خصوصاً العربية وحدها دون سواها بوصمة الازدواجية ، لأن أهلها يتخذون الفصحى حيناً يكتبون ، والعامية حيناً يتحدثون .

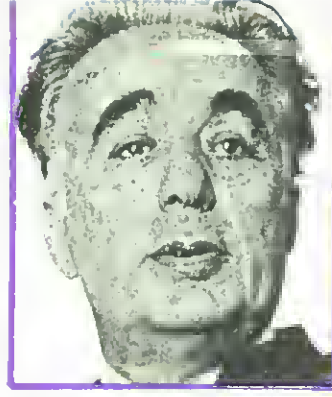
إن أعداء الفصحى لا يجهلون هذه الحقيقة التي تعد من البدييات ، بل يعلمون حتى العلم أن الإنجليزي يكتب بلغة ويتكلم بأخرى . وكذلك الألماني والروسي والفرنسي ، ولكن عداؤهم للإسلام والقرآن دفعهم دعواً إلى معاداة لغتها الفصحى واختلاق الأكاذيب عليها في جراءة وقحة لا مزيد عليها ، مع أن لكل شعب من شعوب هذا العالم لغتين : فصحي وعامية .

فلماذا لا يعادي خصوم العربية لغات الأوروبيين ؟ أليس لديهم فصحي للكتاب ، وعامية للخطاب ؟ ولماذا يقصرون اتهامهم للغة القرآن دون كل اللغات ؟ ولماذا لا يعلنون الحرب إلا على اللغة العربية ؟ لأنها لغة الإسلام ولغة القرآن .

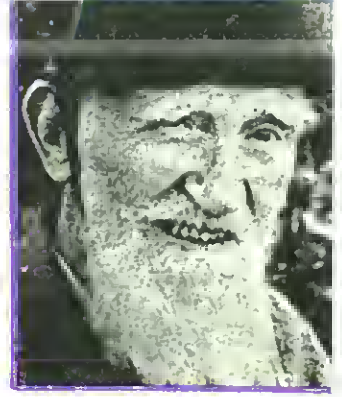
نعم ، إن سبب عداوتهم للعربية الفصحى عداؤهم للإسلام وكتابه المجيد ورسوله العظيم محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم .

ومع أن الدعاة أعلنوا الحرب على اللغة العربية في زمن كان العرب مستعمرين فيه لأعدائهم فإن محاولاتهم زهقت وأخفقت دعواهم فهلكت الدعوة والدعاة وبقيت العربية عزيزة قوية مرفوعة الذكر .

ولما كان الله عز وجل قد تعهد بحفظ كتابه فقد صارت العربية محفوظة بحفظ الله كتابه ، وتلك معجزة القرآن الكريم وسعت لغة الفصاحة والبيان .



* سيد عقل *



* برناردشو *

الفصحى

بقلم : أحمد عبد الغفور عطار

الدواوين قرب ميدان « لاظ أوغلي » لأنه كان يسكن فيه سنة ١٩٣٦ م ، وما بعدها ، وهي تختلف عن عامية شبرا وباب الحديد . وهكذا يختلف الدعاة ولا يتفقون على لغة واحدة من هذه العاميات الكثيرة . وكلها لا يمكن أن تكون لغة القلم والكتاب .

ونحن لم نكتب هذه الكلمة لتفنيد أبطلوة الدعوة إلى العامية ، وهذا نتركها لتواجه دعواهم أن العرب وحدهم هم الذين هم لغتان : فصحي للكتابة والعلم ، ولغة للخطاب هي العامية .

ومن كثرة ترددهم هذه القرية صدقها بعض الكتاب والمثقفين من العرب وأخذوا يرددون وينادون بالويل والثبور من هذه الازدواجية التي نفردت بها لغة العرب دون سائر اللغات . . أفصحح ما زعمه الزاعمون من أعداء الفصحى وما رددته مصدقوهم المخدوعون ؟ .

إن سلامة موسى ولويس عوض يحسنان الإنجليزية وتعلما في بريطانيا ، ويعرفان حق المعرفة أن للإنجليز لغتين : عامية وفصحى ، مثلهم مثل العرب ، وكل لغات العالم - دون استثناء - مثل العربية .

بل يعرف الدعاة ممن يحسنون الإنجليزية كسلامة موسى ولويس عوض أن العامية الإنجليزية في لندن تختلف باختلاف الأحياء والطبقات ، ثم إن عامية الأدباء والشعراء وأساتذة كليات الآداب واللغة ليست مثل عامية الصحفيين ، مع أنهم جميعاً من طبقة المتعلمين والمثقفين .

ولا يمكن أن يتصور مثقف - مجرد تصور - أن لغة الأديب المشهور جورج برنارد شو الإنجليزية هي لغة الشارع ، بل لا يمكن أن نتصور أن الإنجليزية أو الفرنسية فصيحة خالصة ، وليس لها عامية دارجة .

شعراء من السعودية

ينتمي ديوان (وحي الحرمان) باسمه ومضمونه إلى مدرسة فنية لها مكانتها في الشعر العربي المعاصر، وهي مدرسة الشعر الوجداني، وقد تصدر صفوفها رجيل من الشعراء اختلفوا منهجاً واتحدوا غاية، وشغلوا بقضايا الوجدان والذات في محاولة منهم إلى إرجاع الشاعر إلى نبعه الأصيل وهو ذاته وأعماقه، ولم يكن الشعر لديهم وليد مناسبات، كما لم يكن ورقة مزركشة ترفع لعظيم أو كبير.

المتكلم من مثل قوله^(١) :

- إني وريك في هواك موجد
- إن كان عندك في الهوى توحيد
- أشدو بذكرك والغراء يوقني
- لنهاية في الحب وهني بعيد
- تساءلني العواذل ما اقتراحي
- وأنت على الزمان مدى اقتراحي
- قضيت على حي قضيت على ودي
- وأنت التي قد كنت أزي بها زندي

أو في مسحة الحزن^(٢) من مثل قوله مما يقترن فيه بين الخريف والحزن في قصيدة (طلّاع خريف) :

واحق أن شعر الأمير عبد الله الفيصل هو حصيلة تأثر فني بصيحات التجديد في المضمون لدى جماعة التجديد الذهني^(٣) المسماة - وهماً وتجاوزاً - جماعة الديوان، لدى فرسائها الثلاثة : عبد الرحمن شكري (١٨٨٦ - ١٩٥٨ م)، وعباس محمود العقاد (١٨٨٩ - ١٩٦٤ م)، وإبراهيم عبد القادر المازني (١٨٩٠ - ١٩٤٩ م)، الذين تقاربوا مولداً، وتباعدوا وفاءً بمقدار ما تقاربوا في بداية نهضتهم الأدبية وتباعدوا في آخرها.

كما أن شعر عبد الله الفيصل حصيلة تأثر فني بصيحات جماعة أبولو^(٤)، واتجاههم الوجداني، وشعراء رابطة الأدب الحديث^(٥)، وشعراء المهاجر.

وهذا الاتجاه الوجداني أعم من قولنا الاتجاه الرومانسي^(٦)، وإنك لتجد في شعر عبد الله الفيصل كثيراً من النبض الذاتي سواء في ضمير



★ الأمير عبدالله الفيصل ★



★ النازلي ★

شعر محمد بن عبد الله الفيصل

بقلم : د. يوسف نوفل

يا حبيبي كيف ذاك الحب مات
عندما دبت به روح الحياة
أو الحب العذري ملها نكد في قصيدته حل الهوى العذري^(١) :
وساحري بعينها
وروح كالسنا يسري
وسالسيات من ثغر
شهبي ساهوى يغري
إلى أن يقول :

من لي به ويد الحريف
تذوي أزهير الربيع
أو الحب والوجد ، وهو سمة عامة في شعره كله من ذلك قصيدته
(لوعة)^(٢) :

الآقي في عذابك ما الآقي
وحبك في حنايا القلب باق
وتسرف في الصدود وفي التجني
وأسرف في التيساعي واشتياقي
وفي قصيدته كنا وكان^(٣) :
يا حبيبي أين تلك الأمسيات
يوم كنا من هوانا في سبت



أكثر من أي بحر آخر، كما نجد للشاعر قصائد شاعت في الغناء العربي الحديث من مثل قصائده: ثورة الشك (عواطف حائرة) و سنسوقها في نهاية مقالنا، وسمراء^(١٧) ومطلعها:

سمراء يا حلم الطفولة يا منية النفس العليله
وهل تناسيت^(١٨) ومطلعها:
لينه يعرف الملل دائم الخفق لم يزل
هذه الهجر فانبرى يقتل اليأس بالأمل

إلى جانب قصيدته: يا مالكا قلبي. ومن أجل عينيك. وما يؤكد تيار الوجدان في شعره أننا نرى اسم الديوان (وحي الحرمان) ولقب مؤلفه (محروم)، وكان الإهداء: (إلى الذين شاركوني في لذة الحرمان)^(١٩). وصدر الديوان بمقدمتين نثريتين إحداهما لصلاح لبكي بعنوان (هذا المحروم)^(٢٠) والثانية للشاعر نفسه عنوانها (أجل أنا محروم!)^(٢١).

والحرمان هنا رافد من روافد التيار الوجداني عند الشاعر، وعلى الرغم من أن قصائد الديوان لم يحمل منها عنوان الحرمان، أو ما اشتق منه إلا قصيدة واحدة هي (أمل المحروم) التي سنسوقها في آخر مقالنا، فإن الحرمان هو المعنى السائد والمضمون العام للديوان كله، فما الدافع إلى ذلك؟ وهل لشيوع الإحساس بالحرمان في شعره صلة بدوافع ذاتية أم يرجع، في أصله - إلى نزعة فنية لديه؟

إن المقدمة التي احتلت الصفحات الأولى من الديوان هدفت إلى التعريف بالشاعر ومزلقته الاجتماعية، وإلى الإشارة إلى غربي الشاعر: «غربة نفسه مع الأرض»، و«غربة مؤاخاته لمن لا يعرف مدى الصدق في مؤاخاتهم له»^(٢٢).

أما الشاعر فيذهب - في مقدمته - إلى الاستناد إلى الحكم الظاهر على الإنسان، لذا يشير إلى الصفحة الكامنة من تاريخ حياته... يقول: «فأنا لم أولد وفي غي ملعقة من ذهب كما يظن الكثيرون»، ثم يمضي في تصوير نشأته الأولى، وكيف باعدت ظروف المرحلة بينه وبين أبيه، وكيف لمع الصبا في نفسه ومعه أحاسيس وعواطف لم يستطع كبتها، وعجز عن تحقيقها!... يقول:

«فتركت في نفسي أبلغ الأثر من الحرمان - حتى الآن»، ثم يمضي بنا يعرفنا على مراحل نشأته الغضة في كنف جده، وعلى روى نجد، وفي

.. أنت الخاني

وحلمي في الهوى العذري

أو الشك، ونسوق لذلك قصيدته عواطف حائرة^(٢٣) في آخر مقالنا.

أما الشعر عنده فن إلهام حبيبة:

● ففبك للقلب أهواء مجمعة

وفي لقائك دنيا الشاعر الشاكي^(٢٤)

أنصى أمانتي لو تبدين باسمه

أستلهم الشعر من بهمي محيالك

● دعوت الشعر فيك فما عصاني

ولان تباده بعد الخزان^(٢٥)

● ودعت أيام الربيع الناضر

ودفنت آمالي ووحى خواطري^(٢٦)

ووأدت ما في القلب من ذكر الصبا

ونفضت عن ذهني خيال الشاعر

وينبغي ألا يدفعنا ذلك إلى الحكم بأننا إزاء شاعر رومانسي فحسب، بل نحن أمام تيار وجداني دافق، آية ذلك أننا نرى أنفسنا إزاء شعر وجداني لا يخرج عن هذه الدائرة إلا إلى قصيدة واحدة هي قصيدة «شباب بلادي»^(٢٧) التي مازجها - أيضاً - وجدان وطني.

ولعل الشاعر قد آمن فنياً - مع غيره من الشعراء - بما دعا إليه العقاد ورفيقاه شكري والملازمي من الشعر النابع من الوجدان، حيث نكون معاني الشاعر بناته من لحمه ودمه كما يعبر العقاد في مقدمة (لاؤ الأفكار)^(٢٨)، وبما عبر عنه شكري في مقدمة ديوانه (زهور الربيع) من أن الشعر كلمات تخرج من النفس^(٢٩).

وما يؤكد أننا أمام شعر اللمحة الوجدانية أو البارقة الوجدانية - إلى ما تقدم - أنك نجد قصائد ديوان (وحي الحرمان) قصاراً، يراوح معظمها بين القوافي المتعددة في شكل رباعيات أو ثلاثيات. ولعل أطولها كان في عشرين بيتاً، وأقصرها كان في ثمانية أبيات، إذ يجد الشاعر نفسه إزاء دفقة شعورية تجد طريقها في ثانيا تجربة شعورية يعيشها الشاعر بعمق وصدق، فتجسيء في كم من الأبيات متقارب ما بين العشرين والثمانية تقريباً.

أما الوزن الشعري فنرى بحر الكامل (متفاعلين) وبحر الرمل أو مجزوءه [تفعيلة: فاعلاتن] اللذين لدى الشاعر يكثر ورودهما في شعره

الحجاز ، وفي مدرسة من مدارس الحبي ، ثم في مدرسة الحياة حيث كان أستاذه فيها والده . أما ديوانه فكما يقول :

« صورة من شعوري وإحساساتي المختلفة كما هي ، لم يحملها الترويق ، ولم تلونها الأصباغ لأنني أريد أن يكون « صورة طبق الأصل » خيالي ، وصدي حقيقياً لشعوري وعواظي ... »^(٢٣) .

وباستعانتنا بتلك الومضات من مقدمة الشاعر ما يؤكد ما تنتهي إليه دراسة شعره [والاهتمام بدراسة مقدمات القصائد ومقدمات الدراوين جزء من منهج ندعو إليه في دراسة النص الشعري] .

ومن معنى الحرمان هذا بسوق الشاعر السعودي محمد سراج خراز قصيدة بقول فيها^(٢٤) :

يا شاعر الحرمان . وحرمان ملهبة الشعور
ما أبصرت عيناى حرماناً كحرمان الأمير
في كفه الدنيا ، وأسمع منه أنات الأسير

★

ماذا أقول إذن إذا رمت الشكاة وأي شكوى
قد كان في نقشات « محروم » عزاء لي وسلوى

★ ★ ★

ونقتصر من القصيدة على هذه الأبيات التي تقفنا على جذور الحرمان والافتراق واتصافها الوثيق بتيار الوجدان ، وفي ذلك كله نجد أنفسنا أمام شاعر وجداني تقوم التجربة الشعرية عنده على صدق قني .

ونسوق في ختام مقالنا ما وعدنا بالاستشهاد به وهما قصيدته :

عواطف حائرة ، وأمل المحروم .

قصيدة «عواطف حائرة»^(٢٥)

أكاد أشك في نفسي لأنني
أكذ أشك فيك وأنت مئي
يقول الناس إنك خنت عهدي
ولم تحفظ هواي ولم تصني
وأنت مناني أجمعها متنت بي
إليك تحطى الشباب المطمئن
وقد كاد الشباب لغير عؤد
يؤي عن فتى في غير أمن

وها أنا فاتني القدر الموالى
باحلام الشباب ولم يفتني
كأن صباي قد ردت رؤاه
على جفني المسهد أو كاني
يكذب فيك كل الناس قلبي
وتسمع فيك كل الناس أذني
وكم طافت علي ظلال شك
أقضت مضجعي واستعبدتني
كاني طاف بركب الليالي
يحدث عنك في الدنيا وعني
على أنني أغسل فيك سمعي
وتبصر فيك غير الشك عيني
وما أنا بالمصدق فيك قولا
ولكني شقيت بحسن ظني
وبما يساورني كثير
من الشجن المؤرق لا تدعني
تعذب في هيب الشك روحي
وتشقى بالظنون وبالغني
أجبنني إذ سألتك هل صحيح
حديث الناس خنت ؟ ألم تخني ؟

قصيدة «أمل المحروم»^(٢٦)

يا صغير السن يا مرفقه
شوق من جافته ألقه
إن تكن تقوى على طول النوى
فهو في بعدك ما أضعفه !
أو تكن لا تعرف الوجد الذي
لم يئسه أن أن تعرفه
فلقد أذنيته من خفيه
وسوى وصلبك لن يسعه
أنت قلب يئذل الوعد له
فإذا استنجزه سؤقه
وجبن مشرق مؤتلق
من رآه مرة أذنه

وَقَوْمٌ يَهَادِي فِي الرُّبِ
فَيَقُولُ الْبَانُ مَا أَهْيَفُهُ
وَفُهُ لَوْ قَالَ مَنْ يَنْفَعُهُ
هُوَ كَالْعُثَابِ مَا غَرَّهُ
وَنَيَا لَوْلُو فَيُتَلَفُ
أَلَمْ تُسَبِّحْ مَنْ أَلْفَهُ
وَعَلَى صَدْرِكَ خُصًا غَرُّهُ
كَأَنَّ التَّرْجِيمَ مَا كَلَّفَهُ
وَيُؤَدِّفُكَ حَامٍ ضَلَفُ
فَتَقُلْ خَطُوكَ مَا أَصْلَفَهُ!
فَجَمِيلٌ مِنْكَ بَعْدَ الظُّمِّ يَا
أَمَلُ الْخُرُومِ أَنْ تُنْصِفَهُ

في القصيدتين يتجه المعجم الشعري عند عبدالله الفيصل في
التيار الوجداني فنجد الوجد والشجن المؤرق في البيت الثالث من أمل
المحروم. والثاني عشر من عواطف حائرة. ونجد الشوق والذنف والتسفيد
في البيتين الأول والسادس من أمل المحروم. والسادس من عواطف
حائرة.

وكذلك القصيدتين تقومان على التوجه إلى مخاطب. بل تستندان إلى
كاف الخطاب، ووسيلة الأولى منه - إلى جانب كاف الخطاب - فعل
الأمر «أجيني» وهو يقابل أداة النداء في القصيدة الثانية.
ونصور أن مخاطبة الغائب، أو بمعنى آخر استحضار المفقود، وتحيل
حضوره ثم مخاطبته، أقوى وجدانياً من مخاطبة الحاضر الموجود، إذ في
التيار الوجداني من شعرنا نجد أن سماءات التيار الوجداني
عند شعراء.

يبقى - بعد ذلك - أن نقول إن قصيدة عواطف حائرة
بالرغم من كونها لم تحمل اسماً من أسماء الحرمان كانت أشد
دلالة على ذلك من القصيدة الوحيدة التي حملت اسم الحرمان
نما يؤكد ما سبق أن ذكرناه في مقالنا هذا من أن الحرمان هو
«المعنى السائد والمضمون العام للديوان كله»^(٢٧).

الهوامش

(١) سميت مدرسة البهون نسبة إلى كتيب صغير صدره العفد والمأزني في
بدر وفريز (كتون الدار وشباط) عام ١٩٢١م. في جزئين ودار - في معظمه -

حول علمين للنثر والشعر آنذاك هما: المنفلوطي وشوقي. بل هاجم فيه المأزني رفيقه
شكري!! وسماه صنم الألاعيب.

(٢) بعد صدور العدد الأول من مجلة أبولو اجتمع الشعراء في كريمة ابن هاني
بالجزيرة - وهي منزل شوقي - يوم الاثنين ١٠ أكتوبر (نشرين الأول) ١٩٣٢م. وتم
بذلك أول اجتماع لجمعية أبولو برئاسة شوقي الذي مات بعد ذلك بأربعة أيام.

(٣) أنشأها إبراهيم ناجي عام ١٩٤٤م. وضمت طائفة من الشعراء العرب
منهم ناجي والسحري والصيرفي من مصر، ومحمد سعيد العامودي، ومحمد العامر
الريمي وفلاطي من السعودية... إلخ.

(٤) يذهب عبدالله بن إدريس إلى اعتبار عبيد الله الفيصل رائد النزعة
الرومانتيكية في الشعر النجدى المعاصر، وأحد أقطاب الشعر العاصفي في العصر
العربي (شعراء نجد المعاصرون ط ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م. ص ٨٧).

(٥) وحي الحرمان، الأصفهاني ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م. ص ١٠٧، ١٠٨
وص ١١٦، ١١٩.

(٦) ص ٢٧. (٧) ص ١٠٢. (٨) ص ٦١.

(٩) ص ٦٤. (١٠) ص ٥٤. (١١) ص ٢٢.

(١٢) ص ٢٦. (١٣) ص ٨١. (١٤) ص ٤٨.

(١٥) صدر عام ١٩١٣م. ص ١٠٤. (١٦) صدر عام

١٩١٦م. ص ٢٨٨.

(١٧) ص ٥٨. (١٨) ص ٩٤.

(١٩) ص ٣. (٢٠) ص ١٥.

(٢١) ص ١٢ - ١٩.

(٢٢) ص ٦.

(٢٣) ص ١٩.

(٢٤) في ديوانه غناء وشجن، ط ١٩٧٧م. ص ١٦ - ١٨.

(٢٥) وحي الحرمان ص ٥٤ - ٥٧.

(٢٦) نفس المصدر ص ١٢٨ - ١٣٠.

(٢٧) ولد الأمير عبدالله الفيصل بالرياض في الخامس من ذي الحجة سنة

عام ١٣٤١هـ. ونشأ في كنف جده المغفور له جلالة الملك عبد العزيز، وتولت

والدته تربيته، ثم صحب والده المغفور له جلالة الملك فيصل في الحجاز حيث أتم

تعليمه وتكوينه وتنشئته.

صدر ديوانه وحي الحرمان في طبعته الأولى عام ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م. عن

رابطة جمعية الفن في بيروت، ثم ظهرت طبعته الثانية بالناصرة عام ١٩٥٩م. ثم

صدرت طبعة حديثة بجدة عن دار الأصفهاني عام ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م. له أيضاً

خريف العمر عام ١٩٦٢م. وحي الخروف عام ١٩٦٥م.

من كتبوا عنه: طه حسين، من أدب المعاصر، وعبدالله بن إدريس، شعراء

نجد المعاصرون ص ٨٦ وما بعدها، والحقيل، الشعر الحديث في جزيرة العرب

ص ١٢١، وعبد السلام الساسي، الموسوعة الأدبية ج ٣. وأحمد قبش، تاريخ

الشعر العربي الحديث ص ٦٤٥ وغيره، ومحمد العبد الخطراوي، شعراء من

أرض عبقرو، ومحمد دمياطي، رحلة إلى الأعالي، والدكتور عبد الغفار القطر،

الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر، وغيره.

تكنولوجيا المعلومات

في شؤون الحياة

بمقام :
د. سعد الحاج بسكري

في حياة كل إنسان على مدى العصور والأزمان وقفات تأمل وتفكر تسبق إقدامه على أداء عمل أو تكوين رأي أو إصدار قرار . وإذا كانت المجتمعات تعتمد أساساً في مكانتها وعطائتها على قدرات وقيم الأفراد ، فإن مساهمة أي فرد في خدمة مجتمعه هي في قيامه بأفضل الأعمال ، واستنتاجه لأصوب الآراء ، واختياره لأكثر القرارات فاعلية في تحقيق الأهداف المرجوة . ولا شك أن توجه أي فرد في أي شأن من شؤون الحياة المختلفة يعتمد على المعلومات المتاحة له في هذا الشأن . فهذه المعلومات هي مادته في التأمل والتفكير قبل المضي قدماً في التوجه نحو غرضه المنشود بالطريقة التي يراها مناسبة . وتغير المعلومات في أية قضية كانت يؤدي إلى تغير الآراء والقرارات لدى نفس الشخص حتى وإن لم تتغير أهدافه أو وسائله . ولا شك أن شمولية المعلومات ، ومتابعة ما يستجد منها نصف الطريق نحو تبني الآراء السليمة وإصدار القرارات الحكيمة . من هنا تأتي أهمية الحديث عن أثر تكنولوجيا المعلومات في قضايا الحياة المعاصرة .

ونحديث في مسألة تكنولوجيا المعلومات . لا بد من تعريفها من خلال ما يقصد بالتكنولوجيا بصورة عامة . فالتكنولوجيا عامة هي البحث عن الوسائل المفيدة باستخدام المعارف المختلفة . وتقتزن كلمة تكنولوجيا عدة بکل ما هو محسوس وملسوس من نتائج الصناعة . وقد شملت التكنولوجيا قضايا لا حصر لها كصناعة السيارات والطائرات ، ورصف الطرق والإنارة وغيرها . وما مسألة تكنولوجيا المعلومات إلا واحدة من هذه القضايا التي شتمها الأهم بالبحث عن وسائل مفيدة . وتكنولوجيا المعلومات بكميات قليلة هي إيجاد الوسائل التي تسهل تسجيل المعلومات وحفظها وتبادلها وجعلها متاحة لطالبيها بسرعة وفاعلية . وقد مرت تكنولوجيا المعلومات عبر الزمن بعدة مراحل . حيث كانت الكتابة هي أوّل وسائلها ، ثم جاءت الطباعة وتلتها شبكات الاتصالات التي تساهم اليوم مع الحاسب الآلي في تحقيق المزيد من التقدم في عالم المعلومات .

ويعتبر أول تسجيل للمعلومات هو بداية تاريخ البشرية . ولا شك أن المعروف من أحداث العالم في الماضي هو ما نقلته الكتابات عبر الزمن ، أما ما لم تنقله فقد ضاها النسيان . وقد ظلت الكتابة اليدوية هي الوسيلة الوحيدة لتسجيل المعلومات مئات من السنين . ولكن مع تقدم العلوم والمعارف راح الإنسان يبحث عن وسائل جديدة تمكنه من نشر ما يريد من معلومات على أوسع مدى . وكانت الغاية هي إيجاد الطرق لنسخ مقال لتوزيعها على أكبر عدد من الناس . وهكذا ظهرت حروف الطباعة ، ويقال إنها بدأت في الصين قبل أن تعرفها أوروبا في القرن الخامس عشر الميلادي على يدي جوتنبرج .

وكانت عملية الطباعة تجري يدوياً بعد ترتيب الحروف بالشكل المطلوب إلى أن جاء كورينيخ في القرن التاسع عشر الميلادي ليستخدم الآلة البخارية بدلاً من الجهد اليدوي . ثم تقدمت الطباعة ، وساهمت وعلى ذلك فقد كان للطباعة أثر كبير في تسهيل الحصول على المعلومات . حيث ظهرت الصحف والمجلات وانتشرت الكتب والمكتبات وحققت تكنولوجيا المعلومات تقدماً بارزاً في جعل الكثير من المعلومات متاحة لكل



★ الحاسبات الإلكترونية من الأجهزة الحديثة المستخدمة في إنجاز الأعمال ★

راغب .

وقد أدى ظهور الاتصالات السلكية واللاسلكية في القرن التاسع عشر وتطورها السريع بعد ذلك إلى تحقيق المزيد من التقدم في تكنولوجيا المعلومات . فقد أتاحت هذه الاتصالات للكثير من الناس تبادل المعلومات والآراء عبر الأسلاك والكابلات وعبر الفضاء بين أماكن متباعدة من العالم . كما أنها أثرت ظهور الإذاعة والتلفزيون ؛ وكان لبث الكثير من المعلومات عبر هذه الوسائل أثر كبير على توجه الأفراد والمجتمعات في كل مكان .

وقد تختلف الآراء نحو إيجابية أو سلبية آثار هذه الوسائل ، لكن الحقيقة أن هذه الآثار قوة وفعالية وسائل أو تفوق تلك التي تحدثها المطبوعات من صحف ومجلات . وتجدد الملاحظة هنا أن أثر علوم الاتصالات لم يقتصر على الاستماع والمشاهدة بل شمل أيضاً التمكن من تشغيل أجهزة الطباعة عن بعد لطباعة المعلومات المرسلّة في المكان المستقبلي أثناء عملية الإرسال .

وساهم الحاسب الآلي مع الكتابة والطباعة وعلوم الاتصالات في تخزين المعلومات وتسهيل استخدامها ، وهو يستطيع بالإضافة إلى ذلك ، إصدار القرارات المناسبة في الكثير من المسائل بناء على برنامج محدد ، بعد استقراء ما لديه من معلومات تتعلق بالقضايا المطروحة . وتأتي مساهمة الحاسب الآلي في تكنولوجيا المعلومات في الوقت المناسب حيث تتضاعف المعلومات المحفوظة اليوم بمعدل عال يتزايد باستمرار ويبلغ الآن ما يقرب من مرة واحدة كل عشر سنوات .

منايع المعلومات

والمنايع الأول للمعلومات في الحياة هو الطبيعة التي وهبها الله مخلوقاته كي تكون لهم مصدر عطاء لكل ما يحتاجون إليه . والمعلومات من الطبيعة تأتي إلى الإنسان عبر حواسه الخمس ليأخذها العقل البشري وينظر إليها بالفكر والبصيرة ، ويستخلص منها ما يحتاج من النتائج والعبر . والطبيعة كنز لا يفنى من الأسرار ما تكشف منها كان مداخلاً لأسرار جديدة تتطلب المزيد من البحث والتنقيب . وقد حقق الإنسان عبر العصور والأزمان اكتشافات كثيرة وخبرات عديدة حفظتها له وسائل تسجيل المعلومات . وتكثر اليوم وسائل البحث والاكتشاف وتزداد نتيجة لذلك كمية المعلومات حول حقائق الحياة وأسرار الطبيعة ويتطلب ذلك المزيد من خدمات تكنولوجيا المعلومات .

وبالإضافة إلى المعلومات التي يعطيها البحث والاكتشاف ، هناك المعلومات عن الأحداث اليومية ذات الأهمية الخاصة ، التي قد تؤثر على أمة أو مجتمع أو ربما على العالم بأسره . ومن هذه الأحداث ما يكون ذا صبغة سياسية أو اجتماعية أو اقتصادية أو علمية . ومهمة العديد من مؤسسات الإعلام في العالم اليوم متابعة مثل هذه الأحداث ، ونقل المعلومات عنها إلى المهتمين بها . ويؤثر أسلوب تقديم هذه المعلومات على توجهات آراء الناس ، فقد يؤدي حجب بعضها أو التركيز على بعضها

الأخر إلى بناء الآراء على أسس تنتقل إلى الحقيقة المخردة . وبصرف النظر عن مقاييس نقل مثل هذه المعلومات ، لأنها خارجة عن المناقشة المطروحة في هذا البحث ، فإن المعلومات عن الأحداث اليومية أهمية تشكل متطلبات هائلة الخجعة في عالم تكنولوجيا المعلومات . فالكثير من إنتاج الورق في العالم ، والعديد من آلات الطباعة بالإضافة إلى الإذاعة والتلفزيون ووسائل الاتصالات الأخرى ، كلها تعمل اليوم على تسجيل ونشر مثل هذه المعلومات وجعلها متاحة لأكثر عدد من الناس .

وفي الحياة اليومية أيضاً معلومات تسمى إلى الانتشار السريع محاولة تحقيق غاية محدودة وهي التأثير على الرأي العام . ومن هذه المعلومات ما يختص بالدعاية لمنتجات يطلب تسويقها أو الإعلان عن أمر يتطلب اجتذاب عدد من الناس للمشاركة فيه . وتنفق الشركات والمؤسسات عادة في سبيل ذلك نسبة كبيرة من مصروفاتها على وسائل تكنولوجيا المعلومات . وللدعاية والإعلان أساليب متعددة في مخاطبة الزبائن المحتملين ، منها ما يتم عن طريق المبالغة المسلية ، أو التكرار الملح ، أو الكلمات المختصرة الجادة ، أو الصور الأنثوية . وهناك العديد من المواد الدعاية التي توزع على الناس فيما يبدو أنه مجاناً ؛ لكن كلفة هذه المعلومات تدفع بعد ذلك من قبل المشتري الذي يتحمل مصاريف الإنتاج والإعلان معاً .

ومن منابع المعلومات ذات الأهمية المتزايدة بساخطراط في حياتنا المعاصرة السجلات والقرارات والمراسلات الصادرة عن الأشخاص

والهياكل المختلفة ، وتلاحق هذه السجلات والقرارات كل إنسان منذ ولادته وعبر مراحل حياته . فعندما يولد طفل يسجل في تعداد السكان ، ويأتيه بعد ذلك تسجيل آخر عند دخوله المدرسة ، ثم سجلات حول تقدمه الدراسي . وعندما يبدأ عمله لا بد من قرار أو عقد بتوظيفه ، وسجلات بما يتقاضاه من دخل . وإذا أراد أن يسافر أو ينزل في فندق ، أو يزور موطناً غير موطنه ، أو يبيع ويشترى ، أو يؤدي أي عمل آخر ، تسجل المعلومات عنه في سجلات خاصة بهذه الأعمال المختلفة .

وتزايد هذه السجلات اليوم مع توسع وتشعب شؤون الحياة ، ويتطلب ذلك المزيد من خدمات وسائل المعلومات . ولئن كانت أساليب نقل أخبار الأحداث اليومية الهامة ، وشرق نشر معلومات السداعية والإعلان تؤثر في توجيه الرأي العام ، فإن معلومات السجلات والقرارات هي معلومات ثابتة كحقائق الطبيعة لا يهتم بها إلا أصحاب الصلة بمواضيعها المختلفة .

أنظمة المعلومات الحديثة

ومع تزايد متطلبات منابع المعلومات كان لا بد من المزيد من البحث والعمل على تطوير وسائل تكنولوجيا المعلومات واستخدامها على أفضل وجه ممكن . وقد كان لتقدم العلوم الإلكترونية ، بفرعها الاتصالات والحاسب الآلي ، الدور الأول في هذا المجال . فقد تطورت شبكات

★ جهاز إرسال الصور بافتق ★



الاتصالات السلكية واللاسلكية لتغطي العالم بأسره ؛ حيث امتدت كابلاتها عبر البحار والمحيطات ، وشيدت الأبراج وأطلقت الأقمار الصناعية الخاصة بنقل المعلومات لاسلكياً بين مناطق العالم المختلفة . وأدى ذلك كله إلى تسهيل نقل المعلومات الخاصة أو بث المعلومات العامة مباشرة من منابعها إلى طالبيها . وكان أن ازداد عدد المشتركين في مثل هذه الشبكات من أشخاص أو هيئات مختلفة ، ولا يخفى ما في ذلك من انخفاض في كلفة نقل المعلومات عبر هذه الشبكات وبالتالي جعل هذه الوسائل متاحة لأكثر الراغبين .

ومع تقدم وسائل الاتصالات تطورت أيضاً صناعة الحاسب الآلي . فقد تمكنت هذه الصناعة من خفض كلفة حاسب اليوم بالمقارنة مع كلفة حاسب الأمس ، الذي ظهر مع بداية النصف الثاني من هذا القرن ، أكثر من ألف مرة . واستطاعت أيضاً تقليص حجمه باستخدام دوائر التكامل الإلكترونية المصنوعة من مادتي السيليكون والجرمانيوم ؛ فبإمكان دائرة تكامل حديثة تحتل مساحة سنتيمتر مربع واحد أن تؤدي عمل آلاف من الصمامات الإلكترونية المفرغة التي صنع منها أول حاسب آلي .

وحققت الصناعة بالإضافة إلى ذلك ، تقدماً كبيراً في طرق استخدام الحاسب ، فبعد أن كان استعماله يحتاج إلى خبير في دوائره الإلكترونية ، أصبح استخدامه اليوم سهلاً يمكن لأي فرد تعلمه في ساعات محدودة . فإذا كان تعلم قيادة السيارة يحتاج إلى ثلاثين ساعة ، فإن تعلم استعمال الحاسب يحتاج أحياناً إلى أقل من ذلك .

ويستطيع الحاسب الآلي أخذ المعلومات وحفظها وأداء عدد من عمليات المقارنة عليها بسرعة فائقة إذا ما طلب إليه ذلك . ولئن كان لمح البصر لدى الإنسان يستغرق ثانية واحدة من الزمن ، فالحاسب قادر على أداء بعض عملياته بزمن يقدر بالميكروثانية ، أي جزء من مليون من لمح البصر . ويتكون الحاسب الآلي بشكله القديم والحديث من ثلاثة أقسام رئيسية هي : وحدة حفظ المعلومات أو الذاكرة ، وأجهزة إدخال المعلومات واستخراجها ، ووحدة تنفيذ العمليات .

ويضاف عادة إلى ذاكرة الحاسب الآلي وسائل تخزين أخرى تعمل على حفظ المعلومات لمدة طويلة بحيث يمكن استخدام هذه المعلومات عند الحاجة . وتعتمد هذه الوسائل على المبدأ الكهربائي المغنطيسي في تسجيل المعلومات ، وتكون عادة على هيئة شرائط أو أسطوانات مغنطيسية . أما أجهزة إدخال المعلومات واستخراجها فتكون عادة على هيئة طابعات أو شاشات كهربائية ضوئية .

وتكمن أهمية عمل الحاسب الآلي في قدرته على أداء عملياته المختلفة أو بعضاً منها وفق أي تسلسل يطلب إليه تنفيذه . ويدعى تسلسل العمليات المطلوبة عادة ببرنامج عمل الحاسب ؛ ويمكن تغيير برنامج العمل هذا تبعاً للحاجة . ومن أكثر البرامج المألوفة في أنظمة المعلومات تبويب هذه المعلومات وتعديلها والإضافة إليها والحذف منها . ومثال ذلك نظام المعلومات الخاص بالبحر

للسفريات ؛ حيث تخزن المعلومات عن الرحلات المختلفة ، وتفتح السجلات للمسافرين على هذه الرحلات . وعند قدوم مسافر جديد يطلب مستخدم الحاسب استخراج سجل الرحلة المطلوبة المحفوظ في وسائل التخزين ، ويضيف إليه المعلومات الجديدة المطلوبة ، ويمكن أداء العمل بنفس الطريقة عند اعتذار أي من المسافرين . ولا يستغرق مثل ذلك عادة أكثر من ثوان قليلة .

وقد أدى تطور علم الحاسب الآلي إلى جانب تقدم علوم الاتصالات ، إلى ظهور شبكات تصل ما بين عدد من الحواسيب وهم في أماكن متباعدة . ويمكن لهذه الحواسيب عبر وسائل الاتصالات تبادل المعلومات المخزنة والمعطاة لأي منهم كما يحدث بين الأشخاص عبر أجهزة الهاتف . وهناك اليوم عدد كبير من أنظمة المعلومات التي تعتمد على هذه الشبكات في مختلف أنحاء العالم . وبعض هذه الشبكات تخصص للأعمال اليومية في المؤسسات ؛ ومثال ذلك شبكات المعلومات الخاصة بالمصارف . فلكل مصرف عادة فروع عديدة ، وكل فرع عدد من المشتركين . وتفيد شبكات الحواسيب هنا في حفظ سجلات هؤلاء المشتركين ، ونقل المعلومات عن أي مشترك من الفرع الذي يحفظ سجلاته إلى أي فرع يريد هذا المشترك التعامل معه في أي وقت من الأوقات أخذاً أو إيداعاً . وتمثل هذه العملية في ثوان محدودة مهما تباعدت المسافات .

ومن المجالات الأخرى التي بدأت تعتمد على شبكات الحواسيب البحث العلمي وبت المعلومات المختلفة والعديد من الأغراض العسكرية . فهناك اليوم شبكة اتصالات تصل ما بين أكثر من ستين حاسب آلي في مراكز بحوث موزعة فوق مناطق متعددة من أميركا وأوروبا . ويستطيع أي باحث في أي من هذه المراكز الحصول على المعلومات من أي مركز آخر متواجد في الشبكة . وهناك أيضاً شبكات حواسيب تحفظ باستمرار آخر الأخبار الواردة من مناطق مختلفة في مجالات محددة . ومثال ذلك شبكة الأخبار الاقتصادية في بريطانيا . ويستطيع المشترك في مثل هذه الشبكات طلب المعلومات التي يرغب في معرفتها ، ليجدها أمامه مباشرة تطبع على الورق ، أو تظهر على شاشة تلفزيونية . وقد يتمكن الإنسان في المستقبل القريب باستخدام أنظمة المعلومات الحديثة من أن يطلب الأخبار المتعلقة بالمواضيع التي تهمه بدل أن يأخذ ، كما هي الحالة اليوم ، الأخبار التي تعطى إليه عبر أجهزة الإعلام المختلفة .

الآلة تحكم

ولا يقتصر دور العلوم الإلكترونية على حفظ المعلومات المبوبة ونقلها بين أماكن متباعدة من العالم لمساعدة الإنسان في تكوين آرائه ، وإصدار قراراته على أسس سليمة ، بل يشمل أحياناً اتخاذ بعض القرارات وتنفيذها نيابة عن الإنسان . ولنعد في هذا المجال إلى شبكات الحواسيب المستخدمة في المصارف . فعندما يطلب أحد المشتركين سحب جزء من أمواله المودعة في فرع من فروع أحد المصارف ، تقوم مكونات شبكة

الحواسيب بالاطلاع آلياً على سجل المشترك في الفرع الحافظ لأمواله . فإذا كان في هذا السجل من المال ما يسمح للمشارك بسحب ما يريد يأتي القرار الآلي بالدفع ، وتقوم العدادة الميكانيكية بعد الأموال المطلوبة ، وتقديماً إلى المشارك . أما إذا كانت معلومات السجلات تدل على عدم وجود المال الكافي في ودائع المشارك فالقرار يكون بعدم السدفع ويبلغ المشارك عبر شاشة مضيئة بقرار الآلة .

وهناك في المستشفيات اليوم حواسيب تجمع المعلومات آلياً عن حالة بعض المرضى ، ومن ثم إصدار القرارات المناسبة في الوقت الملائم . ففي غرف العناية الخاصة مثلاً تعطى المعلومات عن المريض المراقب عبر أجهزة خاصة إلى حاسب آلي مصمم لهذه الغاية ، وتشمل هذه المعلومات التنفس ، وضغط الدم ، ومعدل النبض ، وأمور أخرى كثيرة . ويقوم الحاسب بعد ذلك بتقديم التقارير الدورية عن حالة المريض والعلاج الذي يحتاج إليه ، كما أنه يقوم أيضاً بإطلاق إشارات الإنذار إذا ما وصلت حالة المريض إلى مستوى الخطر . وقد تحدد هذه الإشارات نوع الخطر كي يتم الإسعاف السريع تبعاً لأسباب الإنذار .

ومن إنذار غرف العناية في المستشفيات إلى الإنذارات العسكرية في حالات الهجوم المفاجئة . فهناك اليوم أنظمة رادار تستخدم شبكات الحواسيب في أخذ المعلومات وتحليلها ونقلها بين أماكن متباعدة . وتقوم هذه الشبكات بحفظ المعلومات عن التحركات المعتادة في مختلف الجبهات ، ثم تقوم آلياً بأخذ المعلومات عبر أجهزة الرادار عن الأوضاع القائمة في هذه الجبهات . فإذا أمكن رصد تحركات معادية ، يقوم الحاسب المختص بتحليل هذه التحركات وإبلاغ القيادة والمراكز المهتدة وإطلاق إشارات الإنذار عندما تدعو الضرورة .

وقد ثبت أنه مهما كانت دقة الآلات في أخذ المعلومات ، وتوجيه القرارات فإنها معرضة لأخطاء قد تلحق الأذى بالبشرية جمعاء . ومثال ذلك ما جرى في صباح يوم من أيام شهر تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩٧٩م ، عندما أعلن الحاسب الآلي في وزارة الدفاع الأميركية عن خطر هجوم نووي سوفيتي ، وأصدر الأوامر بالتأهب للرد الفوري على هذا الهجوم دون أن يكون هناك أي خطر أو هجوم . وقد وصل الأمر إلى درجة أن بريطانيا تلقت الإنذار الأميركي ، وكادت تنأهب للمشاركة في الرد ، لولا أن ثبت ، بعد ذلك بقليل ، وجود خطأ وقع فيه الحاسب الذي أراد للحرب النووية أن تبدأ .

ولا بد بعد الحديث عن تقدم تكنولوجيا المعلومات وخدماتها في شؤون الحياة من وقفة تأمل وتفكير بالمستقبل ، فالتقدم في هذا المجال ، شأنه شأن التقدم في كل مجالات الحياة ، يحمل للإنسانية حدين في أحدهما سعادة ورفاهية كل بني البشر وفي الآخر معاناة ومآسي تفوق ما واجهته البشرية في الماضي . فهل من تقدم في الوعي الإنساني إلى جانب تقدم التكنولوجيا الحديثة ! !

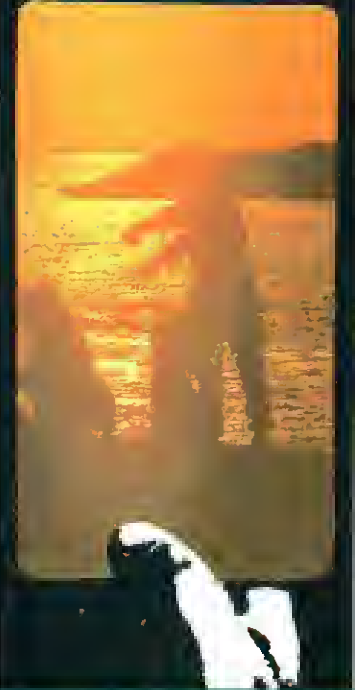
مكة وتاريخ

القنفذة

بقلم : حسن إبراهيم النقيه

تعتبر مدينة القنفذة من الموانئ المهمة على الساحل الغربي بالمملكة العربية السعودية ، وقد عاشت هذه المدينة حياة تجارية وحضارية خلال القرون الهجرية الخمسة الماضية ، لعبت في خلالها دوراً مهماً في الحياة العامة بتهامة والحجاز ، فكانت بحكم موقعها باباً بحرياً للمنطقة التهامية والسروية التي تتدلى عليها من الشرق ، كما كانت مدخلاً جنوبياً للتجارة وحجاج اليمن والهند إلى مكة المكرمة في فترات من تاريخها .

★ الطيور البحرية والمباني ★



سهل تامة مع امتداد جسم البحر الأحمر موازياً لها؛ ظهور موانئ على الساحل الشرقي لهذا البحر هي بمثابة الأبواب التي تدخل عن طريقها احتياجات سكان هذين الامتدادين الجبلي والسهلي من المستوردات المجلوبة من بعض الأمصار داخل الجزيرة العربية وخارجها، كما تصدر عن طريقها منتجاتها وسائر مصدراتها إلى أماكن أخرى داخلية وخارجية في إطار تبادل المنافع التجارية التي تمثل جزءاً من النشاط البشري الممارس. إضافة إلى أن تلك الموانئ قامت فيها أسواق تجارية قوامها ما يصل «فرضاتها» من شتى أنواع السلع التجارية من الداخل والخارج، وعاد ذلك النشاط مع طبيعة الموقع الاستراتيجي على مدن تلك الموانئ بمعطيات عمرانية وحضرارية واقتصادية أكسبتها الغناء والبقاء، وجعل كلاً منها تلعب دوراً مهماً في تاريخ الحياة البشرية على طول امتداد هذا السهل الساحلي، وما يصاحبه شرقاً من البلاد الداخلية التي تدر على تلك الموانئ بحيراتنا وتأخذ منها احتياجاتها من المستوردات كما أسلفنا. كما أصبحت تلك الموانئ نقاطاً ذات أهمية كبرى في مجال الاتصالات البحرية والبرية وقواعد لنشاطات عسكرية بجانب وظيفتها المدنية التجارية.

ويعود تاريخ نشأة بعض تلك المدن البحرية «كلويكة كوم» و «الجار» و «جدة» و «الشعيبة»، إلى ما قبل الإسلام^(١) وظهر بعض آخر منها في العصر الإسلامي وإن كان لا يعرف

★ أحد الأبواب المزخرفة ★



كما أنزلت قري منطقتهما الداخلية بأصناف مستورداتها، وصدرت عن طريق مينائها العديد من منتجات هذه المنطقة الزراعية منها والحيوانية وغيرها. وانعكس هذا النشاط التجاري على حياتها العمرانية والاجتماعية والاقتصادية، فأصبحت نصيباً حضارياً لم يكن حظها فيه أقل من مثيلاتها شمالاً وجنوباً إلى ما قبل السبعينات من القرن الرابع عشر الهجري. ثم تأثرت حركة التجارة البحرية فيها بوسائل النقل البري، وبدأت جذوة النشاط الاقتصادي بها تخفت شيئاً فشيئاً إلى أن انطفأت، ولكن نشطت دماء الحياة فيها حركة الخدمات الحكومية، وبعض موارثها من أعمال البيع والشراء، وصيد الأسماك، وصناعة القوارب، وما شابه ذلك. وتشهد في الآونة الأخيرة حركة عمرانية وتعليمية وثقافية تأخذ بيدها لتلحق بركاب أمهات المدن.

وفي هذا التعريف المختصر عنها نحاول تقديم صورة عنها، وعن موقعها وأهميتها، ومدى قدمها وتبعينها، وبعض الأحداث التاريخية التي ندل على ذلك، وسبب تسميتها إلى غير ذلك مما نأمل أن يجد فيه القارئ إيضاحاً لما قد لا يعرفه عن هذه المدينة البحرية.

الإطار الجغرافي

اقتضى الوضع الجغرافي الذي بكونه امتداد جبال السروات وامتداد

★ سقف أحد المحال القديمة ★



على وجه التحديد أو الضبط التاريخ الذي قامت فيه كل منها ، لكن بعض المدن البحرية التي قامت في العصر الإسلامي يمكن معرفة الحقبة التاريخية التي نشأت فيها على وجه التقريب ومن تلك المدن مدينة القنفذة التي نحسبها قامت على حياة هذا الميناء أو المرسى الطبيعي ، وانبعثت نواتها على شاطئه منذ حوالي القرن الثامن الهجري غالباً - على نحو ما ستوضحه قريباً - وليس معنى ذلك أن هذا الميناء أو المرسى الطبيعي الذي قامت بجواره القنفذة لم يستعمل لرسو السفن إلا في أيام حياتها ، بل نعتقد أنه كأي مرسى طبيعي موجود على هذا الساحل قد استخدمه منذ أقدم الأزمنة رواد البحر من أصحاب سفن الصيد والتجارة

التي كانت تجوب مياه البحر الأحمر ، وترتاد شواطئه سواء للاستقرار في بعض مواقعه الجغرافية : كالجزيرة التي تطله من الغرب ، أو الجزر الأخرى القريبة منه ، أو للجوء إليه عند هبوب العواصف ، والاستكنان بها مباحة هائلة ، وأما لاستخدامها في الملاحة البحرية ، فلهذا كانت تجاوره له كالجوهر والمياه والأغنام ، وبيع بعض ما تحمله من الميرة أو الصيد أو غير ذلك لسكان البرية . بل يمتد بنا الاعتقاد إلى أن سفن التجار العبرانيين والفينيقيين والآشوريين التي كانت تجوب سواحل البحر الأحمر طلباً للذهب ، قد استخدمت هذا الميناء المتميز بموقعه الهادئ ، وذلك في رحلاتها التجارية

★ فصل « رسم » - من المنازل القديمة ★



★ نقش على الخشب والحجر والزخرفة القوسية في البناء ★

لاستجلاب هذا المعدن ، وكذلك بعثات سليمان عليه السلام التجارية ، التي كانت تنقب عن الذهب قرب سواحل البحر الأحمر ، حيث كانت تلك البعثات والرحلات تستخرج وتعود بكميات هائلة من الذهب المستخرج من معادن أسناد الجبال القريبة من موقعه^(٧) .

ويؤيد هذا الاعتقاد أن هذا الميناء يقع في إطار منطقة أوفير (Ophir) سواء تلك التي قبل إنها بين القنفذة ومرسى (حليج) حلي^(٨) أو تلك التي يقال بأنها (بين القنفذة وعتود)^(٩) التي « يظهر من المؤلفات اليونانية ، ومن الكتب العربية أنها كانت معروفة بوجود النير فيها ، وأن الناس كانوا يشتغلون فيها باستخلاص الذهب ، ولذلك رأى « موريتس » أن هذه المنطقة هي منطقة (أوفير) التي ورد ذكرها في التوراة على أنها كانت تصدر الذهب^(١٠) » .

كما يؤيد هذا الاعتقاد أن من أشهر مواقع الذهب القديمة وأجودها « نوعية ذهب » ما يقع في إطار هذه المنطقة قريباً من ميناء القنفذة كمعدن ذهب عشم^(١١) الذي عرف بغزارة معدنه وتفوق ذهبه الأحمر على غيره^(١٢) من سائر ذهب معادن جنوب غربي جزيرة العرب ، حيث يقع موقع هذا المعدن شمال شرقي القنفذة ببضع وستين كيلاً^(١٣) ، كما أن



★ صدور المنازل من الداخل المزودة بالمزهريات والتحف - وإحدى الجلسات العائلية ★

أهمية الموقع

يتميز موقع هذه البلدة بموقعه وسطاً بين مدينتي جدة وجازان وتدي جبال السروات وتهامة عليه من الشرق مع وجود امتداد السهل الساحلي التهامي شرقه وشماله وجنوبه ، فنهياً لها أن تكون الميناء الطبيعي للجزء الشمالي من تهامة عسير وتهامة وسروات بني شهر وبالقرن ،

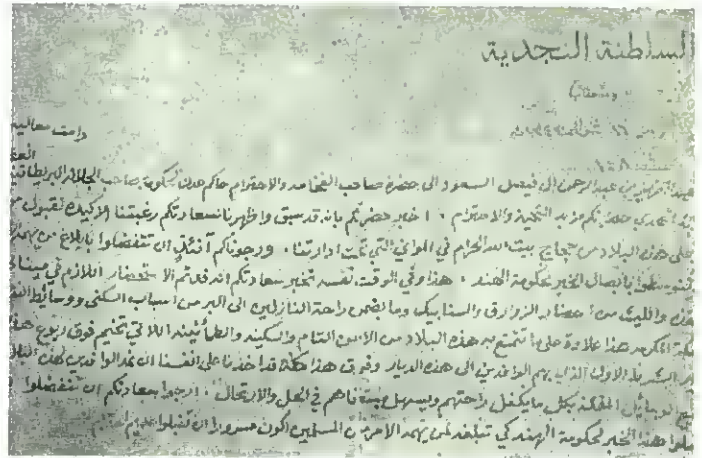
والجزء الجنوبي من سراة وتهامة غامد وزهران ، وأصبحت النافذة البحرية الكبيرة لهذه المنطقة عموماً ، تستقبل عن طريقها ما تحمله إلى مينائها السفن الشراعية التجارية من أصناف المستوردات المخلوبة من مدن الجزيرة العربية ، ومدن ساحل إفريقيا الشرقي وغيرها ، كما تصدر عبره صادراتها المتنوعة من الخبواب والمنتجات الحيوانية وغيرها التي كانت إلى عهد قريب تزرخ بها فرضة مينائها ، كما هيأها موقعها جنوب مكة وجدة ووجودها حاضرة للمنطقة السهلية والجبلية القريبة منها ، وما تزرخ به هذه المنطقة عامة وحاضرتها خاصة من الإمكانيات المادية والبشرية والحياة الحضارية المتقدمة إلى أن يتخذها بعض ولاه مكة مصدر استمداد بشري ومادي وقاعدة انطلاق حربي في حملاتهم وصراعاتهم الداخلية على السلطة في تولي إمارة مكة ، كما استعملها بعضهم قاعدة لحكم منطقتها

معدن ذهب «ضنكان» يقع في إطار هذه المنطقة جنوب شرقي ميناء القنفذة بحوالي مائة وخمسين كيلاً ، وكان منهوياً أيضاً في القديم ، بجودة ذهبه وغزارته ووجود ذهبه نقياً خالصاً^(١) ، ولعل هناك من مواقع المعادن ما وجد في أستاذ الجبال مقابل سيناء القنفذة ثم اندثر وجهل موقعه ولم يرد ذكره في شيء من كتب التراث ، فلعل مما سبق يتضح ما يؤيد الاعتقاد باستعمال تلك الرحلات التجارية والبعثات الخارجية لهذا الميناء قبل أن تقوم عنده هذه البلدة بعشرات القرون .

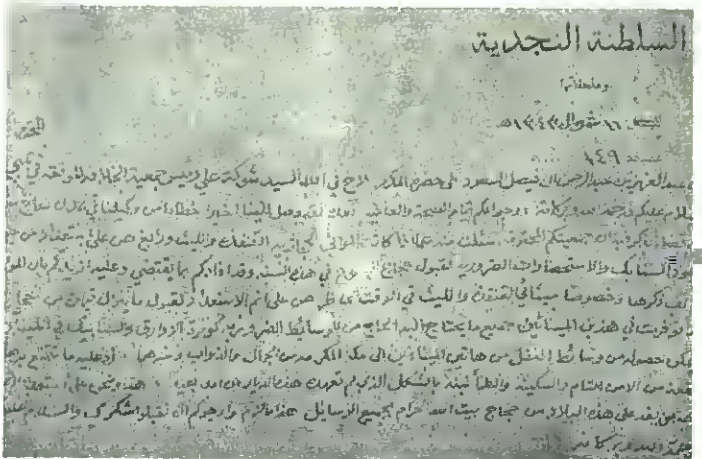
الموقع

على الشاطئ الشرقي للبحر الأحمر ، وجنوب مدينة جدة بمسافة ثلاثمائة وعشرين كيلاً جواً وثلاثمائة وخمسة وسبعين كيلاً براً ، وعلى بعد ثلاثمائة وأربعة وأربعين كيلاً من جنوب مكة المكرمة ، تقع مدينة القنفذة ، وبالتحديد عند نقطة تقاطع خط طول ٤٥ ° ٤١ شرقاً بدائرة عرض ٨ ° ١٩ شمالاً .
وقد تبوأ مكاناً وسطاً من منطقة مصب فروع «وادي قنونا» الذي تنحدر مياهه من رؤوس جبال السروات والتلال الجبلية الواقعة شرقاً متجهة في المداير إلى البحر الأحمر .

السلطنة النجدية



السلطنة النجدية



★ وثيقتان تاريخيتان تدلان على أهمية ميناء القنفذة ★

ونقطة تحكم فيما يرد إلى الحجاز عامة من صادرات اليمن ، متخذاً قطع طريق واردات اليمن إلى الحجاز منها وسيلة من وسائل الحرب والصراع ، واتخذت أيضاً ملجأ لبعض المصروفين عن الحكم عن ولاية الحجاز ، ولذلك تعرضت لكثير من المحن والتعاقب على مدى الحقب التاريخية الماضية منذ نشأتها^(١٢) .

إضافة إلى ذلك ما تشير إليه بعض المؤلفات من اتخاذ المصريين لها قاعدة لأعمالهم الخيرية في حملاتهم على عسير ، ثم ما كان يدور في ميادينها من معارك طاحنة بين القوى الحاكمة المتصارعة في نهضة والحجاز^(١٣) مما عرضها كثيراً لغارات السلب والنهب ، على أنها رغم ذلك قد نعمت في بعض الفترات بنشاط اقتصادي وعمراني جعلها محط رجال كثير من الفئات البشرية التي استوطنتها ، وتعود في أصولها إلى بعض جهات الجزيرة العربية وغير الجزيرة العربية .

وعندما أطل العهد السعودي الزاهر لعبت بموقعها الاستراتيجي دوراً كبيراً في إثراء الحياة التجارية والتموينية لبعض مدن الحجاز وخاصة مكة المكرمة قبل الفتح السعودي لميناء جدة ، حيث استمرت قوافل التجارة والحج منها إلى مكة المكرمة وقوافل التجارة البحرية حتى بعد الفتح السعودي لمدينة جدة . وتسجل لنا بعض الوثائق التاريخية

استخدام مينائها باباً لمكة المكرمة يدخل عن طريقه حجاج جنوب الجزيرة العربية ، وحجاج جنوب شرقي آسيا وخاصة حجاج الهند ؛ فقد أرسل جلالة المغفور له الملك عبد العزيز آل سعود طيب الله ثراه رسالتين مؤرختين في ١٦ من شوال سنة ١٣٤٣هـ ، إلى كل من حاكم عدن وإلى رئيس جمعية الخلافة في بومبي ، يؤكد لهما استعداد ميناء القنفذة والليث لاستقبال حجاج جهاتهما ، وأن هذين الميناءين متوفر بهما كافة الوسائط النقلية منها إلى مكة المكرمة^(١٤) .

مما سبق يتضح جانب كبير من أهمية موقع هذه المدينة ومينائها بالنسبة للحجاز واليمن والمناطق النائية والسروية الداخلية .

اسم القنفذة

ينطق العامة اسم (القُنْفُذَة) بضم الفاء والغاء وإسكان النون وفنح الدال المهملة بعدها التاء المربوطة . وشاع إعجام الدال في السنة بعض المتعلمين وفي بعض الكتابات مؤخراً^(١٥) ، مع أن بعض كتب التراث أوردت اسمها بالدال المهملة^(١٦) .

وعلى أي حال فإن «الابدال بين الدال والذال شائع في لهجات بعض العرب ... ويؤيد التعاقب بينها في اللهجات العربية ما يرى من إبدال الذال العربية دالا في اللهجات الأرامية وفي كثير من الألفاظ الأجرينية»^(١٧) .

ويشاع عند العامة اليوم أن سبب التسمية يعود إلى أن امرأة كانت تسمى بـ (القنفذة) كانت أول من أقام مسكناً في موضع هذه البلدة ، فتسمى الموضع باسمها واكتسبت هذه البلدة اسمها من ذلك . لكن يأبى الخيال الشعبي إلا أن يضيف إلى ذلك بعض الشيء ، فيقال إن زوج هذه المرأة كان يسمى بـ « البندر » فتسمت البلدة باسميهما « القنفذة » و « البندر » ، والبندر علم هذه البلدة أيضاً لا يزال معروفاً في السنة سكان البوادي القريبة منها على وجه الخصوص .

وإذا كان من الممكن احتمال عودة سبب تسمية هذه البلدة إلى سكنى امرأة تسمت بهذا الاسم ، وانتقل إلى اسم الموقع بعد سكنائها به أو لعلها كانت تملك الأرض الزراعية القريبة من موقع هذه البلدة قبل نشأة نواتها ، فسكنت بجوار هذا الموقع واشتهر باسمها ، أو كانت تلك المرأة قد سكنت بجوار هذا المرسى مقابل الجزيرة القريبة من الشاطئ مشغولة بتقديم بعض الخدمات كبيع الحبوب والماء والحطب أو غير ذلك من الضروريات لأصحاب السفن الشراعية وقوارب الصيد التي تجوب في مياه البحر وترسو في هذا الميناء .

لكن تسميتها باسم (البندر) تسمية يبدو أنها أطلقت عليها بعد أو حين غزو الجراكسة والعثمانيين لجنوب الجزيرة العربية حيث يطلق هذا الاسم على المدن البحرية التجارية أو مرابط السفن على الساحل . كما في (الفارسية) على ما

الحطب الزمنية على أنقاض ونشاط هاتين المدينتين ومبانيهما ، فظهر مبناء القنفذة الذي قامت عنده هذه البلدة . وثالث الدور التجاري والحضاري الذي لعبته (مدينة حلي وميناؤها) كما قامت بلدة (الليث وميناؤها)^(٢٧) بالدور نفسه بعد موت مدينة السرين في حوالي تلك الحقبة التاريخية آنفة الذكر .

ويظهر أن نواة بلدة القنفذة كانت موجودة قبل القرن التاسع الهجري حيث تطالعنا إشارة تاريخية تذكر ذلك فنقول : « بلغ السعر فيها في هذه السنة ست عشرة وثمانمائة كل غرارة مكية ذرة بثلاثين مثقالاً ذهباً وهذا شيء لم يعهد مثله من دهر طويل ، وسبب الغلاء في بلاد اليمن قلة الزرع بها لقلة المطر ، وصار أهل اليمن وأهل سواكن يجلبون الذرة إليها من قرية يقال لها «قنونا» بقرب حلي ، ومنهم أيضاً يجلب ذلك إلى مكة المكرمة ، وما عرفت أن مثل هذه القرية الصغيرة نهر أهل اليمن وسواكن »^(٢٨) .

فن هذه الإشارة يظهر أن هذه القرية المضافة إلى اسم (قنونا) الوادي التهامي الشهير هي تلك النواة الخفيفة هذه البلدة . ونعتقد أن اسمها كان في هذا التاريخ ومنذ نشأتها هو (القنفذة) ، ولكنها سميت عند

يقوله صاحب المنجد^(٢٩) . وقد وردت هذه التسمية في بعض كتب مؤرخي تلك الفترة حيث جاء فيها اسم « بندر جدة » ، وسدر القنفذة ، وبندر جازان ، وبندر عدن^(٣٠) . وهكذا^(٣١) .

أما إذا أردنا إعادة التسمية إلى التأصيل اللغوي . فنجد أن مادة « القنفذة » بإهمال الدال أو إعجمها - سواء كانت تعني أنثى الشئيم أو كانت تعني المكان ذا المجمع الرملي المرتفع أو النسيجة في وسط الرمل^(٣٢) - فإننا نرى أن المناسبة ضعيفة بين هذه الدلالات والمعاني ، وبين الطبيعة الجغرافية لوضع السطح الذي قامت عليه هذه البلدة . إضافة إلى أن تاريخ نشأة نواتها في حوالي القرن التاسع^(٣٣) وظهورها بهذا الاسم في مطلع القرن العاشر^(٣٤) في بعض كتب التراث لا يمكن معه القول بعودة التسمية إلى المعنى اللغوي على نحو ما يملية التأصيل اللغوي لبعدها هذا التاريخ عن عصر الفصحى ، ويزيد هذا تأكيداً كون الدلالة اللغوية الجغرافية لهذه التسمية تحتاج إلى إعمال فكري ولغوي لا توجد له المقومات الفكرية والثقافية عند سكانها في عصر قيام هذه البلدة أو نشأة نواتها .

على أننا نميل إلى معقولة إمكان عودة التسمية إلى اسم امرأة عمرت هذا الموقع قبل قيام هذه البلدة على أي وجه من الإعمار ، ونقاطر إليه بعض السكان فتكونت نواة هذه البلدة بهذه الصورة التي تكونت بها كثير من القرى والمدن الشهيرة والمعروفة اليوم . ولعل بلدة « القنفذة » اكتسبت اسمها منها ، فكان في ذلك سبب هذه التسمية (والله أعلم) .

القنفذة في التاريخ

لم يرد ذكر اسم (القنفذة) فيما اطلعنا عليه من مراجع إلا منذ مطلع القرن العاشر الهجري . ولعل أول إشارة تاريخية ورد اسمها صريحاً فيها هي حادثة مقتل قاضي مكة المكرمة أبي السعود ابن ظهيرة وذلك سنة ٩٠٧ هـ . حيث ذكر أنه قتل (تغريقاً في البحر عند القنفذة)^(٣٥) . وكذلك ورد ذكرها في حادثة خروج الشريف بركات بن محمد من مكة المكرمة إلى ساحل القنفذة سنة ٩٠٨ هـ^(٣٦) .

ويعني هذا أنها كانت موجودة قبل هذا التاريخ . لكن يبدو أنها لم تظهر كبلدة بمسماها الحالي إلا في القرن التاسع الهجري ، إذ ليس بين موجوداتها من الأثریات ما يعطي دلالة على وجودها بهذا الاسم فيما قبل ذلك ، كما أن كتب التراث كما أسلفنا لم تذكرها باسمها قبل التاريخ مار الذکر

وتجدر الإشارة إلى أن من المدن والموانئ المشهورة قبلها في الوسط القريب من موقع القنفذة كل من مدينة (حلي بن يعقوب) ومرساها^(٣٧) ، وكذلك (مدينة السرين) ومرساها^(٣٨) حيث ماتت الأولى غالباً حوالي نهاية القرن التاسع الهجري وتعطل ميناؤها^(٣٩) . كما ماتت الثانية وتعطل مرساها على ما يبدو حوالي نهاية القرن السابع الهجري^(٤٠) ، فقامت في المنطقه وتسلطت موانئ أخرى بديلة في تلك



* ورشاد (مشرية) قديمه *



من النشاط التجاري ، وساعد على ذلك وفود بعض فئات من سكان الجزيرة العربية وغير الجزيرة العربية إليها فأثرت بوجودها واشتغالها بحركة البيع والشراء والمتاجرة مع بعض البلدان الداخلية والخارجية ، وأصبحت من أبرز المدن والموانئ الشهيرة تضارع في شهرتها بقية مدن هذا الساحل البحرية المعاصرة .

ولكن يبدو أنها تأخرت عمرانياً واقتصادياً بعض الوقت بسبب حركة التهديد البرتغالي لسواحل البحر الأحمر بالجزيرة العربية في النصف الأول من القرن العاشر^(٣٢) ، ولكنها استأنفت حياتها ونشاطها بعد ذلك ، ولهذا نراها تتسمى باسم (بندر القنفذة) واسم القنفذة حيث أوردتها **النهر والي (٩١٧ - ٩٩٠ هـ)** عند الحديث عن عزل **رضوان باشا** ويرويه من اليمن بقوله : « وخرج من بندر القنفذة وتوجه منها إلى مكة المكرمة ودخلها في أواسط محرم الحرام سنة خمس وسبعين وتسعمائة »^(٣٣) . كما أوردتها **العصامي (١٠٤٩ - ١١١١ هـ)** بهذه التسمية في مجال الكلام عن أحداث سنة ١٠٥٩ هـ ، في قوله : « ورد إلى مكة المكرمة بعض تجار من الصعادية وشخص أعجمي يسمى أسد خان جاءوا من جهة اليمن بتجارة ونزلوا من البحر إلى بندر القنفذة ووصلوا إلى مكة المكرمة برأ ولم يدخلوا بندر جدة »^(٣٤) .

وتلمح هذه الإشارات إلى المكانة العمرانية التي كانت عليها بلدة القنفذة في تلك الحقبة التاريخية والمستوى الحضاري الذي بلغته ، مما جعلها تكتسب هذه التسمية (البندر) التي أطلقت على المدن البحرية الرئيسية كبندر جدة ، وبندر جازان وغيرها ، بل أصبح اسم (البندر) علماً لها عند سكان البوادي القريبة منها منذ ذلك التاريخ على ما يبدو ، وإلى يومنا هذا وكما أشرنا آنفاً .

وقد تبعت هذه البلدة الحجاز منذ نشأتها ، ولذلك يذكر بعض المؤلفين حادثة مقتل قاضي مكة المكرمة ، في بحرها سنة ٩٠٧ هـ ، بأمر من شريف مكة المكرمة ، إلى نائبه على القنفذة بتنفيذ المهمة^(٣٥) ، كما نلاحظ اتخاذ بعض أشراف مكة المكرمة ، في ذلك القرن لها قاعدة لانطلاقهم في حملاتهم وصراعاتهم الحربية مع أمثالهم من أمراء مكة المكرمة ، على نحو ما سبق ذكره ، كما اتخذها بعضهم ملجأ عندما يصرف عن حكم مكة المكرمة ، لسبب أو لآخر^(٣٦) .

وفي القرن الحادي عشر نلاحظ أن عامل (أبي عريش) و (جازان) يدخل إلى القنفذة محمداً للشريف محسن بن حسن صاحب مكة المكرمة على الشريف (أحمد بن عبد المطلب)^(٣٧) ، كما تبدو الصلة وفوة الاتصال بين القنفذة ومكة المكرمة ، من خلال استخدام **رضوان** آغا للوسائط النقلية المتوفرة بالقنفذة مع مثيلاتها المستجبة من جدة والمدينة وذلك سنة ١٠٣٩ هـ ، لمهمة نقل أحمال مخلفات السيل الذي دخل الحرم في السنة المذكورة وأدى إلى سقوط بعض جدران بناء الكعبة المشرفة ضمن المهمة التي كلف بها **رضوان** المذكور من قبل والي مصر لاتخاذ التدابير المستعجلة إزاء التنظيف وبناء ما تهدم من بناء البيت الشريف^(٣٨) .



★ الطاحونة ، أقدم المعالم الأثرية بالقنفذة ★

المؤلفين أو من نقلوا منهم معلوماتهم باسم قرية قنونا من باب تعريف المغمور بالشهور ، إذ إن اسم وادي (قنونا) مشهور منذ القدم^(٣٩) ، ولذلك يبدو أن نواة (القنفذة) سميت باسمه في مثل هذه العلومة . ومثل ذلك نجد عند بعض المؤلفين ، فقد أورد الحموي في تعريف (قنونا) قوله : « وبالقرب منها قرية يقال لها بيت »^(٤٠) « بية » ، كما أورد في تعريف (بية) قوله : « بية وعليب قريتان . . »^(٤١) مع أن بية وعليب واديان تهمايان كبيران لا قريتين : الأول في جنوب فنونا بحوالي ٢٥ كيلاً ،

ومما يؤكد هذا الاعتقاد أن اسم (القنفذة) كمدينة مشهورة على ساحل البحر الأحمر ، عرف فيما أطلعنا عليه من مراجع بعد سنة ٨١٦ هـ ، بحوالي ٩٠ سنة ، كما مر ذكره وهو زمن قصير لنشأة نواة مدينة وتطورها وتسميتها باسم مشهور بالنسبة لتلك العصور ، ويؤكد أن هذه القرية هي نواة (القنفذة) كون اسمها في هذه الإشارة التاريخية (قنونا) لا يزال علماً للوادي التهامي الذي تتبوأ مدينة القنفذة مكاناً وسطاً من فرشة مصبه عند شاطئ البحر الأحمر . ولذلك كانت ولا تزال حاضرة هذا الوادي خاصة والمنطقة التي حوله المشككة من مجموعة القرى والأودية الممتدة من وادي حلي جنوباً إلى وادي دوقه شمالاً عامة .

ويظهر أن هذه المدينة قد اشتهرت وتطورت في وقت وجيز بعد موت مدينة (حلي بن يعقوب) على نحو ما أوضحناه آنفاً ، حيث كانت البديل عنها مدينة وميناء ؛ فامتصت ما كانت تعج به تلك المدينة القديمة ومبناؤها



△ ★ الأسر: الشعبية - صناعة تقليدية بيادية القنفذة ★



★ سوق الغنم - الخميس الغرزة ★



ويبدو أن بلدة القنفذة قد اتخذت حاضرة مركزية للمنطقة السهلية والجبلية الموالية لها منذ نشأتها مع تبعيتها للحجاز وظهرت هذه الشخصية واضحة في القرن الحادي عشر من خلال ما نلمحه في ترجمة (القاضي عبد الواحد الانصاري حاكم القنفذة)^(١١) ، في حوالي منتصف القرن المذكور ؛ فقد جاء فيها أنه : « كان رئيس القنفذة وما والاها من أرض الحجاز لا تصدر أمورها إلا عن رأيه »^(١٢) . كما يبدو أن هذه البلدة قد أصيبت بهزة اقتصادية عنيفة في نهاية القرن الحادي عشر الهجري ، إثر إصابتها بالجماعة الخطيرة التي شملت أرض اليمن وتهامة .

ولقد سجل لنا العصامي حادثة تصور فداحة وقوة تلك الكارثة ، فيقول : « في هذا الشهر جمادى الأولى سنة ١٠٧٩ هـ ، تواتر الخبر من جهة أرض اليمن بأشداد الجذب والفحط فيها كالقنفذة وصبيها والنهائم ونواحيها وفي بعض الأيام بالقنفذة وجدوا في دار امرأة حجامة رجلين مقتولين أحدهما مأكول والآخر شرعت في أكله وأعضاء أطفال منها طري ومنها يابس فأمسكت وأغرقت في البحر وقيل وضعت على الجزيرة التي أمام القنفذة وسط البحر ففُقدت ليلة الوضع »^(١٣) .

رغم أن هذه الحادثة دلت ، بحد ذاتها ، على فداحة الوضع ، إلا أن ذلك على ما نعتقد إلى تأخرها عمرا نياً وتجارياً . وفي نهاية القرن المذكور ومطلع القرن الثاني عشر إلى ما يقارب نهاية



★ باعة الفاكهة ★



★ جلسة في مقهى بالمنطقة الجبلية ★
★ إحدى معاصر زيت السمسم - من الحرف التقليدية التي ما تزال موجودة بضواحي النفذة ★





★ مصنوعات محلية من الخوص ★

العربية ، وحجاج الهند خاصة ، وبذلك لعب هذا الميناء دوراً مهماً كميناء بحري لمكة المكرمة من الجنوب في تلك الفترة ، وفي ظل هذه الدولة أسهمت هذه البلدة بمينائها في إثراء الحياة التجارية بمنطقتها خاصة ، وفي حركة الحياة التجارية بالحجاز عامة ، حتى أصبح اسمها يطلق على أحد الشوارع بمكة المكرمة منذ زمن^(١٨) ، وأسهمت في المجال التجاري بمصدراتها إلى مدينة (جدة) أيضاً حتى أصبح المطلاع يسمع ويقرأ عن إطلاق اسم (زاوية القنفذية) التي تقع في جزء من أرقى مواقع النشاط التجاري في قلب مدينة جدة^(١٩) . ويبدو أن هذه التسمية تعني مكان يجتمع تجارة وتجار القنفذة ، أو رجال البحر الواصلين منها بأصناف البضائع إلى فرضة جدة ، ويظهر أن واردات وعائدات جمارك ومرفأ هذه البلدة قد لعبت دوراً مهماً في واردات هذه الدولة في بداية حكمها لكثرة وتنوع الواردات من أصناف البضائع التي تحملها إليها السفن الشراعية القادمة من موانئ جنوب الجزيرة وشرق إفريقيا ، وبعض موانئ الخليج العربي والموانئ الهندية على ما يذكره لنا بعض رسابنة البحر المحليين ، وبعض رجالات العمل في هذا السلك ، وما شاهدناه في أواخر حياة هذه الحركة التجارية التي كانت نشطة نشاطاً ملحوظاً يصوره احتياج الكثافة السكانية في الجبال السروية والتهامية المتدلية على هذا الميناء من الشرق من أصناف المستوردات التي تلزمها في حياتها ، كما يصوره هذه الحركة النشطة وما كانت تغمر به فرضتها من مختلف أصناف المنتجات الزراعية والحيوانية والمصنوعات المحلية الواردة من هذه السهول والجبال .

وقد اعتور هذا النشاط منذ حوالي ثلاثين عاماً كثيراً من التأخر الذي نجم عن استعمال النقل البري بواسطة الشاحنات السيارة ، وترتب على ذلك تعطل نشاط مينائها وانعكس على حياتها التجارية بساحمول والضمور . . ولكن ظلت هذه البلدة بطبيعة وظيفتها حاضرة لمنطقتها حية بفضل الخدمات الحكومية التي تقدمها فروع مصالح الدولة . على أن من أنشط حركة الخدمات الحكومية بهذه البلدة خاصة

الربع الأول منه كانت كعادتها ملجأ لبعض الأشراف ومنطلقاً لبعضهم في غاراته على بعض أشراف مكة المكرمة^(٢٠) ، وتعرضت بأسباب ذلك لكثير من المتاعب والنهب وخاصة في سنة ١١١٦هـ ، عندما أطمع أحد الأشراف رجال القبائل السروية والتهامية في نهب القنفذة^(٢١) . ويبدو أنها استمرت في فترات من هذا القرن على هذا المتوال تضعف وتقوى وتنعم بالراحة مرة وتروع بكثير من الغارات مرات .

كما يبدو أنها في نهاية هذا القرن قد نعمت بشيء من الاستقرار والتقدم العمراني ، حيث يذكر أحد المصادر أنه قد زاد عمراتها لما اتخذها محمد علي (١١٨٤ - ١٢٦٥هـ)^(٢٢) مرجعاً لأعماله في حملته الحربية على عسير^(٢٣) . ولكن يبدو أنها لم تزل في فترات من القرن الثالث عشر الهجري ميدان معركة وساحة نزاعات وحملات حربية منها إلى مكة وإليها ، ومطمعاً لبعض الغارات التي كان يشنها عليها بعض القوى المتصارعة في الحجاز وتهامة ، وقد تعرض أهلها لكثير من المتاعب والحن في خضم تلك الحملات والغارات^(٢٤) . إذ يجد فيها طلاب السلب والنهب موطناً خصباً لغاراتهم ، ورغم ذلك يظهر أنها كانت محافظة على جانب كبير من حياتها الاقتصادية التي يرفدها صادرات وواردات مينائها من الداخل والخارج على النحو الذي يصوره لنا العدد الكثيف من المخازن التجارية السني لا تزال قائمة وتعود في بنائها إلى القرن الثالث عشر الهجري .

وفي مطلع القرن الرابع عشر الهجري كانت لا تزال ميدان تطاحن حربي بين القوى المتصارعة المحلية الخارجية كالحروب العثمانية ضد الحملات الحربية الإيطالية ، ولا تزال السفن الحربية العثمانية التي قصفتها مدافع البارجات الإيطالية غارقة في مياه شاطئ البحر بجوار ميناء القنفذة من الجنوب منذ سنة ١٣٢٧هـ .

وبقيت قاعدة لحملات العثمانيين وحلفائهم من أشراف مكة المكرمة في حروبهم وغزواتهم لتهامة وعسير ، وقد تضمنت مذكرات القائد التركي سليمان شفيق كمال في أيام حكمه في المنطقة الكثير من المعلومات التي تصور الدور الخطير الذي لعبه موقع القنفذة وبلدتها في الحياة الحربية والسياسية إلى ما بعد الثلث الأول من هذا القرن بقليل^(٢٥) ، وعندما دخلت في ظل الحكم السعودي الميمون نعمت بكثير من الرخاء مع الاستقرار ، وعاد ذلك على حياتها الاجتماعية والتجارية بالانتعاش والنمو والازدهار .

القنفذة في العهد السعودي

عندما أطل العهد السعودي الزاهر ، وأشرق شمس في سماء الجزيرة العربية ، استمتعت هذه المدينة بإشراقه هذا العهد الميمون ، ونعمت في ظلاله كغيرها بنعيم الأمن والاستقرار ، ونشطت حركة مينائها التجاري ، وازدهرت تبعاً لذلك الحركة التجارية ، والحركة العمرانية ، وأصبحت عائدات مينائها تمثل مورداً مهماً للقطاع الخاص العام .

وقد أشرنا إلى ما سجلته بعض الوثائق من تخصيص هذه الدولة مينائي القنفذة والليث قبل فتح جدة ، لاستقبال حجاج جنوب الجزيرة

كما نستطيع أن نعد من المعالم الأثرية عشرات المخازن التجارية التي يتكون منها الجزء الذي يمثل قلب هذه المدينة ، الذي أصبح أكثره خراباً ، حيث تحولت تلك المخازن إلى أشباح بلا أرواح أو أطلال خاوية على عروشها ، بعد تدهور وتوقف حركة ميناء القنفذة وموت نشاطها التجاري .

وقد بنيت من حجارة الشعاب المرجانية وانعكس في بنائها ما بلغته هذه البلدة من الثراء والسعة ، فزينت واجهات كثيرة من هذه المخازن بالتقويسات التزيينية ، ونقشت أعتابها العلوية بكثير من الزخارف النقشية ، وكتابة العبارات الدعائية ، وعبارات تاريخ التأسيس أو تمام البناء ، وقد وجدنا أقدم تاريخ فيها يعود إلى سنة ١٢٧١هـ ، ولا نعتقد بأنه أقدم تاريخ مكتوب على هذه المخازن .

ويعد من المعالم الأثرية بعض البيوتات السكانية القديمة المبنية بحجارة الشعاب المرجانية أيضاً . وتتميز هذه البيوتات أيضاً بالزخرفة التقويسية المموجة والتزيينية المتكررة ، كما تتميز بعض مداخلها الرئيسية بوجود تلك التقويسات ونوافذ الأحجار المهدبة على شكل رأس السهم الهندسي . وكما انعكس الثراء على شكل بناء المخازن التجارية في هذه البلدة فكذلك انعكس على تلك البيوتات القديمة . ويدل ذلك أيضاً على ولع سكانها بالنواحي الجمالية في تزيين مبانيهم ومبلغ ما وصلوا إليه من رفي حضاري .

ظاهرة اجتماعية

ولاهل القنفذة ولع بتزيين صدور منازلهم من الداخل بشئ أنواع التحف والأواني المنزلية وتجميلها بصور الطبيعة والزهور والمزهريات الصناعية ، حتى ليخيل للناظر إليها وهو داخل الغرف المنزلية بأنه في معرض تجاري لهذه التحف والأواني والمزهريات والزهور ، ولا يتغالبون أثمانها وكأنهم في ذلك حريصون على أن ينفذوا الحكمة الفنية القائلة : (إذا كان عندك قرشان فاشتر بأحدهما خبزاً وبالأخر زهرة) . كما أنهم يقومون

★ العسل في أسواق العرضية - القنفذة ★



★ وجفان ، خنابية .. ياتع الجفان (المصاف) ★

وبالمنطقة الإدارية عامة ، الحركة التعليمية في إطار النهضة التعليمية والثقافية التي تشمل كل أرجاء المملكة . ومن أبرز الخدمات الحكومية أيضاً خدمات الطرق البرية الممهدة ، فقد انتهى ربط هذه المدينة بكل من مكة المكرمة وجدة بالخط الرئيسي للمعبد ، كما ربطت بالقطاعات الحبلية الداخلية بالخط المعبد المتجه إلى تهامة عسير فبنطقة جازان ، كما أن الخط الساحلي بينها وبين جازان لم يبق من تعبيده ، سوى حوالي تسعين كيلاً .

المعالم الأثرية

يمكن أن نعد من المعالم الأثرية القديمة المبني الأسطواني المسمى (الطاحونة) حيث بني أو استعمل لطحن الحبوب بمحرك يعتمد على الأشعة والهواء ، كما يعرفه بذلك السلف ونقله إلينا الخلف ، وقد بني بالحجر المسمى «الحجر السطايحي البحري» وهو حجر بحري قوي التماسك والصلابة . يبلغ قطر هذا المبني سبعة أمتار تقريباً ، كما يبلغ ارتفاعه سبعة أمتار تقريباً وكان يستعمل حتى وقت قريب لتخزين بعض مواد الوقود السائلة كالكاكاز والبنزين والزيوت التي كانت تمون بها سيارات البريد المستمر بين مكة المكرمة وجدة وجازان إلى القنفذة ومنها إلى هذه المدن ولذلك سمي مؤخراً (الكازخانة) .

ويظهر أن تاريخ هذا المبني يعود إلى أواخر القرن الثاني عشر ، أو بداية الثالث عشر ، ويتميز هذا المبني بمتانة البناء وصموده لمدة تزيد ، على ما يبدو ، عن مائتي سنة دون أن يتداعى بناؤه ، ولعل ذلك يعود إلى إحكام بنائه وضخامة وقوة الأحجار التي نفذ بها ، وشكله الأسطواني الذي ساعده على مقاومة تأثير تيارات الرياح رغم وقوعه في مكان مكشوفاً ادمج جنوباً «الرياح» الثلاثة مربية من «ملطش» «جسر الراج» سره بل لا يزيد عن المائة متر .



★ صيد السمك ★



★ صناعة القوارب لصيد الأسماك ★

النشاط السكاني

تعمل مجموعة كبيرة من سكان (القنفذة) في الأعمال الحكومية تبعاً لتوفر كافة فروع مصالح الدولة ، كما تشتغل مجموعة من السكان في أعمال البيع والشراء ، أو ما يعرف بتجارة القطاعي ، أما بالنسبة للأعمال التجارية الكبرى بمفهومها اليوم المعتمدة على الاستيراد والتصدير الخارجيين فلا يوجد بها من ذلك شيء ، وقد انحنا إلى توقف عجلة النشاط التجاري 'لخارجي' بها منذ ما يقرب من ثلاثين سنة حينما تعطلت حركة النقل البحري بها بسبب النقل البري على الشاحنات السيارة برأ .

وتعمل فئة من السكان في صيد الأسماك ، وقد نشطت أعمال هذه المهنة في هذه البلدة خاصة وبقية المراسي الصغيرة ، ومصائد الأسماك القريبة منها بشكل ملحوظ على أثر المساعدات المادية والعينية السخية التي تبذلها الدولة لصائدي الأسماك ، ونشطت تبعاً لذلك صناعة قوارب الصيد الصغيرة . على أن صناعة هذه القوارب أصبحت في أيدٍ محدودة جداً من مهرة صناعها .

بترزين بعض الرفوف الداخلية والعتبات العلوية بالمنازل وكذلك واجهات الأبواب الرئيسية والتوافذ بالزخارف النقشية الهندسية والتشجير الرائعة ، وقد برع في هذه الصناعة قديماً وحديثاً بعض التجارين المهرة . ولذلك فقد تغالوا في اقتناء أنواع من الصناديق المصنوعة من السيسم المزخرفة بالنقوش التشجيرية والتليسات المعدنية المصنوعة في الهند كما يشاع .

وكذلك الأسرة الفاخرة في صناعتها وزخارفها وأنواع مسن التختات والدواليب المجدلة بالألوان والمرايا وغيرها . ويدل ذلك كله على روح الذوق الجمالي الذي نعتقد أنه أحد مظاهر الروح الحضارية الأصيلة التي يتمتع بها سكان هذه البلدة جيلاً بعد جيل نتيجة للحياة المتحضرة التي أوجدتها ثراء مدينتهم وعطاءها الاقتصادي .

ويبدو أن هذا الولع الجمالي شائع لدى سكان بقية المدن البحرية المجاورة ، وقد ساعد عليه ما كان يجلبه إليها قديماً رجال البحر من تلك التحف والأواني والأدوات من شتى الأمصار الخارجية ، كما ساعد على ذلك ما عليه سكان المدن البحرية منذ القدم من الثراء واليسر والدعة .

المتنزهات

من الأماكن المشهورة التي اتخذها سكان هذه البلدة متنفساً ومتنزهاً مكانان لا يزال الناس يرتادونها هما :

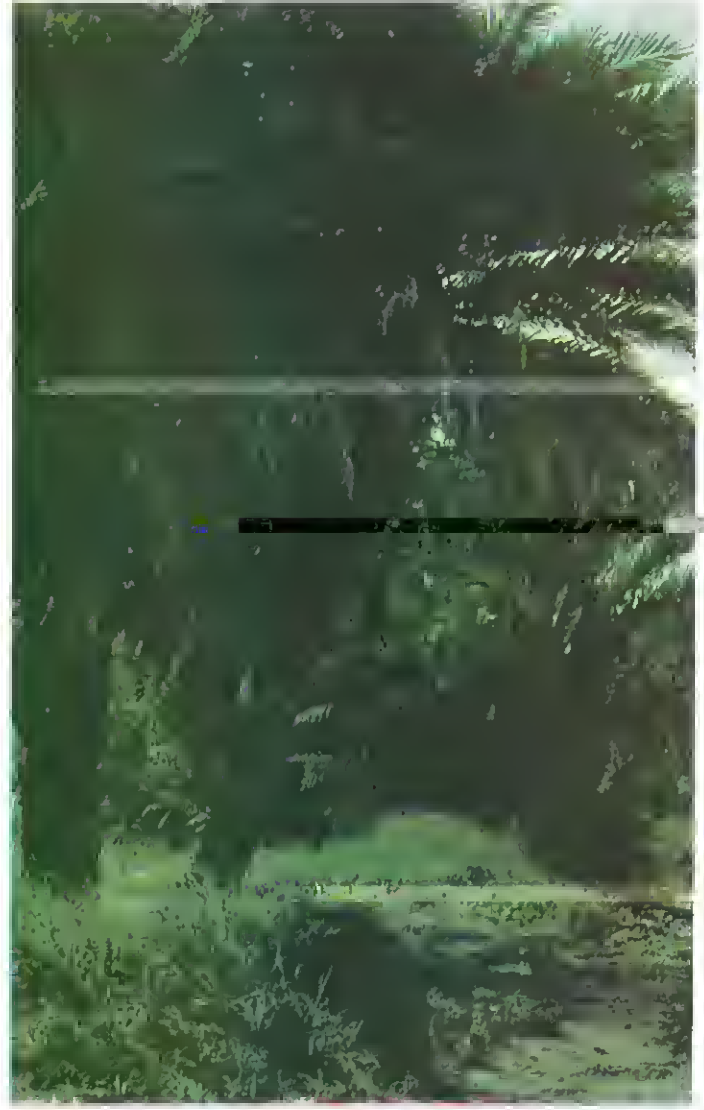
(١) جبل القنع .

(٢) جزيرة أم القماري .

ونتحدث في التالي باختصار عنها .

(١) **جبل القنع** : ويقع هذا الجبل جنوب شرقي القنفذة بعشرة أكيال ويتكون من امتداد صخري جيرى التربة ، ويرتفع رملي نساصع البياض ، ويقع امتداده على جزء من شاطئ البحر الأحمر لمسافة حوالي ستة أكيال . لكن منطقة التنزه هي الجزء الشمالي منه لمسافة لا تزيد عن الكيلو ونصف الكيلو ، وفي هذا الجزء منه ينحصر بين شاطئ البحر وسفح الجبل مجموعة من أشجار النخيل على طول امتداد هذا الجزء يزين أسفل جذوعها بساط أخضر من الحشائش وأشجار الخلفاء ، ويمثل هذا المتنزه لوحة بديعة من الطبيعة الساحرة في هذا الموقع . ولذلك يخرج إليه بعض السكان طلباً للراحة والتنزه والاستمتاع بمنظره الخلاب ويمارسه هواية صيد الأسماك على حافة هذا الشاطئ الجميل .

(٢) **جزيرة أم القماري** : وهي تقع إلى الجنوب من مدينة القنفذة بحوالي خمسة وعشرين كيلاً ، وتبعد عن حرف الشاطئ في داخل البحر بحوالي ثلاثة أكيال . يبلغ قطر استدارة هذه الجزيرة حوالي ثلث الكيل ، وتكتظ هذه الجزيرة بأشجار الأراك ، وقليل من أشجار الحمض والصاب ، وتمتلئ هذه الأشجار بالآلاف المؤلفات من طيور القماري ، وخاصة في مواسم الزراعة ولذلك يخرج راغب التنزه والصيد



★ جبل وشاطئ القنع - المتنزه ★

★ القنفذة على الخارطة ★



وقد اشتهرت هذه البلدة بصناعة السفن الشراعية متوسطة وصغيرة الحجم في خلال القرون الماضية وإلى ما قبل السبعينات من القرن الماضي حيث كانت تعمل في نقل البضائع بين الموانئ القريبة منها ، وفي نقل أحجار الشعاب المرجانية التي تعد من الشعاب البحرية القريبة لاستعمالها في أغراض البناء وإعداد بعض مواد كالنورة البلدية . وبدأت هذه الصناعة في التقلص منذ السبعينات الماضية حتى استقرت على صناعة قوارب صيد الأسماك الصغيرة وأثرت صناعتها المساعدة الحكومية السخية .

وتشتغل فئة محدودة العدد أيضاً في أعمال البناء المعماري بالحجر الشعبي ، وعندما توقف استخراج هذا النوع من الحجارة ، وحل محله استعمال الطوب الأسمنتي تحولت هذه الفئة إلى الاشتغال بهذه المادة ،

ولكنها لم تخرج في تصميم وتنفيذ مبانيها عن الطراز الشعبي المألوف بما فيه من الزخارف القوسية والتريعية التي تظهر في واجهات وبعض جوانب البيوتات من الداخل والخارج .



▽ ★ منظر لسيل يفيض على احد الوديان وكسح الطرق بنهامة ★



المنظمة للجزيري : أنه نفي بجزيرة الصبايا ولعل المقصود (جبل الصبايا) وهو جزيرة صخرية رملية تقع جنوب القنفذة بسنين كلاً تقريباً مقابل قرشة مصب وادي حلي).

(٢٢) غاية الأمان في أخبار القطر البجلي : ٦٣٢/٢ .

(٢٣) انظر : (صورة الأرض : ٣٢ ، أحسن التقاسم : ٨٦ ، منازل الحجاز : ورقة ١٤ ب ، تاريخ المسنن : ٥٣ ، جزيرة العرب من كتاب المسالك والمسالك للبكري : ٤٩ ، رحلة ابن بطوطة : ٢٤٦ ، ٢٤٧) . وأعدنا بحثاً عنها ضمن بحثنا مار الذكر ويعد موقعها عن القنفذة جنوباً بموالي ٦٣ كلاً .

إليها في مواسم معينة للزراعة والاستمتاع بالصيد . ولذلك سميت باسمها هذا (أم القماري) .

على أن كثيراً من سكان القنفذة يحدون في الأرض الزراعية القريبة منها إبان قيام الزراعة فيها مجالا واسعاً للزراعة وللترفيه والاستمتاع بمجال الطبيعة الخضراء .

المعلم:

(١) انظر : (المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام : ٢٧/٢ - ٣٠ ، ٢٧١/٧ - ٢٧٤ ، حول مدينة جدة : للشيخ حمد الجاسر : مجلة العرب ، ج ٣ ، ص ١٥ ، رمضان وشوال ، ١٤٠٠ هـ ، ص ٢٣٠ - ٢٣٣) .

(٢) انظر : (الارتسامات اللطاف : ٢٢٢ : المعادن في البلاد العربية القديمة ، لبرنارد موريس ، تعريب : أمين رويحة : مجلة العرب ، ج ٧ ، ص ٢ ، محرم ١٣٨٨ هـ ، ص ٥٨٠ - ٥٨٢ ، ٥٨٨) .

(٣-٥) انظر المصدر السابق الأخير ، ص ٥٨٠ ، ٥٨٨ ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، ١٩٢/٢ ، ١٩٣ .

(٦-٧) انظر (كتاب البلدان لليعقوبي : ٣١٤ ، المعادن القديمة في بلاد العرب للشيخ الجاسر : مجلة العرب ، ج ١٠ ، ص ٢ ، ربيع الثاني ١٣٨٨ هـ ، ص ٩٠٩) .

(٨) أعدنا بحثاً عن قرية : «عشم» الأثرية ضمن بحثنا عن المدن والقرى الأثرية في تهامة ، وسنشره قريباً إن شاء الله .

(٩) انظر : (صفة جزيرة العرب : ٢٥٩ ، المعادن القديمة في بلاد العرب : مجلة العرب ، ج ١٠ ، ص ٢ ، ربيع الثاني ١٣٨٨ هـ ، ص ٩٠٧ ، ٩٠٨) . وأعدنا عن ضنكنا أيضاً بحثاً ضمن بحثنا مار الذكر .

(١٠) انظر : (أمراء البلد الحرام : ١٥١ ، ١٥٧ - ١٦٠ ، ١٦٤ ، ١٨٣ ، ٣٣٥) .

(١١) انظر : (المصدر السابق : ٣٣٥ ، ٣٧١ - ٣٧٣ ، المنجد : ملحق الآداب والعلوم : ٤٢٤ مادة : «قنفذة» .

(١٢) أصدق البنود في تاريخ عبد العزيز آل سعود : ٤٥٦ ، ٤٥٧ .

(١٣) ومن ذلك ورودها بالذال المعجمة في الوثيقتين المشار إليهما في المصدر السابق .

(١٤) انظر : (البرق البجلي في الفتح العثماني : ١٧٤ ، ٤٤٦ ، سمط النجوم العوالي : ٤٣٧ ، ٤٩٢ : ووردت فيه بإعجام الذال أيضاً ص : ٢٨٥ ، ٥٠١ ، ٥٠٢ ، ولعل ذلك جاء نصحياً في المخطوطة أو المطبوعة) .

(١٥) اللهجات العربية في التراث : ٢/٤٣٤ ، ٤٣٥ نقلاً عن «اللسان» وعن «حروف الإطباق للدكتور خليل نامي» .

(١٦) المنجد : ٥٠ مادة : «البندر» .

(١٧) انظر : (البرق البجلي في الفتح العثماني : ١٢٨ ، ١٧١ ، ١٧٤ ، ٤٤٥ ، سمط النجوم العوالي : ٤٦٧/٤) .

(١٨) لسان العرب المحيط : ١٧٥/٢ مادة : «قنفذة» .

(١٩) أخبار مكة المشرقة : ٢/٣٢٠ قرية قنونا . وانظر : «قدم القنفذة» في هذا البحث .

(٢٠) انظر : «قدم القنفذة في هذا البحث» .

(٢١) انظر : (سمط النجوم العوالي : ٢٨٤/٤ ، ٢٨٥ ، أمراء البلد الحرام :

٦٩ ، وفي تاريخ مكة المكرمة للسباعي أن عائلة القاضي المذكور نفيت إلى جزيرة ابن بركوت وأغرفهم نالها عليها في عرض البحر ، ص ٣١١ ، وفي درر الفوائد

٤٣ كيلاً .

(٢٨) أخبار مكة المشرفة ٢/ ٣٢٠ .

(٢٩) انظر : (أخبار مكة المشرفة للأزرق : ٩٤/١ ، ديوان كثير عزة : ٢١٧ ، ٢٢١ ، ٢٢٢ ، المسالك والممالك ، لابن خرداذبة : ١٤٩ ، معجم البلدان : ٤٠٩/٤) .

(٣٠) معجم البلدان : ٤٠٩/٤ .

(٣١) المصدر السابق : ٤٢٨/٥ .

(٣٢) انظر : (أمراء البلد الحرام : ٧٦ ، التهديد البرتغالي لسواحل جزيرة العرب للدكتور حسن أحمد محمود مجلة العرب ، ج ٨٧ ، ص ١٢ ، محرم وصفر ١٣٩٨ هـ ، ص : ٦٠٤ - ٦٠٩) .

(٣٣) البرق الجاني في الفتح العثماني : ١٧٤ .

(٣٤) سمط النجوم العوالي : ٤٦٧/٤ .

(٣٥) المصدر السابق : ٢٨٤ ، ٢٨٥ .

(٣٦) أمراء البلد الحرام : ١٥١ ، ١٦٠ ، ١٦٤ .

(٣٧) غاية الأمان في أخبار القطر الجاني : ٨٢٩/٢ .

(٣٨) أخبار مكة المشرفة للأزرق : ٣٥٦/١ ، ٣٥٧ .

(٣٩) هو : القاضي العلامة عبد الواحد بن أبي بكر الأنصاري كان رئيس القنفذة وما والاها سعى به بعض حسدته إلى الشريف سعد بن زيد لسيعة للإصلاح بين فتيين من الأشراف ، فقبضه وبيده وألحق به بعض الأذى وهم يقتله لولا شفاعة الشافعين واختار الإقامة بنجد الحجاز وتردد إلى القنفذة لزيارة أصدقائه ، كان متمكناً من العلم ذكياً وله مؤلفات ، مات سنة ١٠٨٩ هـ ، باختصار عن ترجمته :

(البدر الطالع : ٣ الملحق : ١٤٣) . ويذكر العصامي سبباً آخر لقصته نتلخص في أنه كان ممن يتسمى بالقضاء وكان يتعاطى السكة خفية ويؤرخ لهذه الحادثة سنة ١٠٧٨ هـ : (سمط النجوم العوالي : ٤٩٢/٤) .

(٤٠) البدر الطالع : الملحق : ١٤٣/٢ .

(٤١) سمط النجوم العوالي : ٥٠١/٤ - ٥٠٢ .

(٤٢) أمراء البلد الحرام : (١٥١ ، ١٥٧ ، ١٦٠ ، ١٦٤ ، ١٨٣ ، ١٨٤ ، ٢٠٢) .

(٤٣) المصدر السابق : ١٨٣ .

(٤٤) الأعلام : ١٩١/٧ .

(٤٥) المنجد : ملحق الأدب والعلوم : ٤٢٤ مادة : «قنفذة» .

(٤٦) أمراء البلد الحرام : (٢٩١ ، ٢٩٤ ، ٣٠٦ ، ٣٣٥ ، ٣٧١ - ٣٧٤) .

(٤٧) انظر : بلاد العرب في مذكرات سليمان شفيق كيلي : مجلة العرب ، ابتداء من الجزء التاسع السنة الخامسة ، ربيع أول ١٣٩١ هـ ، لما بعد .

(٤٨) ويسمى زقاق القنفذة وهو في المجلة بمكة المشرفة .

(٤٩) تاريخ مدينة جدة : ص : ٤٥٥ ، «زاوية القنفذية هو اسم أحد الشوارع القديمة المشهورة في مدينة جدة والشوارع المسمى اليوم (شارع سوق الندي)» ، انظر : المصدر نفسه الصفحة نفسها .



△ ★ ميناء القنفذة ★



(٢٤) انظر : (صورة الأرض : ٢٩ ، ٣٣ ، أحسن التقاسيم : ٨٦ منازل الحجاز : ورقة ١٤ ب ، تاريخ المستبصر : ٥٣) وأعدنا أيضاً عنها بحثاً ضمن بحثنا أنف الذكر .

(٢٥) سمط النجوم العوالي : ٢٧٨/٤ .

(٢٦) اعتمدنا في هذا التقدير لموتها على سكوت المراجع عن ذكر وجود حياة فيها منذ نهاية القرن السابع الهجري .

(٢٧) الليث : مدينة عند ساحل البحر الأحمر حيث مصب وادي الليث وتبعد جنوب مكة المشرفة بحوالي ١٨٥ كيلاً ، وتبعد شمال موقع مدينة السرين الأثرية بحوالي

للحصول على أفضل ما تعطيه الكاميرا، زودها بفيلم كوداك

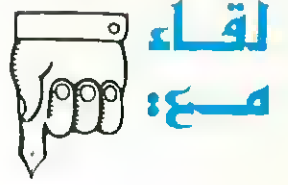
لكي تحصل على أفضل ما تعطيه الكاميرا، من أي نوع
كانت، تأكد من أنك تستعمل دائماً فيلم كوداك
لأفضل النتائج.

العالم يعتمد في ذكرياته على أفلام كوداك
لأن أفلام كوداك تعطيك صوراً ساطعة واضحة
وطبيعية.



كوداك
باستعمال أفضل فيلم
تحصل على أفضل الصور





نظراً للأهمية التي أخذت تعطى للاهتمام باللغة العربية ، وتطويرها وباستمرار لتناسب العصر من ناحية ، والحفاظ عليها من ناحية أخرى ، فإن مجامع اللغة العربية في البلدان العربية كل حسب طاقته ، تأخذ على عاتقها القيام بهذه المهام تجاه اللغة العربية .

ومجمع اللغة العربية الأردني ، أحد مجامع اللغة العربية الأربعة ، (الثلاثة الأخرى في دمشق ، وبغداد ، والقاهرة) التي تأخذ على عاتقها القيام بهذه المهمة الشريفة ، والضرورية ، والعصرية تجاه الحفاظ على اللغة العربية ، ولذلك رأت « الفيصل » الالتقاء بالدكتور عبد الكريم خليفة رئيس المجمع للحوار معه ، لمعرفة أهداف المجمع وأعماله ، وكيفية تأسيسه والعضوية فيه .

د . عبد الكريم خليفة



إعداد :

عيسى حسن الجراجرة

اللغة

تأصيل اللغة العربية

● كيف يمكن تأصيل سيادة اللغة العربية وتعميق دورها في الاستعمال اليومي والرسمي ؟

● « جميع الجهود التي تبذلها المجمع اللغوية ، لا تعني شيئاً إلا إذا وجدت طريقها إلى التطبيق والاستعمال ، في الصحافة ووسائل الإعلام ، والعلم والحياة اليومية والرسمية من دوائر حكومية وشركات ومصالح ، فاللغة لا تحيا في بطون الكتب ، ولكنها تحيا بالاستعمال ، وهذا يعمل على تطويع اللغة العربية وإشاعة المصطلحات العلمية والأساليب اللغوية الصحيحة ، فضلاً عن مهمتها السامية في نشر الوعي اللغوي بين جماهير القراء . وأعني بالوعي اللغوي ، تقويم اللسان ، وتعميم المصطلحات العلمية والتقنية الحديثة . وتنمية احترام اللغة العربية والاعتزاز بها في نفوس أبنائها » .

المثية "التعريب"

● وماذا عن أهمية التعريب ودوره الحضاري والعلمي من ناحية ، والحفاظ على نقاء اللغة العربية وسيادتها من ناحية أخرى ؟

● « تأل أهمية عملية التعريب من أن الأصالة ، وصدق الانتماء ، تفرضان على الإنسان أن يعتز بلغته وتراثه ، وأن يحافظ عليها ، وأن لا يستبدل لغته الأصلية بلغة أخرى ، لتصبح هي الأصل ولغته الأصلية

لا تحيا في بطون الكتب لكنها تحيا بالاستعمال

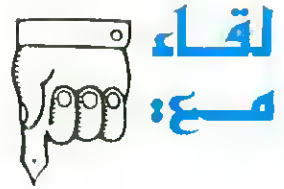
شيئاً ثانياً ، لأن في ذلك تهديداً لكيانه وشخصيته ، وفقداناً لهويته . ومن ذلك فإن قضية التعريب في جميع الأقطار العربية ضرورة حتمية ذات فوائد جمة على المستوى العلمي والوطني وتنتجها ذات أثر بعيد في مسيرة العالم العربي الحضارية والسياسية ، وهي تعني أشياء كثيرة منها :

(١) الاعتزاز باللغة العربية ، التي تكون إحدى المقومات الأساسية في شخصية هذه الأمة وتحدد هويتها .

(٢) إخصاب اللغة العربية بالمصطلحات العلمية الحديثة ، وإثرائها بالمفردات الجديدة ، وتطويرها لمسايرة روح العصر .

(٣) إبطال قول المدعين أن اللغة العربية ليست لغة علم وحضارة . وقد تناسوا أنها كانت لغة العلم والحضارة لفترات طويلة من تاريخ الإنسانية ، ولم تتراجع عن هذا الدور إلا بتراجع أهلها وضعفهم .

● اللغة العربية وتآدارة على



ومعاني الجمل والتراكيب ، وإيجاءاتها وتصوراتها وخيالاتها من لغة إلى لغة أخرى ، والمترجم في عمله غير معني باللفظة المفردة الأجنبية ، وتحديد ما يقابلها في اللغة العربية ، بل يحرص على نقل ضلال المعاني من اللغة المترجم عنها إلى اللغة المترجم إليها . أم التعريب فهو محاولة تأصيل العلوم والتقنيات الحديثة في الفكر العربي الأصيل ، من حيث جعل العربية لغة التدريس في جميع مراحل التعليم الابتدائي والإعدادي والثانوي ، من ناحية ، ومن ناحية أخرى التأكيد على جعلها لغة البحوث العلمية ، المادية منها والإنسانية ، فهناك فرق كبير بين ترجمة كتب في الفيزياء أو الكيمياء مثلاً ، من اللغة الإنجليزية أو الفرنسية إلى اللغة العربية ، وبين تعريب علم الفيزياء أو علم الكيمياء أو الرياضيات . فالترجمة تهدف إلى نقل كتاب من لغة إلى أخرى ، في حين أن التعريب يهدف إلى جعل هذه العلوم أصيلة في الفكر العربي وذلك من خلال اللغة العربية . وهذه خطوة أساسية من أجل الوصول إلى مرحلة الإبداع والمشاركة الفعلية في بناء الحضارة العالمية .

وقد نهج لنا السلف نهجاً سليماً في إيجاد مقابلات للمصطلحات الأجنبية إبان عصر الحضارة الإسلامية ، فعندما أخذ العلماء المسلمون

(٤) أن تدريس العلوم باللغة القومية ، يؤدي إلى زيادة النبوغ والقدرة على الإبداع والابتكار عند الدارسين ، وتدريس العلوم باللغة العربية في جامعاتنا العربية يدفع أبنائنا في مختلف التخصصات على الاستيعاب الواعي ، والعطاء المبدع .

(٥) توثيق الصلة بين المعطيات الحضارية لهذه الأمة في الماضي والحاضر .

(٦) العمل على تعميق أصالة الانتماء إلى الأمة ، والإيمان الصادق بقدرتها على العطاء والإبداع ، ولا يمكن أن يتم ذلك إلا بلغتها الأصيلة .

(٧) أن اللغة العربية بما لديها من خصائص ومميزات ، وما لها من تجربة تاريخية ، قادرة على استيعاب ما يستجد من تطورات حضارية وعلمية .

الفرق بين التعريب والترجمة

● ما الفرق بين التعريب والترجمة ؟

● « في كثير من الأحيان تجد القارئ يخلط بين هذين المفهومين ، والفرق بين مفهوم الترجمة والتعريب هو أن الترجمة تعني نقل الأفكار ،

د . عبد الكريم خليفة في سطور

والشعر الأردنية ، وعضو لجنة الخبراء التابعة للمنظمة العربية للثقافة والتربية والعلوم بشأن « حصر المفردات » في اللغة العربية ، وعضو اللجنة الاستشارية لمكتب تسييق التعريب بالشرباط - المغرب .

★ شارك في عدد من المؤتمرات التعليمية والثقافية .

★ له عدد من الكتب المطبوعة : « التربية وأصول التدريس » ، « إخوان الصفا وخلاص الوفاء » ، « ابن حزم - حياته وأدبه » ، وغيرها إلى جانب عدد من المقالات والبحوث نشرت في الصحافة .

★ من مواليد مدينة « المنطف » - الأردن ، عام ١٩٢٤ م .

★ دكتوراه - جامعة السوربون .

★ يجيد الفرنسية ، والإنجليزية ، وسم بالإسبانية .

★ تنقل في عدة مناصب كان آخرها منصب رئاسة الجامعة الأردنية ، وحالياً يرأس مجمع اللغة العربية الأردني .

★ عضو اللجنة الأردنية لوضع المنهج الموحدة ، وعضو اللجنة التي شكلت لمعالجة فضبة الكتب المدرسية ، وعضو لجنة التعريب والترجمة





استيعاب معطيات الحضارات

استقلال مالي وإداري ، ويكون مرتبطاً بوزير التربية والتعليم . وصدر القانون المؤقت للمجمع في الجريدة الرسمية رقم (٢٦٣٤) بتاريخ ١٩٧٦/٧/١ م .

وبتسبب من وزير التربية والتعليم ، صدرت الإرادة الملكية السامية بالموافقة على تعيين خمسة أشخاص ، هم نواة المجمع ومكتبه التنفيذي ، وعهدت إليهم مهمة اختيار بقية أعضاء المجمع . وقد باشر المجمع عمله رسمياً ابتداءً من ١٩٧٦/١٠/١ م ، حيث تم استئجار مبنى له أول الأمر ، ثم أخذ يعمل على توفير مبنى دائم له ، وتحققت جهوده في إنشاء مقره الجديد بالقرب من حرم الجامعة الأردنية ، وتم الانتقال إليه بتاريخ ١٩٨٠/٦/١ م .

أما كيفية تنظيم المجمع وممارسته لأعماله فهناك :

- ١ - مجلس المجمع ، وهو الهيئة العامة التي ترسم سياسة المجمع . ويعقد اجتماعاً عادياً مرة في كل شهر على الأقل . ويبلغ عدد أعضاء مجلس المجمع حالياً ثلاثة عشر عضواً .
 - ٢ - المكتب التنفيذي ، يتألف من رئيس المجمع ، ونائب الرئيس ، وثلاثة أعضاء عاملين . ويتولى إدارة شؤون المجمع الإدارية والمالية ، والإشراف على أوجه نشاطه .
 - ٣ - أعضاء شرف .
 - ٤ - أعضاء مؤازرين .
- وهناك عدد محدود من الموظفين يقومون بأعمال المجمع الإدارية .

أهداف المجمع

● ما أهداف المجمع ؟

- « إن إنشاء مجمع اللغة العربية الأردني عام ١٩٧٦ م ، ضرورة وطنية تقتضيها حاجة الأمة في ظروف تخلفها العلمي الراهن ، ويقتضيها الحرص على سلامة اللغة العربية وتطورها ، والسمو بها لكي يكون في مقدورها أن تؤدي دورها الحضاري والإنساني ، ولتحل محل اللغات الأجنبية في جامعاتنا العربية .
- وتتضح أهمية مجمع اللغة العربية الأردني ، ودوره في إبراز الطابع الحضاري للأمة العربية ، من خلال الأهداف التي نص عليها قانونه ، ومنها :
- (١) الحفاظ على سلامة اللغة العربية ، وجعلها تواكب متطلبات الآداب والعلوم والفنون الحديثة .

بفنون العلوم والمعارف من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية ، اعتمدوا على ثلاثة أسس : أولها : إيجاد اللفظة العربية المقابلة للمصطلح الأجنبي ، وثانيها : إخضاع اللفظ الأجنبي إلى أوزان العربية ، وثالثها : أخذ المصطلح الأجنبي بلفظه ، إذا كان مصطلحاً علمياً علماً ، منادوا في الوسط العلمي العالمي ، وذلك عند الضرورة .

١- تأسيس المجمع

● ماذا عن تاريخ تأسيس المجمع ، ومراحل تطوره ، وكيفية تنظيمه ؟

● بدأت فكرة تأسيس مجمع اللغة العربية الأردني منذ إنشاء اللجنة الأردنية للترجمة والتعريب والنشر في وزارة التربية والتعليم الأردنية عام ١٩٦١ م ، ثم تلا ذلك موافقة مجلس الوزراء المبدئية على إرسال ثلاثة وفود لزيارة الجامعات العربية في القاهرة ، ودمشق ، وبغداد ، من أجل الاستفادة من خبرات هذه الجامعات وتجاربها في هذا المجال . وفي عام ١٩٧٦ م ، صدرت الإرادة الملكية السامية بالموافقة على تأسيس مجمع اللغة العربية الأردني ، بحيث يتمتع بشخصية معنوية ذات



مبنى مجمع لآدم، وهو في طور الإنشاء ويظهر في الصورة قبة ومئذنة مسجد الجامعة الأردنية *

٥ - عقد المؤتمرات اللغوية في المملكة وخارجها ، وإقامة المواسم والندوات .

٦ - نشر المصطلحات الجديدة التي تم توحيدها في اللغة العربية بمختلف وسائل الإعلام وتعميمها على أجهزة الدولة .

٧ - إصدار مجلة دورية تصدر نصف سنوياً ، تعرف باسم (مجلة مجمع اللغة العربية الأردني) .

٨ - ويصدر عن المجمع بالإضافة إلى مجلته المطبوعات التالية :

أ - نشرات وكراريس تتضمن المصطلحات الأجنبية والمقابلات العربية ، التي أقرها مجلس المجمع .

ب - تحقيق بعض كتب التراث ، وصدر منها الآن كتاب رسائل أبي العلاء المعري ، في ثلاثة أجزاء تحقيق الدكتور عبد الكريم خليفة .

ج - الكتب العلمية المترجمة ، وصدر منها كتاب الرياضيات في جزئين .

د - التقارير السنوية الخاصة بالمجمع .

(٢) توحيد مصطلحات العلوم والآداب والفنون ، ووضع المعاجم ، والمشاركة في ذلك بالتعاون مع وزارة التربية والتعليم ، والمؤسسات العلمية واللغوية والثقافية داخل المملكة وخارجها .

(٣) إحياء التراث العربي والإسلامي في العلوم والآداب والفنون .

وسائل تحقيق الأهداف

● ما الوسائل التي يعتمد عليها المجمع لتحقيق أهدافه ؟

● «تحقيقاً للأهداف السالفة الذكر يقوم المجمع بما يلي :

١ - القيام بالدراسات والبحوث المتعلقة باللغة العربية .

٢ - تشجيع التأليف والترجمة والنشر وإجراء المسابقات لذلك .

٣ - إنشاء مكتبة للمجمع ، تفي بحاجته من المصادر والمراجع والمعاجم والموسوعات .

٤ - ترجمة الروائع العالمية ، ونشر الكتب المترجمة إلى العربية ومنها .

أعضاء المجمع

حصلت «الفصل» من الدكتور عيسى الناعوري أمين عام المجمع على معلومات تفصيلية حول عدد أعضاء المجمع وأسمائهم من الفئات الثلاث العاملين والمؤازرين وأعضاء الشرف كما يلي :

ما يزال عدد أعضاء المجمع العاملين ثلاثة عشر عضواً فقط ، وهم :

الدكتور عبد الكريم خليفة (رئيس المجمع) ، الدكتور محمود السمرة (نائب الرئيس) ، الدكتور سعيد التل (وزير التربية والتعليم ، عميد كلية التربية في الجامعة الأردنية سابقاً) ، الدكتور محمود إبراهيم (أستاذ في

الأعضاء المؤسسون

حصلت «الفصل» على المعلومات وأسماء أعضاء المجمع من الدكتور عدنان البخيت الأستاذ المساعد في قسم التاريخ في الجامعة الأردنية :

الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة رئيس المجمع .

الأستاذ الدكتور محمود السمرة ، نائب الرئيس .

الأستاذ الدكتور سعيد التل .

الأستاذ الدكتور محمود إبراهيم .

الأستاذ عيسى الناعوري أمين عام المجمع .

لفتة تاريخية

من الجدير بالذكر هنا أنه قد جرى إنشاء مجمع علمي عام ١٩٢٤م ، في الأردن في عهد الإمارة ، وانتخب الشيخ سعيد الكرمي رئيساً

له ، والفيلسوف التركي رضا توفيق ، والشيخ مصطفى الغلاييني ، ورشيد بقدونس ، ومحمد

الشرقي ، أعضاء . كما انتخب أحمد زكي باشا ، ومحمد كرد علي ، والشيخ أحمد عباس

الأزهري ، والأب أنستاس الكرمل ، واسعاف النشاشيبي أعضاء شرف . ولم يقدر للمشروع التمام حينذاك لأسباب عديدة .



شروط العضوية

● ما شروط العضوية في المجمع؟

● « ينص قانون المجمع على أن يتألف المجمع من :

أ - أعضاء عاملين ، ويشترط في العضو العامل ما يلي :

١ - أن يكون أردني الجنسية .

٢ - أن لا يقل عمره عن ثلاثين سنة ، ولا يزيد على سبعين سنة .

٣ - أن لا يكون محكوماً بأية جناية أو جنحة تمس الشرف والكرامة .

٤ - أن يكون ذا مقدرة في اللغة العربية تمكنه من المشاركة في أعمال

المجمع ، وأن تكون له كتب منشورة في أحد فروع العلم المعرفة ، أو بحوث أو ترجمات معروفة .

ويم تعيين العضو العامل بموافقة أكثرية الأعضاء في مجلس المجمع ،

بناء على تزكية خطية من عضوين عاملين على الأقل ، تتضمن صفاته

الخلقية ومؤهلاته العلمية . على أن يقرن القرار بالإرادة الملكية السامية .

ب - أعضاء مؤازرين ، ويشترط في العضو المؤازر شروط العضو

العامل باستثناء شرط الجنسية ، ويتم تعيين العضو المؤازر بموافقة أكثرية

أعضاء مجلس المجمع ، بناء على تزكية خطية من عضو عامل واحد على

الأقل تتضمن صفاته الخلقية ومؤهلاته العلمية ، وللعضو المؤازر أن يحضر

اجتماعات مجلس المجمع ، وأن يشترك في مداولاته وأبحاثه ، دون أن يكون

له حق التصويت على قراراته .

ج - أعضاء شرف ، وتمنح عضوية الشرف إلى :

١ - من يقدم خدمات جليلة للدراسات العربية .

٢ - العضو العامل عند بلوغه السبعين من عمره ، أو حين يصبح

غير قادر على المشاركة في أعمال المجمع .

ويتم تعيين عضو الشرف بقرار من وزير التربية والتعليم ، بناء على

تنسيب من المكتب التنفيذي للمجمع .

● هل هناك تعاون بين مجمع اللغة العربية الأردني

والمجمع اللغوي في الدول العربية وما أبعاد هذا التعاون؟

المستشرق الأستاذ فرانسيسكو غبريلي (إيطاليا) .

وفي هذا العام ١٩٨٠م ، انتخب المجمع أعضاء مؤازرين له من مختلف الأقطار

العربية ، ومن المستشرقين . ومن هؤلاء الأعضاء

جميع أعضاء المجمع العلمي العراقي ، وعددهم ٤١ عضواً . وقد فعل المجمع ذلك رداً لتحية

المجمع العلمي العراقي ، إذ كان هو البادئ بانتخاب جميع أعضاء المجمع الأردني أعضاء مراسلين له .

الأستاذ حسني فريز (عمان) ، الأستاذ

روكس العزيمي (عمان) ، الأستاذ محمد

العدناني (بيروت) ، الأستاذ علي نصوح الطاهر

(مصر) ، الأستاذ حسن الكرمي (لندن) ،

الأستاذ أكرم زعيتر (بيروت) ، الدكتور حسني

سبيح (رئيس مجمع دمشق) ، الدكتور إبراهيم

مدكور (رئيس مجمع القاهرة) ، ورئيس اتحاد

المجامع) ، الدكتور شوقي ضيف (مصر) ،

الدكتور عبد الرزاق محيي الدين (رئيس المجمع

العلمي العراقي سابقاً) ، الدكتور عبد العزيز

الدوري (عمان) ، الدكتور صالح أحمد

العلي (رئيس المجمع العلمي العراقي الحالي) ،

الأستاذ عبد الله كنون (طنجة / المغرب) ،

الجامعة الأردنية سابقاً) ، الأستاذ عيسى

الناعوري (الأمين العام) ، الدكتور أحمد

سعيدان ، الدكتور إسحق الفرحان ، الأستاذ

ذوقان الهنداوي ، الأستاذ عبد الرحمن بشتاق ،

الدكتور عبد الكريم غرايبة ، الدكتور محمد

سعيد النابلسي (مستألف البثك المركزي

الأردني) ، الأستاذ الشيخ إبراهيم القسطن

رد قلبي . سلفه :) ، الدكتور . سلفه :) .

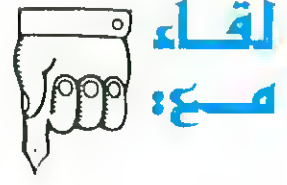
(رئيس الجامعة الأردنية السابق) .

وكان عدد أعضاء الشرف خمسة عشر

عضواً ، وقد أصبح العدد أربعة عشر عضواً

بعد وفاة المستشرق عبد الكريم جرمانوس ،

وهؤلاء الأعضاء هم :



● إحياء التراث العربي الإسلامي

● «شكل المجمع عدداً من اللجان الدائمة ، وذلك من أجل تنظيم أعماله وتوزيعها بشكل يضمن لها السرعة في الإنجاز ، والدقة في الأداء ، وهذه اللجان هي :

(لجنة التعريب والمصطلحات والمعاجم ، لجنة الترجمة ، لجنة التراث والأصول ، لجنة المجلة والمطبوعات والمكتبة ، لجنة المتابعة) .

ونظراً لطبيعة عمل المجمع التي تتطلب التعاون مع جهات كثيرة فإن المجمع يستعين ببعض الخبراء من ذوي التخصصات المختلفة من الوزارات والدوائر الحكومية والمؤسسات العامة والخاصة ، إذا دعت الحاجة إلى ذلك .

تبدأ هذه اللجان عملها في المجالات المنوطة بها ، وعندما تفرغ منه ، يعرض على مجلس المجمع من أجل مناقشته وإقراره ، ونشره في كتب مستقلة ، ثم توزيعه على الجهات المعنية في العالم العربي ، خدمة للغة العربية ، وتحقيقاً لأهدافها وقضاياها المشتركة » .

● «إن المجمع يؤمن بوحدة العمل والهدف والمصير ، وانطلاقاً من إيمانه وحدة العمل الجماعي فقد انضم إلى اتحاد المجامع اللغوية العربية عام ١٩٧٧ م . والمجمع يضيف جهده إلى جهودهم الحميدة في

هذا المضمار . ويأمل أن يأتي اليوم الذي تتوحد فيه الجهود عامة في الجامعات العربية والمجامع اللغوية ، والمؤسسات التعليمية والتربوية ، من أجل إعزاز لغة الضاد الشريفة ورفع شأنها .

والمجمع يتعاون مع المجامع العربية في شتى المجالات ، وذلك عن طريق تبادل المنشورات والمطبوعات ، تبادل الآراء والمشاورات ، عقد الندوات واللقاءات من أجل وضع خطة عمل موحدة تحقق للغة العربية مكانتها وتعيد لها مجدها ، كما كانت في سابق عهدها » .

حركة العمل في المجمع

●● كيف يعمل أعضاء المجمع ولجانه ؟

نجيب خروفي ، الدكتور نوري القيسي ، الدكتور كامل حسن البصير ، الدكتور أحمد عبد الستار الجواربي ، الأستاذ محمد حسن آل ياسين .

ومن مجمع دمشق :

الدكتور عدنان الخطيب ، الدكتور محمد هيثم الخياط ، الدكتور شكري فيصل .

ومن المجمع العلمي الهندي في عليكرة :

الدكتور علي محمد خسرو ، الدكتور غفار الدين أحمد ، الأستاذ أبو حسن الندوي .

والأستاذة التالية أسماؤهم :

الدكتور محمد أحمد سليمان عيان (عضو في

الدكتور عبد العال الصكبان ، الأستاذ سنحاريب زكا عيواص (البطريك أغناطيوس زكا الأول) ، الشيخ محمد الخال ، الدكتور

جوامير مجيد سليم ، الأستاذ يوسف خير والبازي ، الدكتور يوسف عز الدين ، الدكتور زكي صالح ، الدكتور جابر الشكري ، الدكتور

محمد صالح الدباغ ، الأستاذ أندراوس حنا ، الدكتور أحمد ناجي القيسي ، الأستاذ محمد تقي الدين الحكيم ، الأستاذ محمود شيت

خطاب ، الدكتور أحمد سوسة ، الشيخ عبد الكريم المدرس ، الأستاذ موسى عبد الصمد ، الدكتور يوسف جبي ، الدكتور

ناجي عباس أحمد ، الدكتور جواد العلي ،

وهؤلاء هم أعضاء المجمع العلمي العراقي الذين انتخبوا أعضاء مؤثرين في المجمع الأردني :

الدكتور سعدون حمادي ، الأستاذ عزيز عقراوي ، الدكتور مسارع الراوي ، الشيخ بهجت الأنري ، الدكتور محمود الجليلي ، الأستاذ طه باقر ، الدكتور منذر إبراهيم الشاوي ،

الدكتور رحيم سعيد ، الدكتور عبد العزيز البسام ، الأستاذ كوركيس عواد ، الأستاذ ضياء شيت خطاب ، الدكتور علي المياح ، الدكتور جميل الملاونكة ، الدكتور جمال محمد صالح ، الدكتور علي عطية عبد الله ، الدكتور حسن كناني ، الأستاذ فخايل عواد ، الدكتور فخري



من أهداف "المجمع" الرئيسية

عند الطلاب في اللغة العربية ، وتم في هذا الصدد :

١ - حصر المفردات المستعملة في المرحلة الابتدائية ، ضمن مشروع توحيد هذه المفردات في العالم العربي .

٢ - عقد ندوة استغرقت ثلاث جلسات ، اشترك فيها ما لا يقل عن ستين شخصاً من وزارة التربية والتعليم ، ووكالة الغوث ، ومجمع اللغة العربية . صدرت عنها عدة توصيات ، إلى وزارة التربية والتعليم ،

ووكالة الغوث ، ومجمع اللغة العربية ، والجامعتين الأردنيتين والجهات الأخرى المعنية .

ولدى المجمع الآن عدة مشاريع يعمل على إنجازها ، منها :

١ - الاستمرار في مشروع تعريب التعليم العلمي الجامعي ، لجميع مستوياته الجامعية ، وذلك لأن الوقوف عند تعريب التعليم الجامعي للسنة الأولى فحسب ، يجعل العملية مبتورة ، وقليلة الفائدة . والمجمع يعمل جاداً من أجل إنجاح هذا المشروع وتعميمه في الجامعات العربية .

جهود المجمع في خدمة العربية

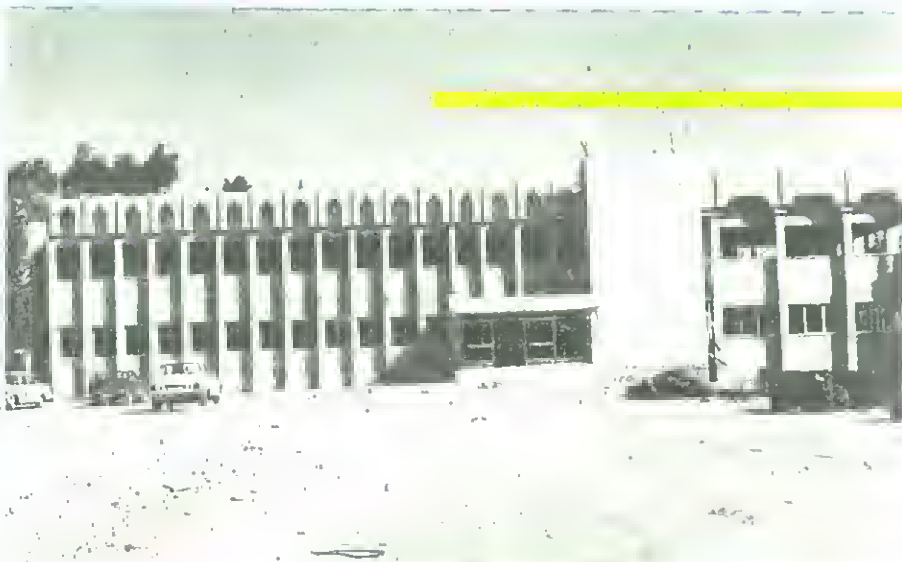
● ما جهود المجمع لتأصيل سيادة اللغة العربية الشريفة ، لغة القرآن الكريم ولتعميق دورها في الاستعمال اليومي والرسمي ؟

● « يعمل المجمع على معالجة أسباب ضعف العرب في اللغة العربية ، وفي سبيل تحقيق هذا الهدف ، قام المجمع بالأمور التالية :

أ - حث السلطات الرسمية على إلغاء التسميات الأجنبية للمؤسسات والشركات الأردنية والمحل التجارية ، واستبدالها بالتسميات العربية .

ب - الاتصال بوزارة الإعلام من أجل عقد دورات منتظمة للمذيعين والمنتجين ، بشارك في المجمع . وتم من أجل ذلك عقد لقاءات مع مدير البرامج في الإذاعة الأردنية ومدير البرامج في التلفزيون الأردني ، ورئيس قسم البرامج الثقافية ورجال الصحافة . وتم الاتفاق أخيراً على عقد دورة للعاملين في وزارة الإعلام خلال النصف الثاني من شهر آذار (مارس) .

ج - الاتصال بوزارة التربية والتعليم ، لعقد لقاءات مع المسؤولين من أجل بحث الوسائل الكفيلة بمعالجة الضعف

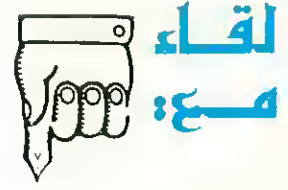


★ صورة مبنى المجمع وهو في طور الإنشاء ★

مجمع القاهرة) ، الأستاذ حمد الجاسر (المملكة العربية السعودية) ، الدكتور إبراهيم السامرائي (بغداد) ، الدكتور أبو بكر القاسم (مكة المكرمة) ، الأستاذ محمد مزالي (تونس) ، الأستاذ محمود السعدي (تونس) ، الأستاذ خليفة محمد التليسي (ليبيا) ، الأستاذ عبد الرحمن اخاج صالح (الجزائر) ، الأستاذ عبد الحميد المهري (الجزائر) ، الدكتور عبد الهادي الشاوي (المغرب) ، الأستاذ عبد العزيز بن عبد الله (المغرب) .

ومن المستشرقين :

● الأستاذ جاك برك (فرنسا) ، الأستاذ بيدرو مارينيث مونتافيث (إسبانيا) .



والعلمية الحاضرة وانطلاقاً من هذا الإيمان شارك المجمع في عدد من المؤتمرات والندوات منها :

١ - مؤتمر تعريب التعليم العالي في الوطن العربي ، الذي عقد في بغداد من ٤ - ٧ آذار (مارس) ١٩٧٨ .

٢ - مؤتمر مجمع القاهرة في دورته الرابعة والأربعين ، الذي عقد في القاهرة من ١٣ - ٢٧ آذار (مارس) ١٩٧٨ م .

٣ - ندوة الحاسبات الإلكترونية التي عقدت في عمان من ١ - ١٢ تموز (يوليو) عام ١٩٧٨ م .

٤ - مهرجان ابن رشد ، الذي عقد في الجزائر من ٤ - ٩ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٨ م .

٥ - ندوة اتحاد الجامعات اللغوية والعلمية العربية ، في عمان من ٣١ - ١٠ إلى ١٣ - ١١ ، ١٩٧٨ م ، بضيافة مجمع اللغة العربية الأردني .

٦ - مؤتمر مجمع القاهرة في القاهرة ما بين ٢٦ - ٢ إلى ١٢ - ٣ ١٩٧٩ م .

٧ - الملتقى الثالث عشر للفكر الإسلامي في مدينة تنغست في الجزائر ما بين ٣٠ - ٨ إلى ٨ - ٩ ، ١٩٧٩ م .

الاهتمام بالتراث

● عملية إحياء التراث ما دور المجمع وما منجزاته في هذا الشأن ؟

● « إن عملية إحياء التراث العربي والإسلامي في اللغة والعلوم والآداب والفنون من الأهداف الأساسية التي نص عليها قانون المجمع وهو حريص على تحقيق هذا الهدف وذلك عن طريق اختيار الكتب الأصول في التراث العربي والإسلامي ، ثم يعهد بها بعد ذلك إلى أساتذة مختصين من أجل القيام بتحقيقها والإشراف عليها .

صدر عن المجمع في هذا المجال :

١ - كتاب رسائل أبي العلاء المعري ، في ثلاثة أجزاء تحقيق الدكتور عبد الكريم خليفة .

٢ - سيصدر قريباً كتاب « الفلاحة لابن حجاج » ، بإشراف الدكتور عبد العزيز الدوري .

كان هذا اللقاء مع الدكتور عبد الكريم خليفة رئيس مجمع اللغة العربية الأردني عبارة عن سباحة داخل عقل وفكر المجمع .

٢ - العمل على تحقيق بعض كتب التراث الأصول ، وخاصة الكتب ذات الطابع اللغوي والعلمي للاستفادة منها في مسيرة المجمع من ناحية ، ولإحياء التراث العربي والإسلامي من ناحية ثانية . هذا وإن مشروع تفرغ المصطلحات العلمية من كتب التراث سيكون مصدراً مهماً في وضع المقابلات العربية للمصطلحات الحديثة .

٣ - مواصلة العمل في إعداد المقابلات العربية للمصطلحات الأجنبية في مختلف الوزارات والدوائر والمؤسسات العامة والخاصة .

٤ - القيام بالدراسات الميدانية بالتعاون مع وزارة التربية والتعليم والجامعتين الأردنية واليرموك ، والمؤسسات التعليمية والتربوية الأخرى ، ومن أجل رصد الضعف في تعلم اللغة العربية ، والعمل على معالجته بالوسائل الفعالة .

٥ - تطوير مجلة المجمع ، وتوسيع نطاقها بشكل فعال ، يجعل منها نافذة أساسية تكشف عن إنجازات المجمع ، وأوجه نشاطه في المملكة وخارجها .

نتائج الصلة بالمجامع

● ما نتائج صلتكم بالمجامع اللغوية الأخرى ؟

● « إن المجمع يؤمن بوحدة العمل والهدف والمصير . وانطلاقاً من إيمانه بوحدة العمل الجمعي فقد انضم إلى اتحاد الجامعات اللغوية العربية عام ١٩٧٧ م ، كما أشرت . وهو يضيف جهده إلى جهودهم الحميدة في هذا المضمار . وبأمل أن يأتي اليوم الذي تتوحد فيه الجهود عامة ، في الجامعات العربية والمجامع اللغوية ، والمؤسسات التعليمية والتربوية ، من أجل إعزاز لغة الضاد الشريفة ، ورفع شأنها .

والمجمع يتعاون مع الجامعات العربية في شتى المجالات ، وذلك عن طريق :

١ - تبادل المنشورات والمطبوعات .

٢ - تبادل الآراء والمشاورات .

٣ - عقد الندوات واللقاءات من أجل وضع خطة عمل موحدة ، تحقق للغة العربية مكانتها ، وتعيد لها مجدها ، كما كانت في سابق عهدها .

٤ - المشاركة في المؤتمرات العربية والدولية للمجامع اللغوية .

ولأن المجمع يؤمن بضرورة المشاركة الفعلية في الندوات والمؤتمرات العلمية والأدبية ، واللغوية داخل الأردن وخارجه ، خدمة للنهضة الثقافية



الاتجاهات الحديثة في

علاج التخلف العقلي

بقيام : د. محمد فرعلي فراج

فئات التخلف العقلي

يختلف التخلف عقلياً عن الشخص العادي في عدة مظاهر ، أهمها انخفاض مستوى الذكاء كما تقيسه الاختبارات النفسية المقيّنة (Standardized) ، ويتضح ذلك في انخفاض القدرة على التعلم وحل المشكلات والتفكير المجرد (٢ ، ٦) ، كما يتضح في ضعف الحصول اللغوي . بل قد نشاهد في الدرجات الشديدة من التخلف مشكلات التأخر الحركي ، وضعف القدرة على العناية بالاحتياجات الشخصية ، مثل ارتداء الملابس أو تناول الطعام أو ضبط وظائف الإخراج . وهناك عدة تصنيفات للتخلف العقلي (انظر «١»).

ولقد دأبت المجتمعات في العصور الماضية على التعامل مع المتخلف عقلياً بأساليب متباينة تتراوح بين الإهمال أو سوء المعاملة ، وفي أي من هذه الحالات كان المتخلف يزداد تخلفاً لحرمانه من حقوق العناية الإنسانية الرشيدة الواعية .

وإن كنا - رغم ذلك - نسجل الاعتزاز أن مجتمعاتنا الإسلامية أظهرت معاملة إنسانية أفضل للمتخلفين والمرضى النفسيين مما لقيه هؤلاء في المجتمعات الغربية في عصور تخلفها الحضاري . ولم يبدأ الغرب في تحسين هذه المعاملة إلا في القرن الماضي فقط ، وتأثير مما نقلوه عن الطب والعلوم والحضارة عند المسلمين .

وقد حدثت في منتصف القرن الحالي تطورات علمية هامة في أساليب العناية بالإنسان المتخلف عقلياً ، أمكن بفضلها مساعدته على أن يعيش حياة آدمية كريمة .

بالنسبة للوظائف الجسمية أو الحركية أو اللغوية أو الاجتماعية . وفي هذه الحالة لا بد من الإسراع باستشارة المختصين . ومن أهم الأمور التنكير بالعلاج حيث تزداد فرص التحسن مع صغر عمر الطفل . ولعل من أهم واجبات المجتمع في هذا الصدد توفير الخدمات النفسية القائمة على الأسس العلمية الحديثة لرعاية مختلف فئات التخلف العقلي والاضطرابات النفسية الأخرى للأطفال ، وأن لا يقتصر ذلك على مؤسسات التربية الفكرية التي ترعى فقط فئات التخلف العقلي الخفيف . بل هناك حاجة ماسة لإنشاء المؤسسات المتخصصة في العلاج العلمي للتخلف العقلي بدرجاته المختلفة .

وعلاج التخلف علاج نفسي سلوكي في أساسه . حيث يلعب العلاج الطبي دوراً محدوداً بالنسبة لعلاج التخلف باستثناء القليل من الحالات التي تعاني من اضطرابات قابلة للعلاج الطبي ، أو الحالات المصحوبة بالصرع epilepsy أو فصام الطفولة .

فالعلاج السلوكي behavior therapy هو العلاج الرئيسي الذي يمكن من تنمية سلوك الطفل المتخلف ، ومن علاج مشكلاته الأخرى .

ويهدف العلاج السلوكي التربوي إلى تحقيق أمرين أساسيين :

● **أولهما :** زيادة رصيد الطفل من السلوك السوي ، وذلك بتعليمه المهارات الأساسية مثل ارتداء الملابس ، وتناول الطعام ، والعناية بجأته الخاصة ، بجائب الكلام ومبادئ القراءة والحساب وغيرها .

● **والأمر الثاني :** هو علاج المشكلات السلوكية للطفل ، وذلك

★ هذه الطفلة المتخلفة عقلياً هنا ملامح وجهية نشئ (Down's syndrome) ★



ويمكن تصنيف درجات التخلف العقلي في أربع فئات .

لكل فئة منها خصائص معينة تتضح في مستويات نمو اللغة ، والسلوك الحركي ، وحل المشكلات ، والسلوك الاجتماعي ، والاعتماد على النفس ، كما يوضح ذلك الجدول رقم « ١ » . وإلى جانب ذلك فقد نجد لدى المتخلف عقلياً بعض أنواع السلوك غير الملائم . فقد يأكل القاذورات أو التراب ، وقد يتبول أو يتبرز في ملابسه ، وقد يلجأ إلى ضرب رأسه في الحائط لجذب الانتباه ، أو غير ذلك من أشكال السلوك غير الملائم .

جدول رقم (١) فئات التخلف العقلي الأربع

الفئة	درجة الذكاء	خصائص السلوك
سوي (عادي)	٩٠ فأكثر	لغة معقدة ، حكم سليم
تخلف خفيف	٧٠ — ٥١	يعرف كلمات قليلة ، يحل بعض المشكلات بصعوبة
تخلف متوسط	٥٠ — ٣٦	يعرف كلمات بسيطة ، يحل المشكلات اليومية بصعوبة — ضعف التأزر الحركي ، إهمال اللبس ، يفتقر إلى المهارات المهنية .
تخلف شديد	٣٥ — ٢٠	يعرف كلمات بسيطة ، لا يحل الكثير من المشاكل اليومية البسيطة ، ضعف التأزر الحركي ، عيوب جسمية كثيرة . لا يلبس بنفسه ، وغير مدرب على استعمال المراحيض .
تخلف عميق	١٩ درجة فأقل	يعرف كلمات محدودة جداً . لا يحل مشاكل الحياة اليومية البسيطة ، ضعف التأزر الحركي . عيوب جسمية كثيرة . لا يلبس بنفسه ولا يذهب للمرحاض ، يحتاج إلى رعاية مكثفة . لا يأكل بنفسه ولا يستخدم أدوات المائدة .

طريقة العلاج

يظهر التخلف العقلي منذ الميلاد أو الطفولة المبكرة . ويمكن للأباء ملاحظة بعض مظاهر البطء في النمو ، والقصور أو العجز لدى الطفل

للطفل من النواحي المختلفة الجسمية والعقلية والاجتماعية وكذلك سائر المشكلات الصحية نفسية كانت أو جسمية .

وقد يتطلب الفحص إعطاء بعض الاختبارات النفسية التي تقيس الذكاء أو النضج الاجتماعي Social Maturity ، أو مقاييس الإصابة العضوية للمخ brain damage ، أو قد يتطلب الأمر القيام بعملية رسم المخ أو تصوير الدماغ بالأشعة السينية . . أو عمليات التحليل الطبي المختلفة .

وبناء على تلك الفحوص الشاملة يتم إعداد تقارير مفصلة عن مختلف النواحي النفسية والجسمية التي كشفت عنها الفحوص . كما يقوم المختصون ببناء على ذلك بإعداد برامج التنمية السلوكية للطفل وبرامج علاج المشكلات السلوكية .

برامج التنمية السلوكية

تهدف هذه البرامج إلى تنمية مظاهر السلوك الإيجابي في جوانبه المختلفة من ناحية ، وإلى منع التدهور الذي يحدث كنتيجة لقلّة المثيرات وفرص التعلم عند الطفل المتخلف من ناحية أخرى .

وتعمل هذه البرامج على بناء بيئة تساعد على نمو الطفل بدلاً عن الإهمال أو عدم ملائمة الأساليب التربوية التقليدية .

وتشير الدراسات التجريبية (م . فراج ، ع . السيد ، ١٩٧٥ م) إلى أنه كلما كان عمر الطفل أصغر كانت درجة استفادته من البرامج التربوية والنفسية أفضل . ولذلك فإننا نوصي بإجراء الفحوص النفسية وإلحاق الطفل بالمؤسسات المتخصصة بأسرع ما يمكن حالما يتبين أن معدل نموه العقلي والاجتماعي أبطأ من المعتاد بشكل جوهري .

وإذا كان النمو العقلي لعامة الناس الأسوياء يأخذ في الإبطاء منذ العشرينات من العمر ، ثم يأخذ في التناقص البطيء منذ أواخر الثلاثينات (١٢) ، فإن معدل النمو العقلي لدى المتخلف عقلياً يأخذ في الإبطاء والتوقف في سن أدنى من ذلك بكثير . ولهذا فمن المهم أن نقدم تلك الخبرات التربوية الحيوية ابتداء من الطفولة المبكرة . (٨) .

وبرامج التنمية السلوكية برامج فردية وليست عامة ، بمعنى أن البرنامج يعد خصيصاً تبعاً لحالة الطفل ، وبناء على تقييم جوانب القوة والضعف في سلوكه . وهو بذلك يأخذ في الاعتبار مستويات النمو المتفاوتة داخل الطفل الواحد . ويتفق ذلك مع حقيقة أن هناك فروقاً داخل الفرد بجانب الفروق بين الأفراد .

ويشتمل البرنامج على العديد من خطط التنمية السلوكية التي تهدف إلى التغلب على مشكلات الطفل وإلى الوصول للأهداف السلوكية التي يستطيع الطفل الوصول إليها بناء على التقييم وبفضل الأساليب العلمية الخاصة . وبذلك فإن هناك جانبان هامين هما :

(أ) مضمون البرنامج .

(ب) أسلوب أو طريقة التعلم .

ومن ناحية مضمون البرنامج السلوكي فإن من الممكن تصنيف



★ جهاز يجي الأطفال المنانين بالصرع من خطر السقوط ★

بتعليم الطفل أن يصدر السلوك المناسب في الزمان والمكان المناسبين . أي بعبارة أخرى جعل سلوكه ملائماً ومقبولاً اجتماعياً ، وخفض السلوك غير الملائم .

واهدف العام للعلاج السلوكي التربوي هدف إنساني ، وهو أن تمكن الطفل من أن يحيا حياة إنسانية كريمة يعتمد فيها على نفسه إلى أقصى حد ممكن ، وأن لا يصبح مجرد عالة وعبئاً على أهله وذويه واجتمع بوجه عام .

١ "خطوات" العلاج

تبدأ هذه الخطوات بتحويل الطفل إلى العيادة أو المؤسسة المتخصصة برعاية الأطفال المتخلفين عقلياً . ويلاحظ أن هناك مؤسسات تقبل فقط الأطفال ذوي التخلف الخفيف الذين تتراوح درجات ذكائهم بين ٥٠ ، ٧٠ درجة من درجات الذكاء . وتسمى هذه المؤسسات غالباً باسم مؤسسات التربية الفكرية . وتقتصر هذه المؤسسات في قبولها على أولئك الأطفال الذين لا يعانون من مشكلات أخرى نفسية أو جسمية أو عصبية .

ولكن هناك الكثير من الأطفال المعوقين فكرياً ممن تنخفض درجاتهم عن ٥٠ درجة أو ممن لديهم مشكلات أخرى كالصرع أو الشلل أو صعوبات البلع أو الفصام . . . وهؤلاء يحتاجون إلى مؤسسات متخصصة يستخدم فيها أنواع العلاج التي نتحدث عن بعضها في هذا المقال .

وبمجرد تحويل الطفل للمؤسسة يتم إجراء عملية فحص شاملة

محتوياته بشكل عام إلى ثلاثة جوانب هي :

(١) السلوك اللفظي .

(٢) السلوك العملي .

(٣) السلوك الاجتماعي .

ويشتمل السلوك اللفظي بدوره على العديد من المهارات التي تبدأ من القدرة على استقبال وفهم الاتصال اللفظي أو الكلام ، والقدرة على التعبير اللفظي ابتداء من المستويات البسيطة للتعبير حتى المستويات الأكثر تعقيداً ، وكذلك القدرة على القراءة والعد الحسابي والكتابة ، وما يتبع ذلك من مهارات أعلى وأكثر تعقيداً .

أما السلوك العملي أو الأدائي Performance فيشتمل على جوانب حسية ، مثل التمييز الحسي والسمعي أو البصري أو غير ذلك من أنواع الحواس ، وجوانب إدراكية مثل إدراك الخطوط والأشكال والحجوم ، ويشتمل أيضاً على جوانب حركية مثل الرسم والتلوين والفك والترياق ، وكذلك تعلم المهارات العملية كالتجارة والخزف والنسيج وغير ذلك .

وأما السلوك الاجتماعي ، فإنه يتضمن إدراك التعبيرات والمواقف الاجتماعية والعلاقات الاجتماعية وتعلم السلوك الملائم اجتماعياً ابتداء من التحكم في وظائف الأكل والإخراج والنظافة وارتداء الملابس ، إلى السلوك الاجتماعي الأكثر تعقيداً مثل كيفية مخاطبة الآخرين ، وكيفية استخدام جهاز التلفون ، كتابة خطابات ... إلخ .

ويشتمل البرنامج التعليمي عادة على خطة مفصلة تحدد تفاصيل الأشياء التي يراد تعليمها للطفل ، والتي تتناسب مع حالته الفردية الخاصة . كما يحدد البرنامج أيضاً أنواع السلوك غير الملائم التي يراد تغييرها . وذلك هو الجانب العلاجي في البرنامج .

وبذلك فإن هذه البرامج تختلف من طفل لآخر تبعاً لاختلاف تفاصيل النمو ونواحي القوة والضعف لدى كل طفل . ويتم تكييف سرعة التعلم تبعاً لمستوى ذكاء الطفل وسرعة استيعابه .

أسلوب التعليم

لا تصلح الأساليب التربوية المستخدمة في المدارس العادية في تعليم الأطفال المتخلفين . فهم يحتاجون إلى أساليب خاصة تراعي قدراتهم العقلية وخصائصهم الوجدانية والسلوكية . ويتضح ذلك بشكل أكبر في حالة الأطفال الشديدي التخلّف .

وقد طور علماء النفس في السنوات الأخيرة الأساليب الملائمة لتعليم الأطفال المتخلفين عقلياً . والاتجاه الرئيسي في هذا المجال هو ما يطلق عليه اسم تعديل السلوك Behavior modification .

وينبني تعديل السلوك على أساس نظرية التعلم التي طورها عالم النفس الأمريكي سكينر B. F. Skinner والمسماة بالارتباط الشرطي الفعال Operant conditioning .

وتقوم هذه النظرية على مبدأ أساسي هام هو مبدأ التعزيز reinforcement والتدعيم يعني المكافأة بأنواعها المختلفة والتي يؤدي تقديمها للفرد عقب صدور السلوك إلى زيادة معدل حدوث هذا السلوك . فمثلاً إذا قام الطفل بسلوك معين فقمنا بإعطائه حلوى إثر حدوث هذا السلوك فإن الطفل يميل إلى تكرار هذا السلوك فيما بعد . والمهم هو إعطاء التعزيز عقب صدور السلوك فوراً عن الطفل .

أنواع المددعات

هناك أساساً أربعة أنواع من المددعات وهي :

(أ) المددعات الغذائية : مثل أنواع المأكولات والخلوى والمشروبات التي يجيها الطفل .

(ب) المددعات النشاطية : مثل اللعب بدمى أو ركوب دراجة أو اللعب بالكرة .. إلخ .

(ج) المددعات الاجتماعية : وهي المددعات التي تتضمن أشخاصاً آخرين مثال ذلك مدح الطفل وتشجيعه واحتضانه أو الترياق على كتفه أو غير ذلك من مظاهر الاهتمام الاجتماعي .

(د) المددعات الرمزية : Tokens كالنفود أو قطع من البلاستيك مثلاً ، يمكن استبدالها بأشياء أخرى محبة للطفل .

وتتشابه جميع هذه المددعات في أن إعطائها للطفل عقب صدور السلوك فوراً يؤدي إلى زيادة معدل تكرار حدوث هذا السلوك . مع ملاحظة أن يؤخذ في الاعتبار تفضيلات الطفل والأشياء التي يجيها ، وبالتالي يمكن أن تؤدي دور المددعات .

وهناك قواعد تفصيلية تحكم إعطاء المنبهات إلى جانب مبدأ الفورية . فنحن نبدأ دائماً بإعطاء التعزيز بصورة مستمرة ، أي في كل مرة يصدر فيها السلوك عن الطفل ... وفيما بعد نتحول إلى ما يسمى بالتدعيم المتقطع ، حيث نعطي التعزيز عقب حدوث السلوك عدة مرات (مثلاً كل خمس استجابات نعطي التعزيز عقب خامس استجابة) .

ويؤدي استخدام التعزيز الفوري تبعاً لنظام معين إلى تعلم الطفل لأنواع السلوك المرغوبة . ويصلح ذلك في الكثير من أشكال السلوك مثل تعلم الكلام وارتداء الملابس وتناول الطعام بطريقة سليمة ، وغير ذلك من أشكال السلوك الجيد التي تساهم في جعل الطفل المتخلف إنساناً يعيش حياة الأدميين ويعتمد على نفسه في كثير من شؤونه ، كما يزداد شعوره بالرضاء .

علاج المشكلات السلوكية

أشرنا من قبل إلى أنه بجانب التخلّف العقلي يعاني هؤلاء الأطفال أحياناً من بعض المشكلات السلوكية التي تعتبر بمثابة سلوك غير ملائم ، أو غير مرغوب نريد تغييره . ومن أمثلة ذلك العادات الضارة أو السلوك العدواني أو إيذاء النفس ... إلخ . وهنا نجد أن هناك أساليب معينة

يستخدمها الأخصائي النفسي في علاج هذه المشكلات . وسوف نعرض هنا لأسلوبين منها .

أسلوب خفض الحرمان النفسي الجسمي

لدى كل إنسان حاجات أو دوافع جسمية ونفسية مثل : الحاجة إلى الطعام والماء والراحة والجنس ، وبذل النشاط الجسمي ، والحاجة إلى التقدير والاهتمام من الآخرين ، والحاجة لإرضاء حب الاستطلاع وغيرها .

وعندما توجد عوائق تمنع إشباع هذه الحاجات تتولد عند الإنسان حالة من التوتر والإحباط والحرمان . . وفي كثير من الحالات نجد أن السلوك غير اللائق يرجع إلى حالة حرمان تتعلق بإحدى هذه الحاجات الجسمية النفسية .

ويقوم الأخصائي النفسي بدراسة مفصلة لحالة الطفل للتعرف على ما يعاني منه . وبناء على ذلك يتم تنظيم الحياة اليومية للطفل بطريقة تقلل من حالات الحرمان النفسي - الجسمي . فيتم بذلك إرضاء حاجات الطفل مثلاً للاهتمام من الآخرين أو حب الاستطلاع أو النشاط الجسمي بالطرق اللائقة (٥) .

وفي هذا الصدد يحاول الأخصائي النفسي اكتشاف أي حالات تسبب الألم أو المتاعب للطفل ، وبالتالي تؤدي إلى إحساسه بالتوتر أو الملل . ومن المهم أيضاً تعليم الطفل الأساليب المقبولة اجتماعياً للتعبير عن مشاعره . فمثلاً في حالة الغضب يحسن أن يعبر الطفل عنها بطريقة مقبولة وليس بتكسير الأشياء أو خبط رأسه في الحائط .

أسلوب الانطفاء

يوضح لنا التحليل السلوكي أن الكثير من التصرفات (الجيدة أو السيئة) - تصدر عن الأطفال لأنها تلقى الاهتمام والتدعيم من الأشخاص

★ مشاركة العقاقير في اللعب تجعله سعيداً ★



المحيطين بالطفل ، وهذا الاهتمام والتدعيم يحدث غالباً بشكل آلي ودون قصد أو تنبه من جانب هؤلاء الأشخاص . وأحد الأساليب الفعالة التي استخدمت لإلغاء مظاهر السلوك غير المرغوب عند الأطفال أسلوب الانطفاء (١١) .

وتبعاً لهذا الأسلوب نقوم باستبعاد التدعيم بمختلف أشكاله عند حدوث السلوك غير المرغوب . فمثلاً إذا كان الطفل يتلفظ بكلمات غير ملائمة أو يبكي ويصرخ دون وجود سبب حقيقي (جسدي أو غيره) فإن المعالج أو الأم تدير ظهرها للطفل ولا تعطيه أي اهتمام حتى ينتهي من هذا السلوك غير اللائق ، وبعد مرور ٢٠ ثانية تقريباً من انتهاء الطفل من السلوك غير اللائق يستديره نحوه المعالج ويعطيه مكافأة (حلوى أو غيرها) ويستمر في إعطائه هذه المكافآت طالما ظل سلوكه ملائماً حوالي كل ٢٠ ثانية . . وحالما يصدر عنه السلوك غير اللائق يعطيه المعالج ظهره ويتوقف عن إعطاء المكافآت إلى أن يتوقف مرة أخرى عن هذا السلوك غير اللائق . ويلاحظ أن هذا العرض المبسط يحاول أن يقرب الفكرة الأساسية لأساليب العلاج .

وهناك أساليب عديدة أخرى استخدمها علماء النفس بنجاح في علاج مشكلات الأطفال السلوكية .

وبوجه عام يعتبر تعديل السلوك قوة حقيقية تمكن من تنمية سلوك الأطفال المتخلفين .

الهوامش

- ١ - د . لطفي بركات أحمد : الفكر التربوي في رعاية المتخلفين عقلاً ، مجلة الفصل ، ١ ، مجلد ٣ ، عدد ٢٨ شوال ١٣٩٩ هـ سبتمبر (أيلول) ١٩٧٩ م .
- ٢ - د . فراج (محمد) وآخرون : السلوك الإنساني . . نظرة علمية ، القاهرة : دار الكتب الاجتماعية ، ١٩٧٦ م .
- ٣ - د . فراج (محمد) الحياة النفسية ، القاهرة .
- ٤ - د . فراج (محمد) ، السيد (عبد الحليم) تنمية السلوك الاجتماعي ، دراسة تجريبية غير منشورة .
- ٥ - د . فراج (محمد) ، الملا (سلوى) ترجمة . تعديل سلوك الأطفال ، القاهرة دار المعارف ، ١٩٧٦ م .

6-Anastasi, A. Psychological Testing. New York: Macmillan, 1968.

7-Blaka, Kathryn The Mentally Retarded. An Educational Psychology. New Jersey: Prentice Hall, 1976.

8-Hergenhahn, B. R. An Intred. to Theories Of Learning. New Jersey: Prentice-Hall, Inc., 1976.

9-Hilgard (E.) & Bower, G. H. Theories Of Learning. New York: Appleton - Century - Crofts, 1966.

10-Hill (W.) Learning (a survey of psychological interpretations). London: Methuen, 1975.

11-Martin, G. & Pear, J. Behavior Modification. New Jersey: Prentice-Hall, 1978.

12-Wechsler, D. Adult Intelligence. Baltimore: Williams & Wilkins, 1958.

جنته الصحراء

شعر: علي دمر

وافي خيالكم ياله من ساري
والليل يُغمُرني بعيذ الدار
أفدي الذي قد زار في غرض القلا
إن القلا قليلة الزوار
طيف بصاحبني كظلي أينما
تيمت في جلي وفي أسفاري
ملا الفجاج علي حياً أسراً
وملأت فيه الكون من أشعاري

يا يوم ينسا في بيوت الشعر في
أرج الربيع وهجة الأقدار
يهفو نسم الشبح يهيم شوقه
للسامرين بتفحه الميطار
والليل حاك على التلّاع برودة
والنار تشطع والساء ذراري
يزهو بأيدينا السلاح كأننا
في البر طائفة من الشوار
وشدا (الزباب) على يدي ذي نخوة
غرد يداعب نغمة القيثارة
غنى بالخان البوادي وهو في
صمت الظلام وضجة الأونار
وتنقل الفنجان من يد فارس
شبهم لكف مدجج نخار
من كل أروغ فيه نبل جوده
تبسو على وهج الرغى صبار
يزهو العقاب بشمرة عريّة
تمخضت على الأحداث والأدهار
والشيب جلّوا باللحى بعائم
تبجان عز خالد جبار
تلق على قسائم كرم الغلا
وطباغ الإنجاد والإشمار
ماوى الضرب وموطن السقار
وغياث ملهوف حماة ديار



رفعوا الأذان ورتلوا بصلاتهم
وتناصروا في حومة الأحطار
أجدادهم حملوا لواء الله في
كل الجهات لسائر الأقطار

★ ★ ★

وإذا غروسُ الصبح شقَّ خباؤها
واكتظت الأجواء بالأطيار
وتناغى الخرفان في سفح الرسى
وتناغم الرعيان بالزمار
ورعت جمال اليد عملاً سهلنا
بجنين نوق أو رُغاء حُور
طرنا على الخيل العتاق كأننا
جنٌ بدت في البر للقطار
في فتية صيد سلاله يعرب
من كل أصر زينة السمار
نهفو صفائره على وجناته
بعيون لثت كاسر ميثوار
نرد المباه من العيون كأنها
من ماء حوض الكوثر الفوار
تزنو لنا الفتيات في عجب كما
تزنو الظباء إلى شروق نهار
من كل مائة القوام كأنها
نظرت بعين الفرقد الدوار
عيش كأحلام الصبايا باسم
متضوئٍ الأصال والاسحار

★ ★ ★

ولقد غفوت على الدجى فالتم بي
وهناً خيالك مُبهج الأنوار
ورنا إلى بشوقه متاملاً
وافترت الشفتان عن أسرار
شغف كحظي أو كليل داس
والشغف كالبرق اللامع الساري

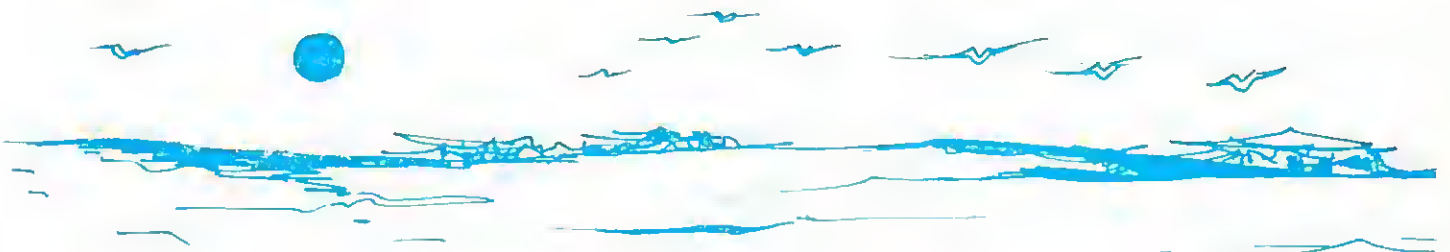
فغدوت منه على القلابة بجثة
رؤيا النسيم نديّة الأزهار
اختال في أرجائها في نشوة
بين الغصون الخضر والأنهار
من ذا دعاه؟ ولم يكن ذا رحمة
هو في البعاد بهجره متواري
هل جاء عن طول الجفا مستعذراً
أحب بما يديه من أعذار
فكأنه قد قال لي/أنا جاهل
من قبل فيك تعالي المقدار
أنى حللت أرى الأنام تحذثوا
في دهشة عن شمعك السيار
قد عاد صيتك في حياتي شاعلاً
وصداك في الاسماع والأبصار
فاتيت اطلب منك رجعة تائب
يحنو عليك مع أهوى وداري

★ ★ ★

وصحوت من نومي وإذ بي في القلا
ليس الحبيب وطيفه بجواري
وعلمت أن ما زال في هجرانه
ما لأن قط للمعبي المذار

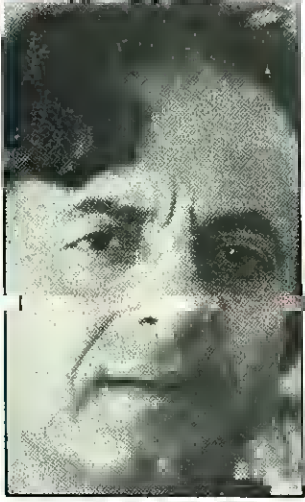
★ ★ ★

يا أيها العاتي على كبدي اتثل
فهواك بي قدز من الأقدار
أذكيبت بي نار الطموح على الثرى
فغدوت أسبح في هيب النار
أنا شعلت لمعت على ليل الورى
يَجْلُو سناها غيب الأفكار
ذل المحبون الال خضعوا لىدى
مُر أهوى ويكوا على الآثار
زد في جفاك أزد غلاً في وحسدي
أنا يا حياتي مفرد الأطوار

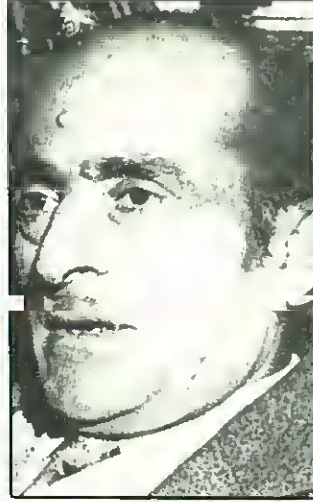




★ الباب ★



★ أدونيس ★



★ خليل حاوي ★

القصيد، هذا الخصاد
الإبداعي المتفجر من
معاناة الشاعر وقلقه
الوجودي وانفعالاته حيال
هذا الكون المعجون
بالأسرار، هذا البناء
المتكامل المنصهر في قلب
الفنان، لا بد له، ليصل
إلينا، من أن يتجسد في
بنية مترابطة متماسكة هي
اللغة الشعرية.

اللغة

وهناك تصور آخر للغة الشعرية، إذ هي كل مكونات العمل الشعري من ألفاظ وصور وخيال وعاطفة ومن موسيقى، ومن مواقف بشرية تشكل ما نسميه بالمضمون البشري. وتتجمع كل هذه المكونات في منظور الشاعر لتكون القصيدة^(١).

أما سارتر فيرى أن اللغة «هي، بالنسبة للشاعر، مرآة العالم. ومن هنا تطرأ تبدلات هامة على نظام الكلمة الداخلي. إن صوتيتها وطونها وأواخر المذكرة والمؤنثة ومظهرها البصري، تؤلف له وجهاً حسيّاً يمثل المعنى أكثر مما يعبر عنه»^(٢).

أما أدونيس فيدعو إلى الثورة على المفهوم التقليدي للغة الشعرية قائلاً: «إن اللغة الشعرية تكشف عن الإمكان أو عن الاحتمال، أي عن المستقبل». واللغة الشعرية تبعاً لذلك تحويل دائم للعالم وللإنسان^(٣). ولغة الشعر هنا ليست لغة تعبير بقدر ما هي لغة إبداع ولغة إشارة^(٤).

في حين أن الدكتور ميشال سليمان يرى أن اللغة الشعرية لا تندرج في سياق اللغة الأدبية وإنما هي زهرتها التي تفتتح بالاعتصاب الواعي، لكي تصبح اللغة الأدبية الخلفية التي تنسلخ عنها اللغة الشعرية على نحو جمالي جديد... إن كل مفردة في هذه اللغة، هي عامل شعري يتضمن، بالإضافة إلى معناه، قيمة تعبيرية تتجاوزه بوصفها ناجمة عن العلاقات القائمة بين الألفاظ المفردة ومظهرها ومعناها وحركتها^(٥).

وإذ تنوعت الآراء وتعددت التعريفات لم يعد من المهم إيجاد تعريف واحد للغة الشعرية، ولم يعد مهماً تشريحها إلى عناصر وعوامل، فقد قيل في ذلك كثير. ولكن الأهم هو دراسة دور اللغة الشعرية، بتشكلاتها المختلفة، في إبداعية القصيدة العربية المعاصرة... وقبل ذلك لا بد من

ما اللغة الشعرية؟

هل هي «رباط قانوني» للتجربة الشعرية نفسها^(٦)؟

هل هي «بنية العالم الخارجي»^(٧)؟ أم ماذا؟

في الواقع، هناك تعريفات لا تنتهي، وسنحاول هنا عرض أهم ما قيل في هذا الموضوع.

يرى كولنجوود أن اللغة الشعرية هي تجسيد التجربة الشعرية في كلمات^(٨).

أما الدكتور مصطفى مندور فيعتبر أن الشعر بحد ذاته إبداع لغوي «وليس ضرباً من الإيقاع الموسيقي فحسب»^(٩).

والدكتور عز الدين إسماعيل يقول إن الشعر يستمد قوته من اللغة «فالشعر استكشاف دائم لعالم الكلمة، واستكشاف دائم للوجود عن طريق الكلمة»^(١٠).

والكلمات والعبارات في الشعر، حسب رأي الدكتور محمد غنيمي هلال، هدفها بعث صور إيحائية^(١١).

أما عند هربرت ريد، فالتجربة الشعرية تجربة لغوية، فالوحدة العاطفية التي دفعته إلى الكتابة عبارة عن صور لغوية داخلية، وما على الشاعر لإظهار هذه الصورة اللغوية الداخلية إلا أن يخترع الكلمات والصورة^(١٢).

ونبين أن مفهوم الإبداع الأدبي عند الدكتور محمد زكي العشماوي يعني سيطرة الأديب على اللغة بما يضيفه عليها من ذاته وروحه^(١٣).

بقلم : هدية الأيوبي

اللغة الشعرية في التراث العربي

على سبيل المثال لا الحصر نذكر قول امرئ القيس :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

بسقط اللوى بين الدخول فحومل

لنأخذ عبارة امرئ القيس « قفا نبك » نجد أن هذه العبارة الصغيرة تفتح أمامنا أفقاً لا ينتهي من الإيحاءات الناتجة عن التركيب اللغوي . إن الشاعر هنا - كما نعلم - يخاطب ، على عادة الجاهليين ، خليليه طالباً منها الوقوف لحظة للبكاء . ولكن المخاطبين يرمزان إلى بعض

الشعرية

حميميات الحياة كالصداقة وأنس الصحبة التي تعد من متع العيش . من هنا فإن أمر الشاعر بالوقوف ما هو إلا أمر لا واع إلى الدنيا وبالتالي إلى عجلة الزمن بالتوقف خشية فقدان الأحبة . إذن فأمنية الشاعر اللاواعية هي أن يتوقف الزمن ، ولو في لحظة بكاء وحسرة .

تستجلى هنا معاناة الإنسان من هذا النهر الذي يجري باستمرار دون توقف ، جارفاً في غمرة تياره كل ما أو من تحب ، هذا النهر - الفجيرة الذي يتجه باستمرار نحو الموت . يتبين لنا أيضاً أن هذا النداء المربع من أعماق الذات ما هو إلا انعكاس لخوفنا الدائم من قدوم اللحظة الحتمية ، فوقوف الزمن عند نقطة معينة يعني عدم السيولة وبالتالي عدم مجيء الموت ، وهذا ما كان يتمناه شاعرنا في تلك اللحظة .

ولكن وبما أنه لا يمكن إيقاف الزمن فإن الشاعر لم يعد أمامه سوى أن يقف مع صحبه ، كقشة وسط التيار ، ليمارس النواح والتفجع على أمس وإلى حاضر يوئى وآت سيمضي أيضاً . من هنا هذه الغنائية الرقيقة الحزينة في شعرنا العربي ، فما بكاؤنا إلا على ذواتنا الفانية في عالم شاسع أوسع من أن يحتوينا .

ولنأخذ أيضاً قول ربيعة الرقي :

قولي نعم ونعم إن قلت واجبة

قالت عسى وعسى جسر إلى نعم

إن جملة « وعسى جسر إلى نعم » لها مدلولات كثيرة وبالذات لفظة « وعسى » . فمن سياق البيت نرى الشاعر يتمنى أن تقول له حبيبته كلمة « نعم » ، ونعم تعني الجزم بحدوث الأمر . ولكن الحبيبة خيّبت ظنه

وقالت : عسى . وعسى نقطة وسط بين احتمال حدوث الشيء أو عدم حدوثه . إن هذه الكلمة تضع الشاعر في حالة حيرة وعدم استقرار إلى مصير معين . فإذا يفعل شاعرنا العربي ؟ إنه يرد مباشرة إذ يقول : « وعسى جسر إلى نعم » . إن الواو هنا جاءت تعقيباً مباشراً - دون تفكير - أي دون إعمال العقل ، إنه القلب الذي يتكلم هنا ، إنها العاطفة التي تدفع الشاعر إلى إلقاء نفسه في لجة الحيرة وعدم الاستقرار النفسي إلى يوم أن تتحول « عسى » إلى « نعم » .

إذن ، هذه العبارة تمثل انسياق الشاعر العربي وراء العاطفة ، وراء الأمل ، وأحياناً وراء المستحيل ، وذلك لإرضاء هوى غبر القلب ذات يوم . كما تمثل العبارة تعلق الذات العربية بأي بصيص أمل وذلك في محاولة للهروب من خيبة الواقع ومرارته بحثاً عن الخلاص .

وبطالعنا قول الشاعر الشريف العقيلي :

ضاقَت عليّ نواحيها فما قدرت

على الإناخة في ساحاتها القبل

إن الصورة الشعرية في هذا البيت تلعب دوراً كبيراً في إلباسه ثوباً إبداعياً . لو تذكرنا أن كلمتي « نواحي » و « ساحات » تقيدان السعة والامتداد لاستغرينا كيف أن الشاعر لم يقدر أن يوصل قبلاته إلى الحبيبة ، وكيف أن هذه الحبيبة لم تقدر على احتوائه رغم سعتها . هنا إشارة إلى « الوجود الكوني » للشاعر ، وإشارة إلى فقدان الاتصال الحميمي بين الحبيين وإلى الغربة الوجودية . فحينئذ الشاعر إلى الحبيبة كبير أكبر منها ومنه ، ورغبته فيها أعظم من أن تحتويها ، وهنا نلمح شمولية الشاعر وكأنها بشمول العالم بل وشمول المدى .

اللغة الشعرية المعاصرة

وقد تطورت اللغة الشعرية بتطور التجربة الذاتية . وإذا تأملنا في شعرنا العربي المعاصر نجد معالم هذا التطور واضحة جداً . وسنحاول في دراستنا هذه أن نستشف هذه المعالم لدى بعض - وليس كل - الشعراء الرواد الذين تجلّت في شعرهم صور التجديد .

وكما ذكر الدكتور عبد الحميد جيدة^(١) فإن اللغة الشعرية المعاصرة تتميز بخصائص جديدة ، منها :

(أ) سيمياء اللغة .

(ب) الاشتقاقات .

(ج) استخدام الرموز المختلفة .

(د) التجريد .

أ - سيمياء اللغة

«إن اللغة السيميائية هي لغة التحولات الكبرى، فاللغة تكون أجساداً، لا حروفاً، تتغير من الداخل وتغير علاقاتها ودلالاتها المعهودة مع الخارج، وهي بذلك تكون ثورة جذرية»^(١٦).

يتبين لنا أن السيمياء في اللغة الشعرية هي تحوّل جذري. لم تعد اللغة مؤلفة من مجرد حروف صامتة أو أصوات مغلقة بدلالات معينة نجبرها عبر العصور، بل أصبحت اللغة فعل تجديد وإبداع، وتحوّلت الحروف إلى أجساد تتحرك وتغير وتلون الأشياء بألوان متجددة في كل آن. وبالاختصار: إن سيمياء اللغة هي عملية تجديد في موقع الكلمة وفي دلالاتها. يقول أدونيس:

البح يوماً يجلس على النهر^(١٧).

لو أخذنا المعنى الحرفي لكل كلمة لأصبحت الصورة بلا معنى، ولكن حين نعرف أن لفظة «النهر» ترمز إلى الزمن لتغيرت الصورة تلقائياً.

ولنسمعه يقول أيضاً:

اتركوا للشجر أن يتبادل العصافير^(١٨).

هذه الصورة تصور مدى العلاقة الحميمة بين الشجر والعصافير، ولكأن الشجر مخلوقات حيّة تحس وتنفع.

ويقول الشاعر عبد الكريم شنيّة:

لست سوى حنّار يصطلي الكلام^(١٩).

ويقول الشاعر سليم بركات للدلالة على الهرم والعجز:

وأكؤم أيامي حول النار^(٢٠).

أما الشاعر خليل حاوي فيعبر عن إحساسه بثقل الزمن وطوله في قوله:

وعرفت كيف تمط أرجلها الدقائق^(٢١).

يمثل هذه اللغة السيميائية غير شعراؤنا المعاصرون الوظيفة التقليدية للكلمة وجسدها إبداعاً متحوّلاً.

ب - الاشتقاقات

ونلاحظ في شعرنا العربي المعاصر كثرة الاشتقاقات في الأفعال، كما نلاحظ استحداث أفعال وكلمات لم تكن شائعة قبلاً، وهذا دلالة على غنى لغتنا العربية وعلى تبحر رواد الشعر في هذه اللغة وإبحارهم أيضاً.

وقد بدأت ملامح هذا الاتجاه تظهر عند الشاعر خليل الخوري إذ يقول:

«والمدى في هائه يتمرأى»^(٢٢)

«فهرجت لك النجوم»^(٢٣)

«وكان الأفعاون يلوب»^(٢٤)

وتجلى هذا اللون عند أدونيس في ديوانه «مفرد بصيغة الجمع»:

«العصر تشنن جلده ويزن» (ص ١٩١).

«أتسول شتلات التبغ» (ص ٣٨).

«تتهودج أيامي رمزاً رمزاً» (ص ٦٠).

«هكذا خرج يتمعدن» (ص ٦٤).

«سلام لك أيتها السواعد التي تتنفط» (ص ٩٩).

قد يجتلي للمرء للوهلة الأولى أن هذه التراكيب خارجة على اللغة، ولكنها في الواقع من صميم لغتنا، ولكن الشاعر المعاصر استحدثها وسكب عليها من روح العصر فخرجت ناصعة.

ج - استخدام الرموز

لجأ شعراؤنا المعاصرون إلى استخدام الرموز المختلفة والأسطورية، وكل ذلك في سبيل السير بالشعر خطوات على دروب التحول والإبداع، والأمل على ذلك كثيرة.

يقول الشاعر أنسي الحاج:

«أقسم كلما عثرت على قلبي بين السطور

أن أهتف: وجدتك، وجدتك»^(٢٥).

أفاد الشاعر هنا من ردة فعل العالم «أرخميدس» حين اكتشف قانون الجاذبية^(*) فهتف: «وجدتها، وجدتها». أما الشاعر عبد الكريم شنيّة فقد أفاد من قانون الجاذبية نفسه ولكنه أخذه بطريقة مبتكرة حين قال:

«أعرف أن تفاعلة الألفاظ يحطها

السقوط إلى عل»^(٢٦).

كما أفاد شعرنا المعاصر من الحروف الأبجدية، وقد تأثروا في ذلك بالشعر الأوروبي وبخاصة رامبو^(٢٧)، وقد سُخرت هذه الحروف لغابات الشعراء التعبيرية. يقول أدونيس:

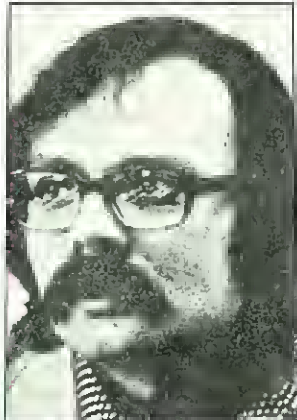
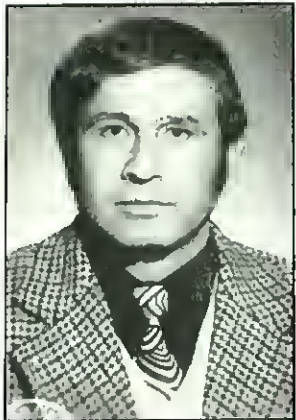
كشفت رأسها الباء والجيم خصلة شعر، انقرض انقرض

ألف أول الحروف انقرض انقرض

أسمع الهاء تنشج والراء مثل الهلال

* د. عبد الحميد جبة *

* أنسي الحاج *





★ محمد الأسعد ★



★ نورية الرومي ★

والموت، والميلاد، والظلام والضياء.

بصور الشاعر هنا البحر لحظة يمتزج المساء بالنهار، والبرودة بالدفء، إنها تلك اللحظة التي هي مزيج من النور والظلام، التي تجمع النقيضين معاً، إنها لحظة الموت والولادة. وقد اختلفت آراء النقاد والباحثين في عملية الإفادة من الأساطير في شعرنا المعاصر.

ترى الدكتورة نورية صالح الرومي أن إشارات الشعراء الجدد للتاريخ والأساطير القديمة «تبدو ذات قيمة فنية، ولكنها في الحقيقة قيمة سطحية، فإنها قد تسبب في غموض المعاني أكثر من إخصائها، لأنها تحتاج إلى معرفة بالتراث الديني والأسطوري حتى يمكن فهم دلالاتها الرمزية فهماً صحيحاً»^(٣٠).

ويرد عليها الأستاذ ماهر قنديل في قوله: «والواقع أن لجوء الشاعر الحديث إلى التاريخ والأساطير، قد استطاع أن يمد الشعر بأفق جديد يستطيع أن يخلق فيه، ويخرج بوساطته عن دروبه المألوفة الرتيبة، وأن يعبر به في كثير من الأحيان عن معاني لا يستطيع أن يكشف عنها مباشرة في ظل ظروف تقاومه حيناً، وتقهره أحياناً... أما مسألة الغموض فليس اللجوء إلى التاريخ أو الأساطير هو سببها، وإنما هي موجة يكاد يغرق فيها الشعر الحديث بصفة عامة»^(٣١).

أما الأستاذ محمد الأسعد فيهرر اعتماد الشعراء على الأسطورة بأنهم وجدوها جاهزة من حيث المعالم والمغزى، ولذا اتخذ شعراؤنا من الأسطورة «متكاً يحملون عليه قصائدهم. فكأنهم بذلك اكتفوا من التجديد والمحاكاة، ولم يستطيعوا وهم يسكنون بقبض فأس أصيل صناعة أداة في مثل أصالته. وكان قصائدهم جاءت تكرر نمطاً من الشعر يفتنهم ويحتذب إعجابهم»^(٣٢).

ويطالب الدكتور ميشال سليمان «الشاعر الحديث، لكي يكون إبداعياً بما تحمل الكلمة من عمق المعنى، أن يبتدع أسطوره من بيئته ومن مجتمعه على نحو ما فعل الشاعر التراثي في استبطان خوارج شعبه وتقديمها عملاً فنياً قادراً على إخراج هذا الإنسان من بيئته الخاصة في رحلة ما يتوخى».

وهناك رأي آخر، للدكتور عبد الحميد حميدة، وهو أن

غارقاً ذائباً في الرمال
انقرض انقرض^(٣٣)

وجدير بالذكر أن استخدام الحروف الأبجدية في الفن لم تسبقنا إليه أوروبا، بل هي جزء من تراثنا. أما عند الشاعر عبد الكريم شنيبة فأفاد من أحرف المضارعة في قوله:

لا أرى ألفاً
لا أرى نوناً

كيف يخرج الفعل الحلي من الفعل الماضي؟

الياء تسرق الأفق

الناء تصادر الهواء^(٣٤).

الألف والنون ترمزان إلى رمزي المخاطبة اللذان يبدأ بهما الفعل المضارع فنقول (أنا أكتب، نحن نكتب) ويرمي الشاعر هنا إلى إبراز الغربة الوجودية للفرد والجماعة تحت سيطرة الرواسب الماضوية، وسيطرة ضميري الغائب (هو يكتب، هي تكتب).

اللغة الأسطورية

اغتنى شعرنا العربي المعاصر بالرأفة الأسطوري، فهذا هو بدر شاكر السياب يستخدم مثلاً أسطورة عشتار باحثاً عن الأمومة والخصب، وأدونيس يعايش في شعره أسطورة الفينيق معبراً عن الموت والانبعث، وخليل حاوي ينفخ في شعره روح تموز تعبيراً عن التجدد والولادة، وغيرهم كثيرون.

إن ديوان «البئر المهجورة» للشاعر يوسف الخال، يكاد يكون قصيدة واحدة، تتنوع فيها عملية اكتشاف الجذب في نفس الفرد والجماعة مستصرخاً البعث، وهذا كله جسده الشاعر عبر أسطورة تموز. فاسمعه يقول في قصيدته «البئر المهجورة»:

ترى يحول الغير سيره كأن

تبرعم الغصون في الخريف أو ينعقد النهر

ويطلع النبات في الحجر^(٣٥).

أما قصيدة السياب «أنشودة المطر» فقد جسدت الموت والانبعث والخصب في آن معاً، ففي قوله:

عيناك غابتا تخيل ساعة السحر.

نرى السياب يرمز بعيني الحبيبة إلى غابتي تخيل. استخدم لفظ «تخيل» هنا دلالة على العطاء والخصب والاستمرار، لأن التخيل شجر معمر دائم العطاء. ومن هنا فإنه لم يعد يخاطب الحبيبة، كما نظن للوهلة الأولى، بل يخاطب الأرض - الأم في صورة عشتار رمز الخصب. وننتقل إلى المقطع الذي يقول فيه:

كالبحر سرح اليمين فوقه المساء

دفع الشتاء فيه وارتعاشة الخريف

« الأدب جعل من هذه الرموز الأسطورية مادة خصبة يرسم بها ما لم تستطع اللغة العادية أن تقوم به »^(٣٣).

وفي رأيي لا يمكننا أن نرى في إفادة الشعراء من الأساطير مجرد نوع من الانتكالية الفنية، أي أنهم يبعثون إراحة طاقاتهم الشعرية فتفياؤا الأسطورة يجتزون معلما. إن المسألة، في الواقع، هي مسألة « ارتياح » بقدر ما هي مسألة هم إبداعى. لقد وجد شعراؤنا في الأساطير متنفساً لمعاناتهم وشحناتهم الإبداعية، فراحوا يبدعون من هذا المنطلق وبخاصة أن الأسطورة هي عالم غني بالإيجازات والطاقت والكثوز. لذا رأيناهم بسلطون الضوء على تراث ظل لفترة طويلة مظموساً ونظر إليه على أنه نوع من الشعوذة أو الغيبيات.

كل هذه الخصائص التي ذكرناها، والتي تميزت بها لغتنا الشعرية المعاصرة، أدت إلى وجود ما يسمى « النحو الشعري »، إذ صار لكل شاعر نعتة الخاصة التي يصهر فيها انفعالاته ورؤاه، وصار لكل شاعر قاموس خاص له رموزه وتراكيبه ومفاتيحه الخاصة. أضف إلى ذلك أنه لم يعد يهم ما شكل القصيدة (شعرية أو نثرية)، المهم أنه توجد « كتابة شعرية » هذه الكتابة « التي اتخذت بعداً شمولياً إيحائياً لتزيل الحواجز بين الملكات الإنسانية المختلفة كما أزالها بين السمع والمشاهدة، ويكون الشعر في هذه الحالة قد تخلى عن الخطابة الصرفة، لينجلي في الكتابة التي تسعى إلى إبداع عالم جديد، لأنها فعل مستمر وعمل دائم واستمرار للنشاط الفكري الإنساني »^(٣٤).

وهكذا فإن « الصورة الإبداعية ليست فريدة في شكلها، وإنما فقط في التعابير الجديدة التي عرفت عبقرية الشاعر أن تجسدها فيها » [. . .]. وليست الصور مجرد زخارف عيشية ولكنها تشكل جوهر الفن الشعري. إنها هي التي تخر الشعرية الخبيثة في الكون والتي يبقها النثر أسيرة أيضاً^(٣٥).

نستنتج أن مهمة اللغة الشعرية هي التحرر، فالصورة الشعرية ليست مجرد إطار تندرج في داخله التعابير، وإنما هي أفق مشحون بطاقات واحتمالات لا تنتهي.

إن اللغة الشعرية ليست سوى عملية اغتصاب للغة العادية. إنها خروج على هذه اللغة، لكنه ليس خروجاً سلبياً إذ إن اللغة الشعرية تعود فتجبل اللغة العادية بمولود جديد هو التعبير الإبداعى نفسه. . . وفي النهاية، ماذا لدينا سوى الكلمات؟ العالم منسوج في صدى الكلمات.

الهوامش

١ - Cohen, Jean: Structure du Language Poétique Flammarion

(P. 33).

٢ - جان بول سارتر: ما هو الأدب؟ ترجمة جورج طرابيشي، دار عويدات

بيروت (ص ٥٣).

٣ - روبين جورج: مبادئ الفن، ترجمة د. أحمد حمدي محمود، الدار المصرية (ص ٢٢٢).

٤ - د. مصطفى مندور: اللغة والحضارة، منشأة المعارف (ص ٨٩).

٥ - د. عز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر، دار العودة (ص ١٧٤).

٦ - د. محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، دار ومطابع الشعب (ص ٤١٥).

٧ - Read, H.: Collected Essays in Literary Criticism, Faber & Faber. P. 43.

٨ - د. محمد زكي العشماوي، فضايا النقد الأدبي المعاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب (ص ٣١).

٩ - د. السعيد الورقي، لغة الشعر العربي الحديث، الهيئة المصرية العامة للكتاب (ص ٨٨).

١٠ - جان بول سارتر، ما هو الأدب؟ (ص ٥٤).

١١ - د. أدونيس: صدمة الحداثة، دار العودة (ص ٢٩٤).

١٢ - د. أدونيس: مقدمة للشعر العربي، دار العودة (ص ٧٩).

١٣ - مجلة الفكر العربي: عدد ٣ سنة ١٩٧٨ م (ص ١١١).

١٤ - د. عبد الحميد جيدة: الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر، مؤسسة نوفل (ص ٣٤١).

١٥ - المرجع السابق: (ص ١٣٤).

١٦ - أدونيس: مفرد بصيغة الجمع، دار العودة (ص ٢٥٨).

١٧ - المرجع السابق: (ص ٩٧).

١٨ - مجلة مواقف (ص ٤١) عدد ٣٦.

١٩ - سليم بركات: هكذا أبعث موسيقاتنا: منشورات تريبونف (ص ٢٨).

٢٠ - خليل حاوي: الأعمال الكاملة، دار العودة (ص ٢٧٩).

٢١ و ٢٢ و ٢٣ - خليل خوري: لا در في الصدف، المكتبة العصرية (ص ١٤٣، ١٤٦، ١٩٩).

٢٤ - أنسي الحاج: الرسالة بشعرها الطويل حتى الشبايع، دار النهار (ص ٨٢).

٢٥ - مجلة مواقف، عدد ٣٦ (ص ٤٢).

٢٦ - المرجع السابق (ص ٣٦٠).

٢٧ - أدونيس: الأعمال الكاملة، الجزء الثاني، دار العودة (ص ٥٨٦).

٢٨ - مجلة مواقف، عدد ٣٦ (ص ٤٢).

٢٩ - يوسف الخال: « البئر المهجورة »، الأعمال الكاملة، دار العودة (ص ٢٠٦).

٣٠ - مجلة الكويت: العدد ٣، ١٩٨٠ م (ص ٣١).

٣١ - المرجع السابق (ص ٣١).

٣٢ - محمد الأسعد: مقالة في اللغة الشعرية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر (ص ١٢٨).

٣٣ - د. عبد الحميد جيدة: الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر (ص ١٠٨).

٣٤ - المرجع السابق: (ص ٣٤٩).

٣٥ - Jean Cohen: Structure du Language Poétique (P. 47).

بين شاعرين



شارل بودليير • ابراهيم عبد القادر المازني

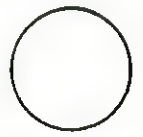
أزهار الشر

هو عنوان الديوان الشهير للشاعر الفرنسي شارل بودليير (١٨٢١ - ١٨٦٧ م) الذي سمي بحق شاعر العصر الحديث ، والذي لم يقتصر أثره على الشعر الحديث من بعده إلى يومنا هذا فحسب ، بل امتد كذلك إلى نظريات فن الشعر التي تتحدث عن طبيعة بنائه وظواهره وقضاياها ، والواقع أن الشعر الفرنسي بعد بودليير صار مسألة لا تعني القارة الأوروبية كلها ، ولكنه امتد حتى إلى شعراء العالم العربي ، وكما تأثر به فيرلين ورامبو ومالارميه ، حتى لقد اعترف هذا الأخير بأنه بدأ من حيث انتهى بودليير ، فقد تأثر به كذلك من شعراء العالم العربي المازني ، وعبد الرحمن شكري ، ويدر شاكرا السياب ، وغيرهم ، ممن تبينوا أن شعر بودليير كان أبعد أثراً من شعر الرومانسيين ، أما ديوانه الشهير «أزهار الشر» أو «زهور الشر» ١٨٥٧ م ، ففيه كل ملامح الشعر البودلييري الجديد ، فهو ليس من شعر الاعتراف الذاتي ، ولا هو من قبيل المذكرات الشخصية ، التي يسجل فيها الشاعر قصة حياته وعذاباته وإنما هو بداية الانجذاب إلى التخلي عن النزعة الشخصية والعواطف الذاتية في الشعر الحديث :

زهرة الشر

هي إحدى قصائد الجزء الثاني من ديوان الشاعر إبراهيم عبد القادر المازني ، وهو الجزء السذي صدره بقلمه ، وأدلى فيه برأيه في الشعر ، وكيف أنه ديوان يقيد فيه أهل العقول الراجحة ما يجيش في خواطرهم ، في أسعد الساعات ، وهو الذي ينقذ من الفناء والعدم خواطر الإلهام ، وهو الذي يخلق بالمرء فوق الحياة ، ويرغمه أن يحس ما يرى وأن يرى ما يحس ، وأن يتخيل ما يعلم وأن يعلم ما يتخيل ، وهو الذي يجعل القبح جمالاً ، ويزيد الجمال نضرة وجلالاً ، ويفجر في النفس ينابيع الأمن والفرح والسرور والألم ، ويذهب مياه الموت المسمومة المتدفقة في عروق الحياة ، وواضح من تعريف المازني لوظيفة الشعر ، مدى تأثره بالشاعر بودليير ، حتى لقد سمى هذه القصيدة «زهرة الشر» استلهاماً لديوان بودليير الشهير «أزهار الشر» ولقد كان المازني علماً في مدرسة الشعر العربي الحديث بعمامة ، كما كان هو وزميليه العقاد وشكري أعمدة مدرسة الديوان في الشعر .

قصيدة



قصيدة

• أزهار الشر •

التي تنغى بنشوة الروح والحواس

★ ★ ★

هناك فوق البرك ، عالياً فوق الوديان
فوق الجبال ، الغابات ، السحب ، البحار
وراء الشمس ، وراء الأثير .
وراء حدود الأفلاك ذات النجوم
تنطلقين خفيفة يا روعي
وكمثل سباح ماهر ينعم بالأمواج
تشقين أعماقها المهولة
بلذة رجولية تستعصي على التعبير

★ ★ ★

حلقي بعيداً ، بعيداً عن هذا الغصن المريض



الطبيعة هيكلي ، تنبعث من أعمدته الحية

في بعض الأحيان كلمات مختلطة
هناك يسير الإنسان وسط غابات من الرموز
تحديق فيه وتأمله بنظرات أليفة
وكما تختلط الأصداء المديدة من بعيد

في وحدة مظلمة وعميقة

ها رحابة الليل والضياء
تنجاوب العطور والألوان والأنغام
هناك عطور ندية كلحم الأطفال
عذبة كالمزامير ، خضراء كالمراعي
وأخرى فاسدة متبرجة وظافرة
شاسعة كالأشياء غير المحدودة
كالعبر والمسك والصمغ والبخور

• زهرة الشر •

يا زهرة النخس والشقاء
ووردة الكرب والهموم
تنضح أنفاسك المنايا
وطئ أندانك السموم
ترود من حولك الأفاعي
مطرورة الناب للنعم
العيش ريس وأنت دود
يا فرحة الدود بالرميم

★ ★ ★

يصدأ منا النهار حتى
نخاله ليلنا البهيم
والليل من وقعها كفيف
فكيف ينجاب أو يريم
لا يخلص الظن حيث تنمر
فالنفس من شرها عقيم

★ ★ ★

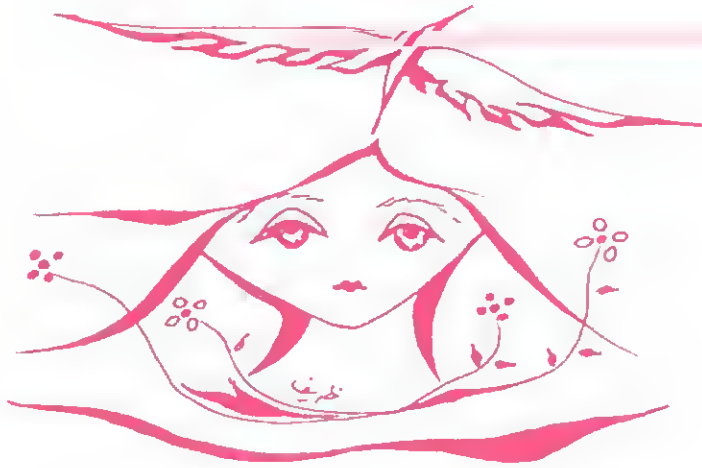


هيا ، طهري نفسك في أعالي الهواء
وعبي من نلك النار الناصعة التي تملأ ساطع الأجواء
ورداً .. سلخوم موزر .. أالحناء .. سريجة
التي سوزح بثقلها على الوجود الغائم كالضباب
ما أسعد من بسنطيم بجناحه الجبار
أن يطير صوب المروج المضيئة الصافية !

★ ★ ★

من تخلق أفكار كالقبرات
حرة كل صباح إلى السموات
من يرفرف فوق الحباة ويفهم بغير عناء
لغة الزهور والأشياء الخرساء .

ثورة الشعر الحديث : ج (١) للدكتور عبد الغفار مكاوي



تترك دون الخشا عراكا
كما التقت بالقنا الخصوم
فإن تكسرن في فؤاد
أودى الذي يُضمّر الحزيم
كأنما نثار الليالي
من الصبا وهو لا يدوم
توقد دون الضلوع نارا
طعامها النفس والجسوم

★ ★ ★

يا بؤس للحب كيف يُجنى
من جئة الحسن ذي الجحيم !
يا بؤس للناس هل تغنوا
بالبغض لو يحمّد الذميم !
وليس في البغض ما يعنى
وخطبه ليس بالجسيم !

ديوان المازني .. راجعه وضبطه وفسره : محمود عماد



يعتبر الشيخ عبد الحميد بن باديس الذي توفي في ١٦ أبريل (نيسان) سنة ١٩٤٠ م، عن عمر يناهز الواحد والخمسين عاماً، من أعظم رجال الإصلاح الإسلامي، والتربية الإسلامية في الجزائر، بل في أقطار المغرب العربي في العصر الحديث: (تونس - الجزائر - المغرب).

وقد ترك بصماته واضحة جليلة على معظم أحداث تاريخ الجزائر الحديث، لأنه كان من صناعه البارزين، ولذلك احتل ويحتل مكانة مرموقة في قلوب كل الجزائريين رجالاً ونساءً، شباناً وشيوخاً، فأبنا بحسنا في مختلف جوانب تاريخ الجزائر الحديث، سواء في التربية والتعليم، أو في الإصلاح الديني، والاجتماعي، والسياسي، للمجتمع العربي المسلم في الجزائر، أو في الدفاع عن مقومات الشخصية الجزائرية، أو في العمل المخلص والجاد من أجل حرية الجزائر واستقلالها، من رقة الاحتلال الفرنسي (١٨٣٠ - ١٩٦٢ م) إلا ونجد للشيخ عبد الحميد بن باديس مواقف بارزة، وأعمالاً جليلة، لا يستطيع أن ينكرها أحد، كما لا يستطيع أن يقلل من شأنها أحد كذلك.

ابن باديس

رائد إصلاح الإسلام والتربية

من كان يبغى ودنا
أو كان يبغى ذلنا
هذا لكم عهدي به
فإذا هلك فصيحتي

فعلى الرحابة والكرم
فله المهانة والحرب
حتى أوسد في التراب
تحيا الجزائر والعرب

وهو تشيد طويل كانت الجزائر ولا تزال تردده في فخر واعتزاز لأنه يعبر تعبيراً صادقاً عن صادق إسلامها، وصادق عروبته، وصادق وطنيتها، وصادق انبائها الحضاري والثقافي.

الثورة الجزائرية والشيخ ابن باديس

وبعد استقلال الجزائر في عام ١٩٦٢ م، يعد ثورة شعبية شاملة، كانت إحدى ملاحم التاريخ الإنساني المعاصر، في التضحية، والفداء، والبطولة، عرفت الثورة الجزائرية الطافرة مكانة الشيخ عبد الحميد بن باديس، ودوره العظيم في إعداد الشعب الجزائري لمدة ثلاثين عاماً (١٩١٣ - ١٩٤٠ م)، للثورة ضد المحتل الفاسد، وما قام به من أعمال جلييلة من أجل المحافظة على مقومات الشخصية العربية الإسلامية

وقد عمل بدون كلل ولا ملل من أجل النهوض بالشعب الجزائري ثقافياً، وعلمياً، ودينياً، وناضل بعلمه، وقلمه، وبكل ما يملك من إرادة المؤمن الصادق، والمجاهد الجسور، من أجل حرية الجزائر واستقلالها إلى المدى البعيد، في أحلك الظروف وأفساها، وأشدّها طغياناً وعنفواناً. عن طريق تكوين الرجال، وإعداد القادة، ونشر الوعي العربي الإسلامي، والسرية السياسية بين الجزائريين، حتى يصبح الشعب قادراً على خوض غمار معركة الاستقلال المسلحة حين يأتي وقتها بكل متطلباتها من عدة وعناد، وتنظيم وقيادة، ضد الاستعمار الفرنسي الذي احتل الجزائر العربية المسلمة أكثر من قرن من الزمان، (١٨٣٠ - ١٩٦٢ م)

وسنّد وفاته في ١٦ أبريل (نيسان) ١٩٤٠ م، والشعب الجزائري في كل عام يحتفل بذكرى وفاته. فيقيم المهرجانات، وينشد الأناشيد الوطنية التي ألفها ابن باديس مثل نشيده الرائع.

شعب الجزائر مسلم
من قال حاد عن أصله
أو رام إدماجاً له
وإلى العروبة ينتسب
أو قال مات فقد كذب
رام الخال من الطلب

﴿ يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ﴾ .

وقد تصدى ابن باديس وجماعة من رفاقه في عزيمته وفدائية لمواجهة تلك الحرب الشرسة والمتعددة الأطراف ، وكان النصر ، وكانت الغلبة في الأخير لهم ﴿ إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم ﴾ .

من هنا أصبحت الجزائر تحتفل في كل عام بعد الاستقلال « بعيد العلم » في يوم وفاة ابن باديس حتى تبقى ذكره حيّة وهاجة في قلوب الجزائريين ، وتبقى أعماله الجليلة التي قام بها من أجل بعث الشعب الجزائري ، والنهوض به ثقافياً ، وإسلامياً ، وسياسياً ، وعربياً وتحريره من الخرافات ، والشعوذة ، المنافيتين للدين ، تبقى نبراساً للشباب الجزائري ينسج على منوالها ويهتدي بها في خدمة الجزائر ، والعروبة ، والإسلام ، ضد كل الأيديولوجيات المستوردة من الخارج ، التي تتنافى مع العقيدة الإسلامية ، والتراث الإسلامي العرسي للجزائر .

جوانب من شخصية ابن باديس

والشيخ عبد الحميد بن باديس إلى جانب وطنيته الصادقة ، وعمله المتواصل ، من أجل تحرير الجزائر من الخرافات والجهل ، والاستعمار ، ذو شخصية عظيمة بآتم معنى العظمة ، ولا تقتصر عظيمته على جانب دون آخر بل شملت جوانب عديدة نلخصها فيما يلي :

١ - إنه مرب عظيم استطاع أن يربي للجزائر جيلين من الرجال الصناديد كانوا عمدة نهضتها العربية الإسلامية الحديثة . . . وقد كان له رأي خاص في تربية الناشئة الجزائرية تربية خاصة نظراً لظروف الجزائر في الفترة ما بين الحربين العالميتين (١٩١٤ - ١٩٤٥ م) ، لخصه الشيخ البشير الإبراهيمي نائب ابن باديس في رئاسة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (١٩٣١ - ١٩٥٦ م) ، كما يلي : « كانت الخطة التي اتفقنا عليها أنا وابن باديس في اجتماعنا بالمدينة المنورة ١٩١٣ م ، في تربية النشء هي ألا نتوسع له في العلم وإنما نربيّه على فكرة صحيحة ، ولو مع علم قليل ، فتمت لنا هذه التجربة في الجيش الذي أعددناه من تلامذتنا^(١) » .

٢ - وهو مفسر للقرآن الكريم قدير على الطريقة السلفية مراعياً مقتضيات العصر أو متطلباته ، وشروط النهضة الحديثة ، يعتمد على تفسير القرآن للقرآن ، وعلى بيان السنة النبوية ، من أفعال النبي وأقواله ، ثم على أصول البيان العربي ، وله قدرة فائقة على فهم مدلول الآيات القرآنية ، واستخراج العبر والعظات منها ، والقدرة على تطبيق كل ذلك على أحوال المجتمع الإسلامي المعاصر ، الجزائري وغيره من المجتمعات الإسلامية الأخرى .

وقد أتم تفسير القرآن كله في حوالي خمسة وعشرين عاماً ، في الجامع « الأخضر » بمدينة قسنطينة « مسقط رأسه »^(٢) في الشرق الجزائري ، وذلك في عام ١٩٣٨ م ، وقد احتفل الشعب الجزائري بهذه المناسبة احتفالات رائعة دامت حوالي أسبوع في مدينة قسنطينة في شهر جوان



في الجزائر

بصم : د . تريك رابح

للشعب الجزائري ، ويعتبرها بعثاً جديداً لذلك كانت وفيه له ، فقررت جعل يوم ١٦ أبريل (نيسان) من كل عام وهو ذكرى وفاة ابن باديس يوماً وطنياً يحتفل به الشعب الجزائري ومنظّماته الوطنية في كل مكان من الوطن الجزائري .

وقد أطلقت قيادة الثورة الجزائرية على هذا اليوم اسم « عيد العلم » لأن الشيخ عبد الحميد بن باديس كان قبل كل شيء من رجال العلم الأفاضل في الجزائر ، وقد قضى شطراً كبيراً من حياته ينشر العلم العربي والإسلامي أي الثقافة العربية الإسلامية في الجزائر بعد أن كادت فرنسا تقضي على هذه الثقافة وتقضي على اللغة العربية وتقضي على القرآن الكريم في الجزائر .

لقد كان الاستعمار الفرنسي في الجزائر استعماراً استيطانياً ، وثقافياً ، ومسيحياً ، وعنصرياً ، ولغوياً . وقد عمل طيلة قرن وثلاث على محاولة محو اللغة العربية ، وثقافتها ، ومحو الإسلام أو كتابه القرآن الكريم في الجزائر

(يونيو - حزيران) . . وذلك لسببين :

● الأول : بمناسبة ختم تفسير القرآن الكريم .

● والثاني : بسبب أن فرنسا التي أعلن وزير داخليتها «شوطان» في مارس (آذار) سنة ١٩٣٨ م ، بأن اللغة العربية تعتبر لغة أجنبية في الجزائر ، لا يجوز تعلمها وتعليمها إلا على هذا الأساس ، وذلك لكي يظهر الشعب الجزائري لفرنسا مدى تعلقه بالعربية ، وكتابها الأكبر «القرآن الكريم» ولذلك كانت الاحتفالات المذكورة مظهراً إسلامية ذات دلالات دينية ، وسياسية^(٣) ، ووطنية ، فهمتها فرنسا فهماً جيداً في ذلك الوقت .

٣ - وهو مصلح ديني واجتماعي مجدد كان أول من دعا إلى الإصلاح الديني والاجتماعي على الطريقة السلفية في المغرب الإسلامي (الجزائر - تونس - مراكش) وكان يلتقي مع المدرسة الوهابية في نجد ، ومدرسة محمد عبده في مصر في دعوته الإصلاحية السلفية ، وضرورة محاربة البدع ، والخرافات والعودة بالإسلام إلى منابعه الأولى في الكتاب والسنة .

وقد قاوم البدع ، والخرافات ، والتقاليد الفاسدة ، وحارب رجال الطرق الصوفية (المرابطين) الذين أكثروا من البدع التي شوّهت وجه الدين الإسلامي النقي ، وصرفت المسلمين عن العمل الجاد لدينهم وديناهم ، إلى خدمة مشايخ الطرق الصوفية ، والتمسح بأعتابهم . هؤلاء المشايخ الذين انتهى بمعظمهم المطاف إلى التعاون مع الإدارة الاستعمارية ضد مصالح بلادهم العليا في الحرية والاستقلال ، وكان إلى جانب ذلك داعية حضارة ، وتقدم ، ورفق ، وخير ، ومحبة ، بين جميع أبناء البشر^(٤) .

٤ - وهو خطيب مصقع يتمتع بموهبة خطابية فذة ، وله قدرة كبيرة على التأثير في مستمعيه وإقناعهم بسلامة الفكرة التي يدعو إليها ، ويعمل من أجلها ، أو في المشاريع التي يريد القيام بها ، ويحتاج من الشعب المساندة والتأييد .

وقد كان يعتمد كثيراً على هذه الموهبة «الخطابية» في نشر دعوته الإصلاحية في مختلف الأوساط الجزائرية ، وإقناعهم بوجاهتها ، كما كانت سلاحه في إفحام خصومه من دعاة الفرنسة والاندماج في فرنسا ، والتجنس بجنسيتها ، والقضاء النهائي في الأخير على انحرفاتهم الخطيرة ضد الشخصية الجزائرية .

والواقع أن موهبة الشيخ ابن باديس^(٥) الخطابية ، كانت إحدى عوامل نجاحه في جمع كلمة الشعب الجزائري حول المبادئ التي كان ينادي بها ، ويعمل من أجلها ، والتي نتلخص في الشعار المعروف في الجزائر فيما بين الحريين العالميتين وهو «الإسلام ديننا - والعربية لغتنا - والجزائر وطننا» .

٥ - وهو صحافي قدير كان من بناة الصحافة العربية الحديثة في الجزائر ، وقد أسس مجموعة من الجرائد منها جريدة «المنتقد» التي صدرت في ٥ أغسطس (آب) سنة ١٩٢٥ م ، والتي أغلقها فرنسا بعد صدور ١٨ عدداً فقط منها وكانت أسبوعية . وجريدة «الشهاب» التي أصدرها في عام ١٩٢٥ م ، كجريدة أسبوعية ثم تحولت

إلى مجلة شهرية في عام ١٩٢٩ م ، وتوقفت عن الصدور في بداية الحرب العالمية الثانية ، وتعتبر مرجعاً هاماً للحركة الوطنية ، والإصلاحية ، والعربية ، لا يستغني عنها باحث في تاريخ الجزائر الحديث ، أو في تاريخ الحركة الإصلاحية في الجزائر وبقية أقطار المغرب العربي ، كما تولى رئاسة تحرير جرائد جمعية العلماء التي أسسها مع مجموعة من العلماء المصلحين في عام ١٩٣١ م ، بعد أن بلغ عمر الاحتلال الفرنسي للجزائر قرناً كاملاً . وهي جرائد : السنة ، والشريعة ، والصراف ، والبصائر .

وقد لعبت الجرائد المذكورة^(٦) دوراً بارزاً في النهضة العربية الحديثة في الجزائر حيث نشرت الوعي السياسي ، والتربية الوطنية ، وروح الثورة ضد الاحتلال في نفوس الجزائريين ، كما حملت لواء الدفاع عن حقوق الشعب الجزائري السياسية ، ومقومات شخصيته الوطنية .

خصائص عصر ابن باديس

ولا يمكننا فهم وتقدير الدور الذي لعبه الشيخ عبد الحميد بن باديس في تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية فيما بين الحريين العالميتين إلا إذا فهمنا أولاً خصائص العصر الذي عاش فيه ، وناضل خلاله من أجل مقومات الشخصية الجزائرية التي كان ابن باديس يلخصها في ثلاثة مقومات رئيسية هي : الإسلام^(٧) - العروبة - الجزائر - فما هي تلك الخصائص ؟

الواقع أن العصر الذي عاش فيه ابن باديس (١٨٨٩ - ١٩٤٠ م) كان عصر بداية اليقظة الوطنية العامة في الجزائر ، وكانت البلاد تبهت عن طريقة ناجعة تخرجها من ظلام الاحتلال الذي أطبق عليها بكل قواه ، وسلبها جميع الحقوق الأساسية للإنسان في القرن العشرين . وقد كانت الآراء والاتجاهات السياسية التي سادت في الجزائر فيما بين الحريين العالميتين تشبه في كثرتها وتقلباتها أمواج البحر العاصف المتلاطم في كثرتها وتقلباتها .

فالبعض من الساسة الجزائريين رأى السلامة في طلب مساواة الجزائريين بالفرنسيين المحتلين في الحقوق والواجبات مع المحافظة على قانون الأحوال الشخصية الإسلامي . وهذا منتهى ما كان بسأمل في الحصول عليه من الإدارة الاستعمارية في الجزائر .

والبعض الآخر من هؤلاء الساسة من تطرف فسادى بتطبيق سياسة الاندماج الكامل في فرنسا على الجزائريين ، حتى يحصلوا على حقوق المواطنة الفرنسية مع التنازل الكامل عن قانون الأحوال الشخصية الإسلامي ، وهم المعروفون في تاريخ الجزائر الحديث بدعاة الاندماج في فرنسا والتجنس بجنسيتها .

والبعض الثالث من هؤلاء الساسة اتفقوا في أحضان الاستعمار وباعوا أنفسهم ووطنهم للشيطان حيث أصبحوا عملاء للاستعمار الفرنسي ضد مصالح بلادهم العليا في الحرية ، والكرامة ، والاستقلال ، وهم المعروفون في تاريخ الجزائر الحديث بجماعة بني (وي وي) أي

(موافق ، موافق) لكل ما يقوله المستعمر ، وما يقرر عمله في الجزائر .

وفي مقابل تلك الانجذابات الثلاثة كانت هناك طليعة ثورية جزائرية نادت بالاستقلال التام للجزائر منذ عام ١٩٢٧ م ، وتكوين جمهورية جزائرية حرة وذات سيادة ، وأن تحرير الجزائر يجب أن يتم في نطاق حضارتها الإسلامية العربية ، وليس في نطاق الاندماج ، أو التجنيس ، أو الفرنسية .

حالة الشعب الجزائري في الفترة (١٩٠٠ - ١٩٤٥ م)

ومن المعروف أن سوء أحوال الشعب الجزائري قد بلغت حداً لا بطاق ، من فقر مدقع ، وبؤس شامل ، وجهل دامس ، وذلل ومهانة ، وسيطرة واستعباد فيما بين الحريين العالميتين على الخصوص ، حيث تمكنت فرنسا من إخضاع كافة الثورات الشعبية التي قامت في وجه احتلالها منذ ثورة الأمير عبد القادر في بداية الاحتلال (١٨٣٠ - ١٩٤٧ م) ثورة بعد ثورة حتى الثورات التي قامت في وجهها قبل الحرب العالمية الأولى . وبالتالي فرضت على الشعب الجزائري حكماً رهيباً تحت ظل ما كان يعرف «بقوانين الأنديمينا»^(٨) أو قوانين الأهالي ، وهي قوانين استثنائية رهبة كانت تحمي على الجزائريين جميع حركاتهم ومكائدهم ، وأنفاسهم .

إن فرنسا كما قال مؤرخ معاصر «لم تكتف بتجريد الإنسان الجزائري من أرضه ، ومسح شخصيته فقط ، ولكنها عملت كذلك على إفساد الأفئدة والعقول لدى البعض من الجزائريين» ، وقد تجل عملها التخريبي في إغلاق المساجد والمدارس ، التي كانت تعلم العربية ، وفي هدم الزوايا ، لأنها كانت مراكز لتثقيف الشباب ، وغرس روح المقاومة في نفوسهم ، كما أنها حولت الزوايا التي سلمت من التخريب إلى أوكار تدين لها بالولاء ، مع الانحياز فيها على حفظ القرآن الكريم فقط ، وهو ما اعترف به أحد المستشرقين الفرنسيين في عام ١٩٠٨ م ، حيث قال : «إن المساجد والزوايا مقتصرة على تعليم القرآن الكريم الذي يحفظه التلميذ عن ظهر قلب» .

«أما المدارس التي يستطيع التلميذ أن يتعلم فيها مواداً أخرى فعددها محصور جداً ويبدو أن هذا العدد يتناقص باستمرار»^(٩) .

وإن جانب القضاء على مراكز الدين والتربية والثقافة الوطنية لعبت المدرسة الفرنسية دورها كما هو مرسوم لها من طرف الاستعمار الفرنسي في محاربة الشخصية العربية الإسلامية للجزائر ، والقيم الوطنية الجزائرية . كتب أحد رجال الاستعمار كلمة صريحة حول دور المدرسة الفرنسية في إفساد القيم الأساسية للشعب الجزائري فقال : «إن أحسن وسيلة لتغيير الشعوب البدائية في مستعمراتنا ، وجعلها أكثر ولاءً ، وأخلص في خدمتهم لمشاريعنا هو أن نقوم بتنشئة أبناء الأهالي (أي سكان المستعمرات) منذ الطفولة ، وأن نتيح لهم الفرصة لمعاشرتنا باستمرار ،

وبذلك يتأثرون بعادتنا الفكرية ، وتقاليدنا ، فالقصد إذن أن نفتح لهم بعض المدارس لكي تتكيف فيها عقولهم»^(١٠) حسباً نريد .

هذه باختصار وتركيز هي خصائص العصر الذي عاش فيه الشيخ عبد الحميد بن باديس وناضل وسط تياراته وأمواجه المتلاطمة على الشخصية الجزائرية ، وحق الشعب الجزائري في الحياة الحرة الكريمة : سيطرة استعمارية خانقة على الشعب الجزائري ، وحرمان كامل من كافة حقوق الإنسان الأساسية ، واستبداد طاع ، وتحكم مطلق ، في كل مقدرات الشعب الجزائري السياسية ، والاقتصادية ، والثقافية ، والدينية ، والفكرية .

لما الطريق الذي اختاره ابن باديس للعمل من أجل تحرير الجزائر ثقافياً ، وفكرياً ، ودينياً ، ثم بعد ذلك سياسياً على المدى البعيد ؟ وما مدى مساهمته في بعث مقومات الشخصية الجزائرية التي كاد الاستعمار الفرنسي أن يقضي عليها قضاءً مبرماً عندما بلغ عمره في الجزائر قرناً كاملاً في عام (١٨٣٠ - ١٩٣٠ م) .

دعائم نهضة كل شعب

لقد كانت الطريق التي اختارها الشيخ عبد الحميد بن باديس لتحرير الجزائر من الاستعمار الفرنسي على المدى البعيد وإحداث النهضة الحقيقية في الجزائر ، تقوم على أساس مجموعة من الدعائم ، هي في الحقيقة والواقع دعائم كل نهضة اجتماعية ، وسياسية ، وثقافية ، واقتصادية ، لكل شعب ينشد التقدم ، والتطور ، والرفق ، ويطمح إلى الحرية والاستقلال . هذه الدعائم يمكن تلخيصها في إيجاز وتركيز في الأمور التالية :

- ١ - تأسيس المدارس والمعاهد العلمية لتربية الأجيال الصاعدة ، وإعداد القادة القادرين للأمة في شتى مجالات الحياة الحيوية .
- ٢ - تكوين المطابع لإحياء الثقافة العربية ، والإسلامية ، والوطنية ، ونشرها بين الناس .
- ٣ - تأسيس الجرائد والمجلات لتكوين السكينة السياسية ، والأيدولوجية للمواطنين الجزائريين .
- ٤ - تأسيس المساجد والنوادي للتربية الدينية ، والسياسية ، والوطنية للشباب والرجال والنساء ، استعداد لخوض معركة الحرية والاستقلال ضد الاستعمار الفرنسي .

مجالات الإصلاح الإسلامي

ولا يتسع المجال هنا للحديث عن جهود ابن باديس في مجال التربية والتعليم ، وقد تناولنا ذلك بالتفصيل في كتابنا عنه ، وكذلك عن نشاطه الصحافي ، ونشاطه ، في تكوين المساجد والنوادي . لذلك ننقل إلى الحديث عن مجالات الإصلاح التي عمل فيها ابن باديس للمجتمع الجزائري .



★ الأمير عبد القادر الجزائري ★

الإسلامي الصحيح ، لأنه قضى على معظم معاهد العلم الإسلامية التي كانت قائمة في الجزائر قبل دخول الاستعمار الفرنسي إلى البلاد ، في عام (١٨٣٠ م) . ولذلك لم يجد أبناء وبنات الجزائر معاهد إسلامية مثل «الأزهر» في القاهرة أو «الزيتونة» في تونس ، أو «القرويين» في المغرب الأقصى ، يدرسون فيها أصول الدين الإسلامي الصحيح ، وعلوم الشريعة في مصادرها الأساسية لكي تصبح عقيدتهم الدينية قسافة على أسس علمية إسلامية كما هي مشروحة ومفصلة في مصادر الإسلام الأساسية التي هي الكتاب ، والسنة ، وعمل السلف الصالح .

أما الطريقة (رجال الصوفية المخرفون)^(١١) فقد أفسدت عقيدة الجزائريين عن طريق البدع ، والخرافات ، والشعوذة ، التي نشرها رجالها بين عامة الشعب الجزائري على أنها من الدين ، والحال أن الدين منها بريء براءة الذئب من دم ابن يعقوب .

ومن هنا أعلن الشيخ عبد الحميد بن باديس في مجلة «الشهاب» التي كان يحررها من عام ١٩٢٥ م ، حتى بداية الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ م : «بأن الأوضاع الطريقة بدعة لم يعرفها السلف ، ومبناها كلها على الغلو في الشيخ ، والتحيز لاتباع الشيخ ، وخدمة دار الشيخ ، وأولاد الشيخ ، إلى ما هنالك من استغلال وإذلال ، وإعانة لأهل الإذلال والاستغلال ، ومن تجميد للعقول ، وإماتة للهمم ، وغير ذلك^(١٢) من تلك الشرور» ولذلك شن حرباً شعواء على الطريقة ، والمرابطين ، لكي يخلص جماهير الشعب من خرافاتهم ، وتدجيلهم ، واستغلالهم ، حتى تصبح عقيدة الجزائريين الإسلامية طاهرة من كل البدع ، والضلالات ،

والخرافات ، والشعوذات ، وقائمة على أساس ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم فقط .

وقد كانت حربه ضد الطريقة قوية^(١٣) وعنفية مثل حربه ضد الاستعمار الذي حال بين الجزائريين ، وسين دراسة أصول دينهم ،

وباختصار فقد عمل الشيخ عبد الحميد بن باديس بصفة أساسية على إصلاح ثلاثة أمور جوهرية لنهضة الشعب الجزائري العربية الإسلامية هي كما يلي :

- ١ - إصلاح عقلية الجزائريين .
- ٢ - إصلاح عقيدة الجزائريين .
- ٣ - إصلاح أخلاق الجزائريين .

أولاً : إصلاح عقلية الجزائريين

لقد أخذت قضية إصلاح عقلية الجزائريين حيزاً كبيراً من وقت وجهد الشيخ عبد الحميد بن باديس ، ومن أجلها أنشأ المدارس والمعاهد ، ومن أجلها كوّن الصحافة الوطنية ، لأنه كان يرى أن الشعب الجاهل لا يستطيع أن يفرض وجوده على الناس في الحياة ، ولا يستطيع أن ينال حريته من أعدائه ، وفي حالة ما إذا تحصل عليها فإنه لا يعرف كيف يحافظ عليها ، وأن الاستعمار لم يستطع أن يفرض سيطرته على الجزائر إلا لكون الشعب الجزائري في أغليته الساحقة شعباً أمياً «يعيش في غياهب الجهل والغفلة» .

ولذلك يجب إصلاح عقلية عن طريق نشر العلم والمعرفة بين أبنائه ، حتى يدركوا حقوقهم ، ومن ثم ينهضون للمطالبة بها ، والنضال من أجل الحصول عليها . ذلك أن الشعب المتعلم لا يمكن استعباده أبداً من طرف أية أمة ، مهما كانت قوتها .

ولذلك عمل ابن باديس في ميدان التربية والتعليم حوالي ثلاثين سنة عملاً متواصلاً من أجل تربية الجيل الصاعد تربية علمية ، ووطنية ، وإسلامية ، حتى يمكنه عن طريق سلاح العلم والمعرفة ، أن يعمل على تحرير الجزائر من العبودية والاستعمار الأجنبي الغاصب . وهذا ما حصل بالفعل في ثورة الفاتح من نوفمبر (تشرين الثاني) (١٩٥٤ - ١٩٦٨ م) .

وقد نجح ابن باديس في هذا الميدان نجاحاً كبيراً حيث كوّن للجزائر جيلين كاملين من الرجال والنساء الصناديد الذين ساهموا مساهمة كبيرة في بعث النهضة العربية الإسلامية في الجزائر ، ومحاربة سياسة الفرنسة ، والاندماج ، والتجنيس ، حتى قضى عليها قضاء مبرماً عقب نهاية الحرب العالمية الثانية ، وعندما شنت ثورة الجزائر الكبرى في فاتح نوفمبر (تشرين الثاني) عام ١٩٥٤ م ، وهي الثورة المشهورة في العالم بأنها «ثورة المليون شهيد» كانوا من جنودها الصناديد .

ثانياً : إصلاح عقيدة الجزائريين

وإصلاح عقيدة الجزائريين هي الأخرى أخذت حيزاً هاماً في نشاط الشيخ عبد الحميد بن باديس التربوي والاجتماعي ، ذلك أن الاستعمار والطريقة المحلية قد أفسدا تلك العقيدة إفساداً كبيراً .

فالاستعمار أفسد عقيدة الجزائريين عن طريق الجهل الذي نشره عامداً متعمداً بين صفوف الشعب الجزائري ، حيث حرّمه من التعليم

وتاريخهم الوطني ، والعربي والإسلامي ، ولغتهم العربية .

ثالثاً : إصلاح أخلاق الجزائريين^(١٤)

والميدان الثالث الذي حاول ابن باديس إصلاحه في المجتمع الجزائري هو إصلاح أخلاق الجزائريين التي تدهورت تدهوراً خطيراً نظراً للجهل والفقر ، ومختلف الأمراض الاجتماعية التي نشرها الاستعمار الفرنسي في الجزائر طيلة قرن كامل بقصد زرع الانحلال الخلقي والديني ، وإشاعة الفساد بين شباب وشابات الجزائر ، ورجاها ، حتى ينصرف الجميع إلى الخمر ، والفسق ، والقباح ، وغيرها من الأمراض الاجتماعية ، ويتركوا الاستعمار الفرنسي ببسط نفوذه وسيطرته الحديدية على البلاد ، واستغلال ثرواتها وخيراتهما كما يشاء ويريد .

ومن هنا عمل ابن باديس على إصلاح أخلاق الجزائريين عن طريق تربية الناشئة الجزائرية في الأسرة والمدرسة ، والمجتمع ، تربية إسلامية متينة حتى تتكون أجيال صالحة في أخلاقهم وسلوكهم العام تكون عمدة تحرير البلاد من الاحتلال الفرنسي ، وإعادة السيادة ، والكرامة للوطن .

ولا يخفى أن الأخلاق الصالحة هي أساس النهضة الصالحة ، وعمدة العمل الوطني الصالح . يقول الشيخ عبد الحميد بن باديس مبيناً طريقته في تكوين الرجال الصالحين : «فإننا نربي - والحمد لله -

★ عبد الحميد بن باديس ★

تلامذتنا على القرآن الكريم ، ونوجه نفوسهم إلى القرآن الكريم ، من أول يوم ، وفي كل يوم ، وغايتنا التي ستتحقق هي أن يكون القرآن الكريم منهم رجالا كرجال سلفهم ، وعلى هؤلاء الرجال القرآنيين تعلق هذه الأمة آمالها ، وفي سبيل تكوينهم تلتقي جهودنا وجهودها»^(١٥) .

ابن باديس والشخصية الجزائرية

يعتبر الشيخ عبد الحميد بن باديس من أكبر قادة الجزائر المعاصرين دفاعاً عن مقومات الشخصية الجزائرية ، ومن أكبر الذين عملوا بدون كلل ولا ملل على إحياء اللغة العربية ، والثقافة العربية ، الإسلامية ، وتاريخ الجزائر العربي الإسلامي ، في تاريخ الجزائر المعاصر .

وهو يرى أن مقومات الشخصية الجزائرية تتمثل في ثلاثة مقومات أساسية هي : (الإسلام - العروبة - الجزائر) وهو يحلل عروبة الجزائر تحليلاً دقيقاً حيث يرى أن الشعب الجزائري العربي المسلم ، قد تكون من انصهار السكان الأصليين للجزائر وهم الأمازيغ (البربر) مع العرب الذين حملوا الإسلام واللغة العربية إلى الجزائر حيث أسلم الأمازيغ (البربر) وتعلموا اللغة العربية طائعين ، وبذلك امتزج الجنسنان عن طريق : المصاهرة ، والعشرة الطويلة . وهكذا فإن



مقومات الشخصية الجزائرية تنحصر في رأي ابن باديس في ثلاثة مقومات أساسية هي :

(١) الإسلام : كدين ، وحضارة ، وأخلاق ، وسلوك .

(٢) العروبة : كلغة ، وثقافة ، وتاريخ ، وانتماء .

(٣) الجزائر : كوطن عربي إسلامي . (هو جزء لا يتجزأ من الوطن العربي والإسلامي الأكبر) .

وقد عاش ابن باديس طوال حياته مناضلاً صلباً عن تلك المقومات في وجه كل من تسول له نفسه المساس بها ، سواء كان جزائرياً ، أو كان استعمارياً ، لا يخاف ولا يهادن أبداً .

وقد عاهد الله والوطن على أن يعيش للعروبة والإسلام ، وأن يموت من أجل العروبة والإسلام .

ففي عام ١٩٣٨ م ، ألقى الشيخ ابن باديس خطاباً جامعاً في جماهير المحفليين بمناسبة ختمه لتفسير القرآن الكريم في كلية الشعب بمدينة قسنطينة مسقط رأسه تحت عنوان «الإسلام دين الحياة ، والعلم ، والفن» ختمه بالعهد التالي :

«إنني أعاهدكم على أنني أقضي بياضي على العربية والإسلام - كما قضيت سوادي عليهما وإنما لواجبات ، وإنني سأقصر حياتي على الإسلام والقرآن الكريم ، ولغة الإسلام والقرآن الكريم ، هذا عهدي لكم ، وأطلب منكم شيئاً واحداً وهو أن تموتوا على الإسلام والقرآن الكريم ، ولغة الإسلام والقرآن»^(١٦) .

وانسجاماً وتمشياً مع هذا الاخلاص والغيرة على العروبة والإسلام ، ووفاء للخط العام الذي كرس له حياته وهو المحافظة على عروبة الجزائر ، وإسلامها ، ووطنها الجزائر ، كان يتصدى لكل منحرف عن الخط الوطني والقرمي للشعب الجزائري . كتب في عام ١٩٣٥ م ، مقالاً تاريخياً تحت عنوان «كلمة صريحة» رد فيها على بعض الجزائريين الذين كانوا ينكرون الشخصية الجزائرية ، وينادون باندماج الجزائر التام في فرنسا . قال ابن باديس : «قال البعض من النواب المحليين ، ومن الأعيان ، ومن كبار المتوظفين بهذه البلاد ، إن الأمة الجزائرية مجمعة على اعتبار نفسها أمة فرنسية بحتة لا وطن لها إلا الوطن الفرنسي ، ولا غاية لها إلا الاندماج الفعلي التام في فرنسا ، ولا أمل في تحقيق هذه الرغبة ، إلا بأن تمد فرنسا يدها بكل سرعة . فتلغني جميع ما يحول دون تحقيق هذا الاندماج التام» ، بل لقد قال أحد النواب النابيين ، إنه فتش عن القومية الجزائرية ، في بطون التاريخ فلم يجد لها من أثر ، وفتش عنها في الحالة الحاضرة فلم يعثر لها على خبر ، وأخيراً أشرقت عليه أنوار التجلي فإذا به يصيح : فرنسا هي أنا !!! .

وقد رد عليهم الشيخ ابن باديس في مجلته «شهاب» ردأ قوياً ومفجماً فقال : «لا يا سادة ... إننا نحن فتشنا في صحف التاريخ ، وفتشنا في الحالة الحاضرة ، فوجدنا الأمة الجزائرية المسلمة متكونة وموجودة ، كما تكونت ووجدت كل أمم الدنيا . وهذه الأمة تاريخها الحافل ، بمجلائل

الأعمال ، ولها وحدتها الدينية أو اللغوية ، ولها ثقافتها الخاصة ، وعوايدها وأخلاقها ، بما فيها من حسن وقبح ، شأن كل أمة في الدنيا ... ثم إن هذه الأمة الجزائرية الإسلامية ليست هي فرنسا ، ولا يمكن أن تكون فرنسا ، ولا تريد أن تصبح فرنسا ، ولا تستطيع أن تصبح فرنسا ولو أرادت ، بل هي أمة بعيدة عن فرنسا ، كل البعد في لغتها ، وفي أخلاقها ، وفي عنصرها ، وفي دينها . لا تريد أن تندمج ، ولها وطن محدود معين ، هو الوطن الجزائري ، بمحدوده الحالية المعروفة ، والذي يشرف عليه الوالي العام المعين من قبل الدولة الفرنسية»^(١٧) .

وكما حارب المنكرين للشخصية الجزائرية حارب كذلك دعاة الاندماج والتجنيس وقد أصدر فتوى بتكفير المتجنسين بالجنسية الفرنسية ونشرها في جريدة البصائر^(١٨) «لسان حال جمعية العلماء» التي كان يتولى رئاستها ، وكان يقول إن من يتزوج امرأة أوروبية قد أدخل الاستعمار إلى بيته وأصدر فتوى ضد الزواج^(١٩) بالفرنسيات ، محافظة على كيان الأسرة الجزائرية والشخصية الجزائرية ، والنشر الجزائري من الفرنسية ، والكفر ، والزيف ، والإلحاد ، والميوعة

وطنية الشيخ عبد الحميد بن باديس

والى جانب نضاله المستميت في سبيل المحافظة على مقومات الشخصية الجزائرية فقد كان الشيخ ابن باديس وطنياً من الطراز العالي ، يحب الجزائر والعرب ، يغار عليهما ، ويضحي من أجل سعادتهما وعزتهما وكرامتهما ، بكل غال ونفيس ، وكتابات عن العرب ، والمسلمين ، وجزائر تفيض بالحب ، والغيرة ، والإخلاص ، والخواطف الجياشة .

في عام ١٩٣٦ م ، ألقى الشيخ عبد الحميد بن باديس محاضرة في أعضاء جمعية «التربية والتعلم» التي كان يتولى رئاستها في مدينة قسنطينة تحت عنوان «لن أعيش ؟» وأجاب عن سؤاله قائلاً : «أعيش للإسلام والجزائر» . . . وبعد أن شرح مطولاً لماذا يعيش للإسلام ؟ . قال : «أما الجزائر فهي وطني الخاص الذي تربطني بأهله روابط من الماضي والحاضر والمستقبل بوجه خاص ، وتفرض علي تلك الروابط لأجله - كجزء منه - فروضاً خاصة ، وأنا أشعر بأن كل مقوماتي الشخصية مستمدة منه مباشرة ، فأرى من الواجب أن تكون خدماتي أول ما تتصل بشيء تتصل^(٢٠) به مباشرة» .

وكتب في «الشهاب» تحت عنوان «كلمات حكيمة» يحدد حقوق الوطن على المواطنين فقال : «إنما ينسب إلى الوطن أفراد الذين ربطتهم ذكريات الماضي ، ومصالح الحاضر ، وآمال المستقبل ، والنسبة للوطن توجب علم تاريخه ، والقيام بواجباته . من نهضة علمية ، واقتصادية ، وعمرانية ، والمحافظة على شرف اسمه وسمعته - فلا شرف لمن لا يحافظ على شرف وطنه ، ولا سمعة لمن لا سمعة لقومه»^(٢١) .

وقد كان يهتم كل فرصة ممكنة لحث الشباب المثقف على خدمة وطنه والمساهمة في النهوض بشعبه ، من ذلك على سبيل المثال . أن جمعية التربية والتعليم بقسنطينة التي كان يتولى رئاستها أقامت في أواخر

أغسطس (آب) ١٩٣٩ م، حفلة تكريم لمجموعة من الطلبة الجزائريين الذين تخرجوا من جامع الزيتونة في تونس. وقد ألقى الشيخ خطاباً في الاحتفال المذكور جاء فيه: «إنكم رجعتُم إلى وطنكم تحملون شهادات علمية، ومن أجل ذلك كنتم جديرين بهذا التكريم، ولكن لا تظنوا أنكم ستجدون مصاعب الحياة قد أزيلت من طريقكم يجب أن تعلموا — يا أبنائي — أنكم مقبلون على خوض معركة شديدة من أجل خدمة أمّنتكم ووطنكم بما أحرزتم عليه من علم... ثم قال لهم: «ينبغي أن تكونوا عند حسن ظن أمّنتكم بكم، وكونوا على استعداد لأداء^(٢٢) واجبتكم نحو وطنكم».

وفاة ابن باديس

وفي يوم ١٦ إبريل (نيسان) ١٩٤٠ م، توفي الشيخ عبد الحميد بن باديس وكان ممنوعاً من الخروج من مدينة قسنطينة بأمر من سلطات الاستعمار الفرنسي.

وقد شيعت جنازته في اليوم التالي في وسط جموع غفيرة من الجزائريين، وكان المشيعون خمسين ألفاً أو يزيدون^(٢٣)، جاءوا من كافة أنحاء القطر الجزائري لتوديعه الوداع الأخير.

وقد تركت وفاة الشيخ عبد الحميد بن باديس فراغاً كبيراً في صفوف الحركة الوطنية، وفي صفوف رجال الإصلاح، وبين جماهير الشعب التي كانت تعتبره الزعيم المخلص، والوطني الغيور على دينه وشعبه ووطنه، وعلى الإسلام، والعروبة.

وقد صرح أحمد مصالي الحاج زعيم حزب الشعب الجزائري في ذلك الوقت «بأن وفاة هذا الزعيم الروحي تعتبر أكبر كارثة لا على الإسلام وحده، بل على الحركة الوطنية أيضاً».

وقد قاد الشيخ العربي القيسي في رثائه للشيخ عبد الحميد بن باديس في المقبرة ما معناه «لقد كان عبد الحميد بن باديس في جهاده، وأعماله هو الجزائر كلها — فلتجتهد الجزائر بعد وفاته أن تكون هي الشيخ عبد الحميد بن باديس».

هذا هو ابن باديس الذي تحفل الجزائر منذ ٤١ عاماً بيوم وفاته وتلك بعض خصاله وأعماله، وقد ترك من ورائه تراثاً ضخماً في العلم، والأدب، والتاريخ، والصحافة، والتفسير، والحديث، والسياسة، والرجال الأوفياء. صار اليوم بعد الاستقلال مرجعاً خصباً للدراسات الجامعية الرصينة داخل الجزائر وفي المشرق العربي، وفرنسا، وجامعات عديدة في أوروبا، وأمريكا.

رحم الله ابن باديس وكل علماء العرب والمسلمين العاملين لخدمة الإسلام والعروبة والوطن. ووفق أجيال العرب والمسلمين على السير على منوالهم.

الهوامش

(١) مجلة «جمع اللغة العربية» بالقاهرة عدد ٢١/١٩٦٤ م، ص ١٤٣.

وانظر كذلك كتابنا «الشيخ عبد الحميد بن باديس فلسفته وجهوده في التربية والتعليم» ط ٢، أهداف التربية عند ابن باديس من ص ٣٩٠ إلى ٣٠٢/الجزائر، ١٩٧٦ م.

(٢) انظر عبد الحميد بن باديس «محاسن التذكير من كلام الحكم الخبير» أو «تفسير القرآن» دار الكتاب الجزائري ط ٢ بدون تاريخ.

(٣) راجع كتابنا «التعليم القومي والشخصية الوطنية» — الجزائر ١٩٧٥ م، الباب الأول «سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر ومحاولة نحو الشخصية القومية للجزائريين» من ص ٦١ إلى ص ١٢١.

(٤) انظر ابن باديس في محاضرة «لمن أعيش؟» مجلة الشهاب/ج ١٠ م ١٢/يناير (كانون الثاني) ١٩٣٧ م، من ص ٤٢٤ إلى ص ٤٢٨، الجزائر.

(٥) لا يتسع المجال لضرب أمثلة على موهبته الخطابية هنا في هذه الدراسة القصيرة.

(٦) انظر الدكتور محمد ناصر «الصحف العربية في الجزائر» من عام ١٨٠٧ م، إلى عام ١٩٣٩ م/الجزائر ١٩٨٠ م، صفحات: (٥٢ — ٥٨).

(٧) ابن باديس/مجلة الشهاب ج ١ م ١٤/مارس (آذار) ١٩٣٨ م، ص ١٣٠ — ١٥٠ — ١٨١.

(٨) انظر تفاصيل هذه القوانين الرهبة في كتاب «الجزائر» للأستاذ أحمد توفيق المدني/من ص ٣٠٤ إلى ص ٣١٤ ط ٢ دار المعارف بالقاهرة ١٩٦٣ م.

(٩) انظر الدكتور صلاح العقاد (الجزائر المعاصرة) معهد الدراسات العربية العالية/جامعة الدول العربية القاهرة ١٩٦٤ م، من ص ٢٠ إلى ص ٤٩.

(١٠) الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي (تخليص الثقافة الجزائرية من الشوائب الاستعمارية) مجلة الثقافة/عدد ٢٦ الجزائر — السنة الخامسة — أبريل — مايو (نيسان — أيار) ١٩٧٥ م، ص ٦.

(١١) أقصد الطريقة في الجزائر فقط ولا أعمم الحكم خارج الجزائر.

(١٢) مجلة «الشهاب» ج ٤ م ١٣/عدد جوان (يونيو) حزيران ١٩٣٧ م، ص ١٧٦ — ١٧٩.

(١٣) راجع كتابنا الشيخ عبد الحميد بن باديس فلسفته وجهوده في التربية والتعليم/مرجع سابق ص ٢١١ إلى ص ٢٣٨.

(١٤) ابن باديس «تفسير القرآن» مرجع سابق ٤٢٨ — ٤٢٩.

(١٥) مجلة «الشهاب» ج ٤ م ١٤/عدد يونيو — يوليو (جوان — جويلية) ١٩٣٨ م، ص ٢١١.

(١٦) مجلة «الشهاب» ج ٧ م ١٥/عدد أغسطس (آب) ١٩٣٤ م، ص ٣٤٦ (يقضي بياضه على الإسلام = شبيه أما سواده فيعني بها سواد شعر خيته).

(١٧) ابن باديس «الشهاب» ج ٩ م ١٣/عدد نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٣٧ م، ص ٤٠٣ — ٤٥٤ الجزائر.

(١٨) البصائر عدد ٩٥/السنة الثالثة/١٤ يناير (كانون الثاني) ١٩٣٨ م، الجزائر.

(١٩) البصائر المرجع السابق.

(٢٠) مجلة «الشهاب» ج ١٠ م ١٢/عدد يناير (كانون الثاني) ١٩٣٧ م، ص ٤٢٤ — ٤٢٥ الجزائر.

(٢١) مجلة «الشهاب» ج ١ م ١٢/عدد أبريل (نيسان) ١٩٣٥ م، ص ١٥٥ الجزائر.

(٢٢) علي مرحوم «نحات من حياة الشيخ ابن باديس» مجلة «الأصالة» السنة الرابعة عدد ٢٤/مارس — أبريل (آذار — نيسان) ١٩٧٥ م، ص ١٠٦ الجزائر.

(٢٣) تقارير الشرطة الفرنسية/جريدة الوفاق باللغة الفرنسية/عدد ٣٤/السنة الثالثة — وهران ٩ مايو (أيار) ١٩٤٠ م، ص ١.

ابتها لآت في نيت شرب

شعر : علي عبد الفتاح عيسى

أني عطر في حنايا يشرب
وضياء .. قد كسا الأرض سنا
وابتهالات .. مشيت في فرحة
عطر الأفاق في أرض النبي
وسرى البشر به في الموكب
طائفات بالمقام الطيب

* * *

وانثنت مبهورة في لفة
جارت منا الحنايا تشكي
تحضن الكعبة والركن الأبي
لرحاب الله بعد المطلب

* * *

نحن عبادة جتناك .. وفي
نحن جتناك .. وفي أعماقنا
ضاعت الأشواق من آفاقنا
تجف زهر الحب في إيماننا
روحنا شوق لعذب المشرب
ذلة الروح .. وخوف المذنب
تأمت البمة في ثغر الصبي
نضب النبع .. ولما نشرب

* * *

كم قصور شدتها في خاطري
واق الصبح .. قاضحت في يدي
وأنا .. لم تزل تتف بي
بعض أشلاء هوى منسكب

* * *

فاسقنا يا رب .. حباً وهدي
وانشر الحب على أبيتنا
وأفض فوق أماني الرضا
وارو يا رب صدى إيماننا
وامسك الراحة في أعماقنا
وامنح الأمن لقلب المتعب
من يد القم ، ووجه السحب
إننا لم نرتو .. لم نطرب
بفيوض من رضاك الأعذب
تزهدي الروح بروض معشب

* * *

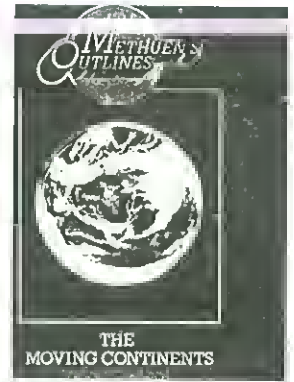


زحف القارات

يحكي هذا الكتاب قصة مولد وتطور نظرية زحف القارات . ويتميز الكتاب بأنه يروي حلقات مولد وتطور الفكرة بشكل قصة بوليسية علمية ، ويصف خطوة بخطوة الأدلة العلمية التي تثبت نظرية زحف القارات .

نشر هذا الكتاب لأول مرة في عام ١٩٧٢ م ، في نيويورك ، ثم في عام ١٩٧٤ م ، في لندن بواسطة دار نشر Methuen and Co. Ltd . ويقع الكتاب في (٦٤) صفحة تحتوي على مقدمة وستة فصول بالإضافة إلى فائقة بالمراجع ، وفهرس تحليلي في آخر الكتاب . كما يحتوي الكتاب على (٢٨) صورة ورسماً توضيحياً بالأسود والأبيض ، لكن بعض الصور غير واضحة ، كما أن لغة الكتاب تبدو صعبة أحياناً . وبالرغم من هذا فإن الكاتب قد نجح في إبراز أهم ملامح نظرية زحف القارات وتطورها من الناحية العلمية والقدرة على جذب اهتمام القارئ المتخصص من أول صفحة .

مراجعة علمية



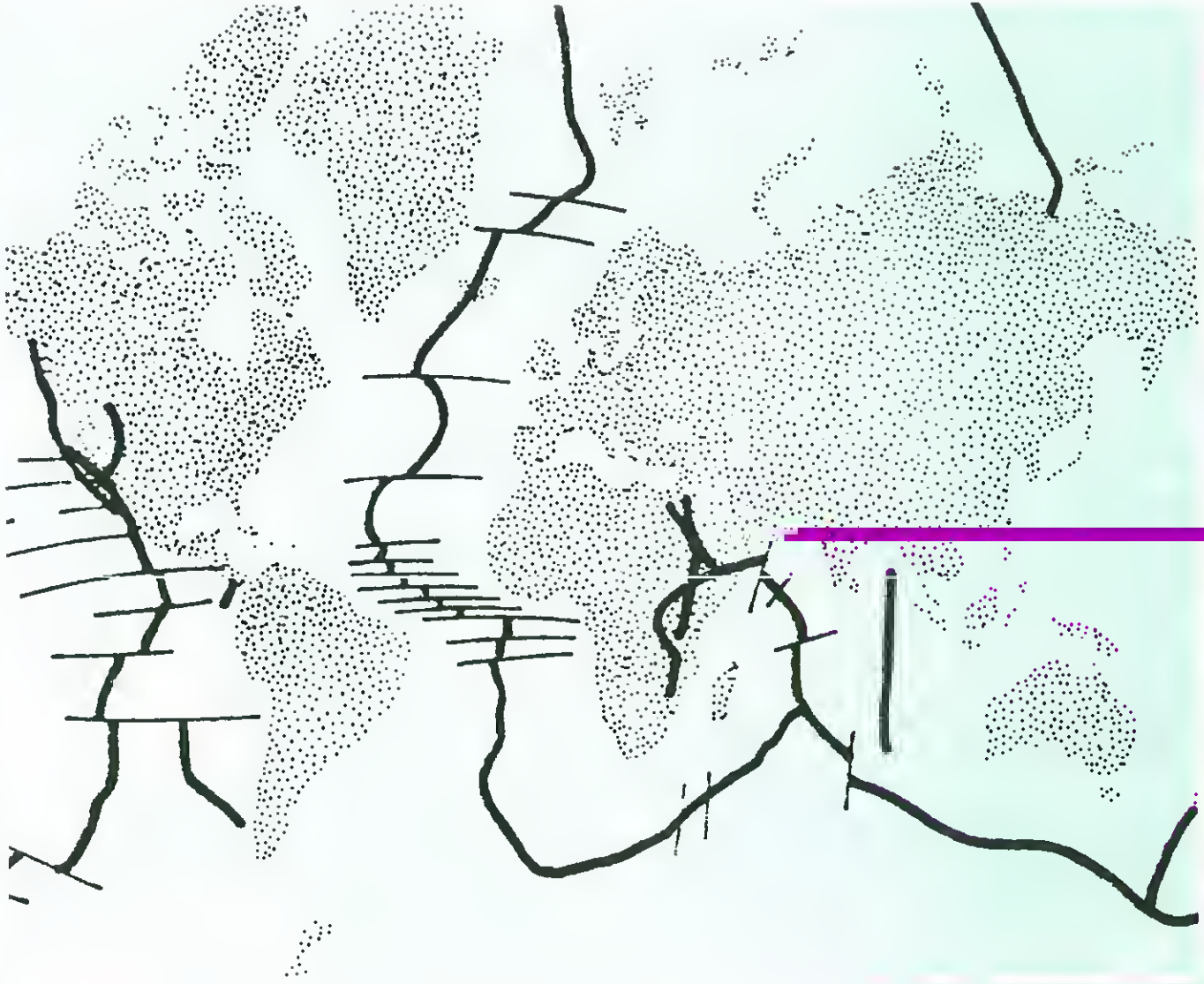
مراجعة علمية

تأليف :

فردريك جولدن

عرض وتقديم :

د. أحمد عبد القادر المهندس



★ نظام سلاسل الجبال والجود في العالم ★

عبر آلاف الكيلومترات في البحر من الهند أو إفريقيا، إلى قارة القطب الجنوبي. كما أن هذا الزاحف الصغير كان حيواناً يعيش في المحيط المالح. إذن ما التفسير لما حدث؟ كانت هناك إمكانية واحدة لوجود ذلك الحيوان في قارة القطب الجنوبي، وذلك أن قارة القطب الجنوبي نفسها قد تحركت، وخلال رحلة هذه القارة المتجولة فإنها ببساطة حملت جسم ذلك الزاحف القديم معها.

إن السطور التالية سوف تحكي بإيجاز ملامح من الفكرة القديمة الجديدة عن أرضنا المتغيرة التي برزت من خلال الاكتشافات الحديثة. وتتلخص هذه الفكرة في أن القارات في حالة نزوح وانتقال من مكان إلى آخر.

جاعة الموحدين

كان الجيولوجيون - في القرن السابع عشر الميلادي - يعتقدون بأن عمر

ججمة في قارة القطب الجنوبي

في أواخر عام ١٩٦٩ م، وخلال بعثة علمية إلى قارة القطب المتجمد الجنوبي قام فريق من العلماء الأمريكيين باكتشاف غاية في الأهمية. وجد هؤلاء العلماء ججمة متأخرة لزاحف متفرض منذ زمن بعيد وهو اللينيتروسورس *Lystrosaurus*، وهو نسيب قريب للسدينصورات. استطاع العلماء أن يدركوا أن ذلك الزاحف الصغير الشبيه بفرس النهر كان يسكن منذ زمن بعيد في المستنقعات الاستوائية بإفريقيا والهند. لكن كيف أتى هذا الحيوان الزاحف الذي يعيش عادة في الأماكن الحارة إلى هذه المنطقة الباردة المغطاة بالثلوج، والتي لا تبعد عن القطب الجنوبي إلا بحوالي (٦٥٠) كيلومتراً فقط. هل يحتمل أن يكون حيوان اللينيتروسورس سباحاً ماهراً في ذلك الزمن البعيد منذ حوالي ٢٠٠ مليون سنة تقريباً؟ ربما. لكن من غير المحتمل أن يكون لديه القدرة الكافية لكي يجدف

Edward Suess ، خريطة توضح كيف أن القارات الجنوبية يمكن أن تنمجم في قارة واحدة سماها «جوندوانا» نسبة إلى منطقة جوندوانا الغنية بالحفريات . وفي عام ١٩٠٨ م ، اقترح الجيولوجي الأمريكي تايلور F.B. Taylor بعض الملاحظات التي تؤيد زحف القارات . لكن نظرية زحف القارات لم تكسب أي احترام علمي إلا بعد ظهور ألفريد فيجنر Alfred Wegener عالم الإرساد الألماني ، الذي حاول أن يشرح فكرة زحف القارات بطريقة علمية جديدة . رفض فيجنر فكرة الكوارث التي يمكن أن تحرك القارات .

ألفريد فيجنر وزحف القارات

بعد أن أنهى فيجنر دراسته في علم الإرساد التحق بالمرصد الفضائي البروسي كمساعد فني . كان عمله الرئيسي هو دراسة طبقات الجو العليا بواسطة جهاز موجود في طائرات ورقية وبالبونات . وفي عام ١٩٠٦ م ، اشترك فيجنر مع البعثة الدانمركية لزيارة غطاء الثلج بجرينلاند . وعند عودته أصبح محاضراً في علم الإرساد بمعهد ماريبورج للفيزياء . بدأ اهتمام فيجنر بتحريك القارات بالصدفة عندما كان محاضراً لعلم الإرساد . كان فيجنر يعلم بالطبع عن تماثل أشكال سواحل قارتي إفريقيا وأمريكا الجنوبية ، لكنه تعلم أيضاً أنه يوجد كذلك بعض التشابه للعظام القديمة التي أحضرت من إفريقيا وأمريكا الشمالية . كما أنه اكتشف وجود بعض التشابه بين الحيوانات المنقرضة على القارات المختلفة ، كما أنه يوجد بعض التشابه بين الأنواع الحية من الحيوانات .

وقد وجد فيجنر أن نظرية قشرة الأرض المعروفة يمكن أن تقدم الحل لمشكلة وجود الحفريات المتشابهة في القارات . وتنص هذه النظرية على أن أي قطعة من الأرض تحاول الوصول إلى مستوى الطفو المطلوب في قاعدة الطفو . فمثلاً ترتفع سكتدينيافيا بمعدل يزيد عن متر واحد في القرن الواحد . وستظل ترتفع حتى يتم لها تحقيق مستوى الطفو . واقترح فيجنر بأن الحيوانات قد انتشرت وتوزعت في القارات المنفصلة . فمثلاً أمكن للقارات أن ترتفع وتنتشر على شكل «شلال» في تلك الفترة من الزمن حيث أن سطح «شلال» في القارات قريباً أو بعيداً من بعضها البعض مثل الطوف الضخم . أي أن القارات هي التي تحركت ، وليس الحيوانات . لكن فيجنر كان يعلم أن العلماء لن يصدقوا نظريته هذه ، لذلك فقد أمضى ساعات طويلة في البحث ، ودراسة الخرائط الجيولوجية . ولاحظ أنه إذا أمكن وصل قارة أمريكا الشمالية بقارة أوروبا فإن هناك بعض الجبال التي يمكن أن تكون حلقة أو سلسلة واحدة في هاتين القارتين ، فمثلاً جبال سيرا Sierras في جنوب بونيس أيرس بالأرجنتين يمكن أن تلنجم تماماً بجبال كيب Cape خلال المحيط الأطلسي في جنوب إفريقيا ، وكذلك الجبال الموجودة في شرق كندا ، بتلك الموجودة في اسكتلندا والنرويج . كما أن هذه الجبال لها نفس العمر الجيولوجي تقريباً . وعند ذلك أعلن فيجنر نظريته في محاضرة عامة ألقاها في عام ١٩١٢ م . وقد تمكن من توضيح آرائه عن زحف القارات في كتابه المشهور : «أصل القارات والمحيطات» .

كانت الفكرة الرئيسية في كتاب فيجنر هي أن القارات كانت جزءاً من قارة ضخمة واحدة تغطي ثلث الأرض . وقد سمي فيجنر هذه القارة

الأرض لا يمكن أن يزيد عن (٦٠٠٠) سنة فقط . لذلك فإن المظاهر الجيولوجية مثل القسم العالية ، أو الأحاديد العميقة ، قد وجدت منذ بدء الخليقة ، أو تكونت بعد ذلك بقليل . ذلك لأن الجيولوجيين لم يأخذوا في الاعتبار عمر الأرض الحقيقي . وفي عام ١٧٨٥ م ، شرح الجيولوجي هتون Hutton في سلسلة من المحاضرات أمام الجمعية الملكية بأدنبره ، (اسكتلندا) ملاحظاته عن المظاهر الجيولوجية المختلفة .

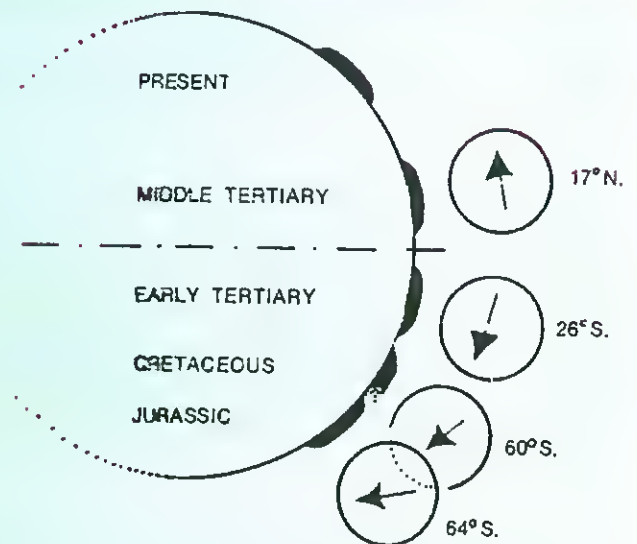
وقد عرف هتون من مشيه الطويل خلال المناطق المختلفة من إنجلترا واسكتلندا بأن كثيراً من الكوارث أحياناً تشبه المظاهر الجيولوجية المختلفة للأرض . أشار هتون أيضاً إلى أن الأرض تتشكل بخطوات أكثر بطاً مما تصور .

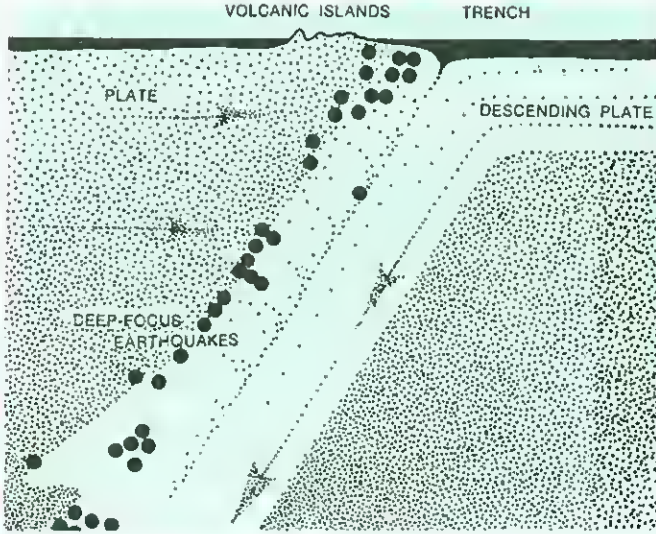
وفي الواقع فإن التغيرات التي تحدث على سطح الأرض بطيئة جداً ، لدرجة أنها لا يمكن أن تلاحظ في حياة شخص واحد أو أكثر . لكنها يمكن أن تلاحظ خلال فترة طويلة تقدر بالآلاف الأعوام . كما أن عوامل التغير لم تكن كوارث مفاجئة ، وإنما عمليات ثابتة وبطيئة ، مثل ضربات الأمواج ضد الشواطئ ، أو طرقات الأمطار والرياح ضد الصخور الصلدة ، وكذلك غسل العلمي والحطام المختلفة بالأنهار السريعة .

بعد وفاة هتون بخمس سنوات ، أي في عام ١٨٠٢ م ، نشر البروفيسور بلايفير J. Playfair كتابه المسمى «إيضاحات النظرية الهوتونية عن الأرض» ، الذي شرح فيه بوضوح نظريات صديقه هتون . وهكذا أصبحت نظريات وأفكار هتون تعرف بقاعدة الموحدين ، التي تقول بأن سطح الأرض يتغير بانتظام وليس بطريقة الكوارث ، وبأن الحاضر هو مفتاح الماضي ، وتعتبر قاعدة الموحدين هي البداية الحقيقية لعلم الأرض الحديث . لكن نظريات هتون الجديدة لم تستطع أن تشرح أو تفسر كثيراً من الألغاز الجيولوجية . فبينما نجد أن تأثير البحر والمطر والهواء يمكن أن تشكل بعض المظاهر الجيولوجية لسطح الأرض فإنها لا تستطيع أن تفسر عملية تشكيل القارات أو تحريك بعضها عن بعض .

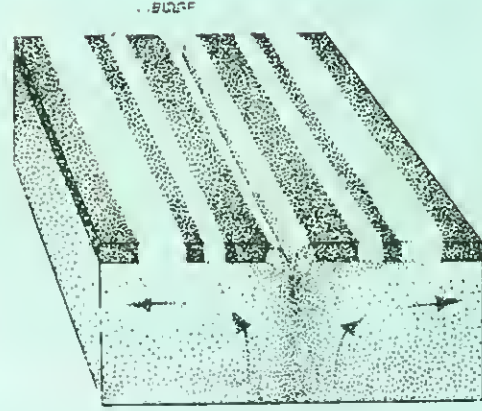
في عام ١٨٨٥ م ، نشر الجيولوجي الألماني «دور» سنويس

★ موضع الفتد في مختلف المصور الجيولوجية ★





★ عندما تصادم صفيحتان فإن تصادمهما ينعكس بواسطة الزلازل العميقة المركز التي تحدث مكان اصطدامها ★



★ صخور الالة (الصخور البركانية) المغنطة على جوانب حيد قاع البحر ★

المغناطيسية القديمة

ربما كان الصينيون هم أول من استخدم حجر المغناطيس . فعندما علّقوا هذا الحجر بواسطة حبل وجدوا أنه يؤثر دائماً إلى الشمال . وهكذا ولدت البوصلة المغناطيسية . وتأتي كلمة المغناطيس من اسم منطقة باليونان تسمى «ماغنيسيا» ، حيث يوجد بها كثير من أحجار المغناطيس .

وقد استخدم العلماء الذين يدرسون المغناطيسية القديمة قاعدة المغناطيسية ، أو الميل المغناطيسي لحجر المغناطيس كحفرة مغناطيسية . حيث إن هذه الأحجار الطبيعية عبارة عن مؤشرات ممتازة للحقل المغناطيسي الأرضي الذي يؤثر على هذه الأحجار في زمان ومكان تكوينها ، حيث إن حقل الأرض المغناطيسي يُسجل دائماً في ذرات الصخور عندما تبرد وتتصلب . وحتى إذا تحرك الصخر ، أو تغير الحقل المغناطيسي للأرض ، فإن الصخر سيظل يحتفظ بالخاصية المغناطيسية الأصلية التي اكتسبها . ولعل أفضل البصمات المغناطيسية هي تلك التي توجد في «اللافا» لأنها غنية بالحديد . وقد عرف العلماء هذه المغناطيسية منذ أكثر من قرن واحد من الزمان . وحيث إن هذه المغناطيسية ضعيفة جداً فلم يعرها العلماء كبير اهتمام حتى حدث التطور الحديث للأجهزة المغناطيسية ذات الحساسية المفرطة ، التي تسمى «العدادات المغناطيسية غير الموجهة» - Astatic Magnetometers ، والتي اخترعها العالم الفيزيائي البريطاني بلاكييت P. M. S. Blackett ، في العقد الخامس من هذا القرن الميلادي . وتستطيع هذه الأجهزة أن تكشف المجالات المغناطيسية الضعيفة جداً التي تصل أحياناً إلى مليون/ ١ من مغناطيسية الأرض .

وأتى أول اكتشاف للعلماء عندما كانوا يدرسون طبقات من الصخور في الريف الإنجليزي ، التي تكونت منذ حوالي ٢٠٠ مليون سنة مضت . وطبقاً لقياساتهم لهذه الصخور فإن الميل المغناطيسي المتوسط لإنجلترا في ذلك الوقت كان حوالي ٣٠° . أما الميل المغناطيسي المتوسط لإنجلترا في الوقت الحاضر فهو

بانجايا Pangaea ، من الكلمة الإغريقية التي تعني «الأرض الكلية» ، أما بقية الكرة الأرضية فقد كانت مغطاة بحيط ضخم سماه بنثالاسا Panthalassa أو «البحر الكوني» . وقبل ٢٠٠ مليون سنة تقريباً بدأت بعض العوامل الجيولوجية داخل الأرض في تفتيت بانجايا ، وبسطه بدأت أجزاؤها تنحرف في ذلك المحيط اللجي ، قارتا أميركا تنحرف إلى الغرب ، وآسيا إلى الشمال ، وأستراليا إلى الشرق ، وانتاركتيكا إلى الجنوب ، وبقيت قارتا أوروبا وإفريقيا في مكانها إلى حد ما . وقد أجابت نظرية فيجنر عن بعض الأسئلة المحيرة كما يلي :

س - لماذا تبدو القارات وكأن سواحلها يمكن أن تتلاءم أو تتناسب في أشكالها ؟

ج - لأنها كانت جزءاً من قارة ضخمة واحدة .

س - لماذا توجد النباتات والحيوانات ذات النوع الواحد متفرقة في أماكن مختلفة من القارات ؟

ج - لأنها تشتتت عندما زحفت القارات عن بعضها البعض .

س - لماذا نجد الأحافير التي توجد في المناطق الاستوائية في المناطق ذات المناخ البارد جداً ؟

ج - لأنها حملت بواسطة القارات عندما كانت هذه القارات تنحرف من نطاق مناخي إلى آخر . والمثل على هذا هو زحف قارة أميركا من جنوب خط الاستواء إلى شماله .

بالإضافة إلى هذا فقد أجابت النظرية عن عملية تكوّن سلاسل الجبال الضخمة مثل جبال الهملايا والأنديز والروكي . لكن القليل من العلماء آمنوا بهذه النظرية والكثير منهم وجدوا أنه من الصعب القبول بكل ما جاء فيها .

إلى ٢٦°. وأخيراً ، وفي أواسط العصر الثلاثي منذ حوالي ٢٥ مليون سنة فإن الميل المغناطيسي للهند قد أصبح ١٧° فقط إلى الشمال . وهذا يعني أن الهند كانت تقع جنوب خط الاستواء في الجزء الجنوبي من الكرة الأرضية ، ثم تحركت ببطء إلى موقعها الحالي .

اكتشاف قاع المحيط

في أواخر العقد الخامس من هذا القرن الميلادي ، بلغ علم المحيطات Oceanography قمته من حيث النشاط العلمي . وقد استطاعت السفن البحرية تحت رعاية البحرية الأمريكية أن تعبر البحار جيئة وذهاباً في محاولة مركزة ، ومكثفة ، لرسم قاع جميع بحار ومحيطات العالم .

وقد كان السبب في رسم قاع المحيطات هو الحاجة الماسة للحصول على خرائط دقيقة للأساطيل البحرية والغواصات الذرية ، التي كانت تنغوص في أعماق هذه المحيطات . وقد أثبتت هذه الخرائط الدقيقة بأن الجبال المغمورة في البحار والمحيطات ، والحيود البحرية تشكل سلسلة مستمرة تغطي أجزاء كبيرة من العالم ، والتي تدور حول الكرة الأرضية من الداخل . وبالرغم من أن هذه الجبال والحيود والمرتفعات الموجودة في وسط المحيط تكون مغمورة تحت الماء ، فإن المظاهر الجيولوجية هي أهم ما تتميز به الكرة الأرضية ، حيث إنها تمتد في مساحة أكبر من منطقة جبال الهملايا والروكي والأنديز مجتمعة .

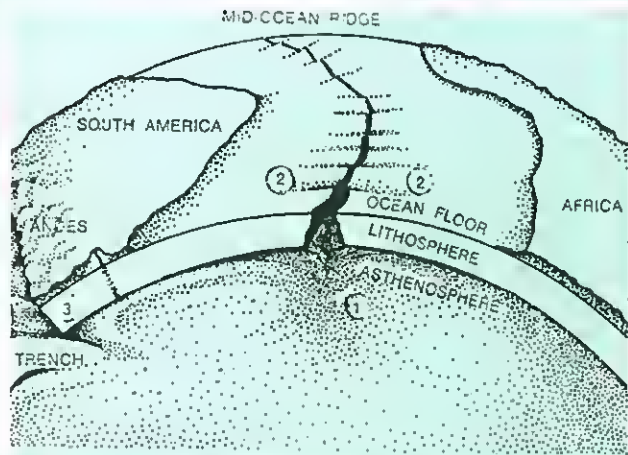
إن هذه الحيود والشرق في وسط المحيط هي موقع الزلازل والثورات البركانية الدورية مثل تلك التي أنتجت جزيرة سورتسي Surtsey بالقرب من شاطئ جزيرة آيسلندا في عام ١٩٦٣ م . وقد ثبت أن قاع المحيط أكثر نشاطاً مما توقعه العلماء ، ويبدو أيضاً أقل عمراً وخاصة في وسط المحيط . كما أن النشاطات البركانية فيه تدل على أن هذا الشق الموجود في وسط المحيط يمكن أن يضيف مادة جديدة إلى قاع المحيط .

نظرية انتشار قاع البحر

وافق الجيولوجي الأمريكي هاري هس Harry Hess في بحثه

★ الفكرة الجيولوجية الحديثة عن الطريقة التي أنتجت فيها القارة بانجيا (Pangaea) القارات المختلفة وتبدو هنا القارة الأم قبل ٢٠٠ مليون سنة كما تبدو قارتي لوراسيا وجوندوانا قبل ١٣٥ مليون سنة ، ثم القارات كما تبدو الآن ★

٦٥°. كيف يمكن تفسير هذا الفرق ؟ إن إنجلترا يجب أن يكون موقعها بعيداً عن الموقع الحالي ، أي إلى الجنوب خلال العصر الترياسي ، لأن ٣٠° تعني بأن موقع إنجلترا كان قريباً من خط الاستواء ، وبطريقة علمية أخرى قرر العلماء التأكد من معلوماتهم الجديدة هذه باختبار آخر . وقد أجروا اختبارهم على صخور البازلت من هضبة ديكان بالهند . وتغطي هذه الصخور أعماراً مختلفة في كل طبقة من طبقاتها وتمتد حتى ١٥٠ مليون سنة في الماضي البعيد . وبهذا فإن المنطقة تشبه كتاباً جيولوجياً تاريخياً حيث إن كل طبقة تغطي فصلاً مختلفاً من القصة الجيولوجية . فمن حوالي ١٥٠ مليون سنة كان الميل المغناطيسي المتوسط للهند حوالي ٦٤° إلى الجنوب . وهذا يعني أن إبرة البوصلة المغناطيسية كانت تميل ناحية القطب الجنوبي في ذلك الزمان والمكان . ومنذ حوالي ١٠٠ مليون سنة فإن الميل المغناطيسي للهند قد نقص إلى حوالي ٦٠°. ومنذ حوالي ٥٠ مليون سنة فإن الميل المغناطيسي قد نقص



★ ميكانيكية انتشار قاع البحر ★

الضغط إلى الخارج ، في الانجذاب المتعاكسين . ولا زالت نظرية هاري هس « انتشار قاع المحيط Sea-Floor Spreading » كما سماها الجيولوجي الأمريكي دايتز R.S. Dietz لم تحل المشكلة تماماً بالنسبة لزحف القارات Continental Drift .

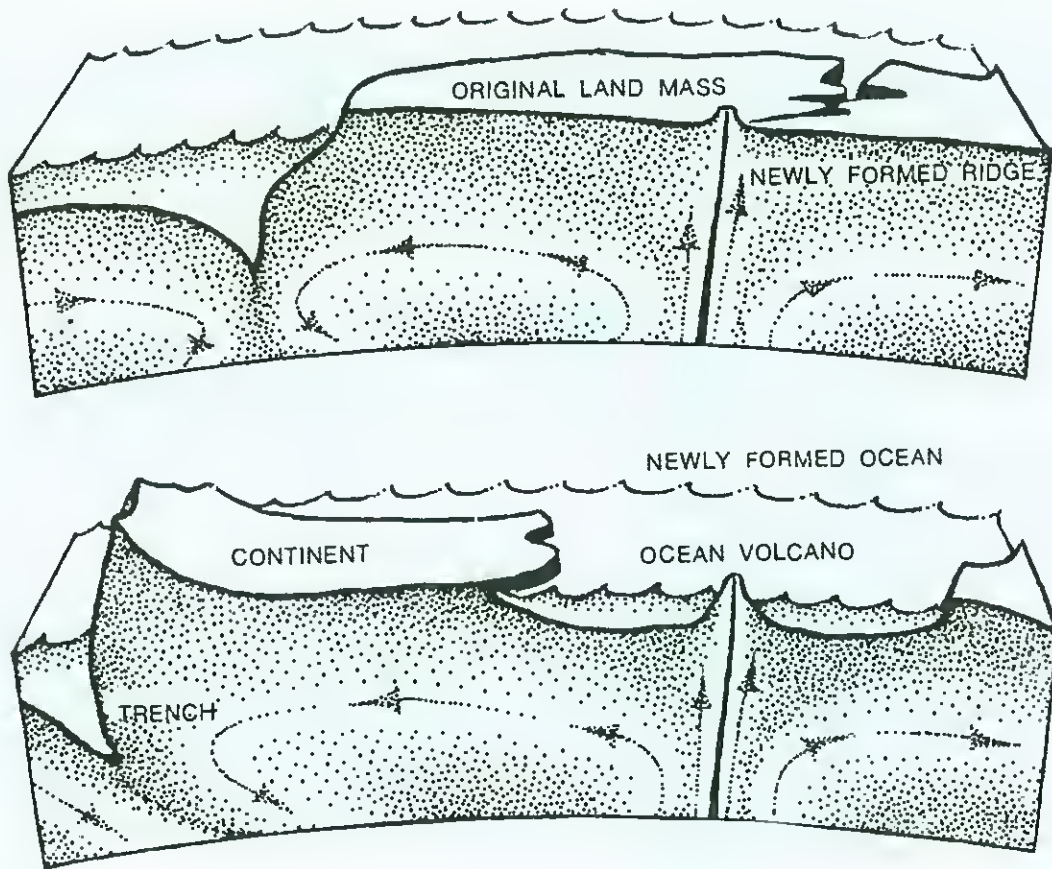
زحف القارات والمغناطيسية القديمة

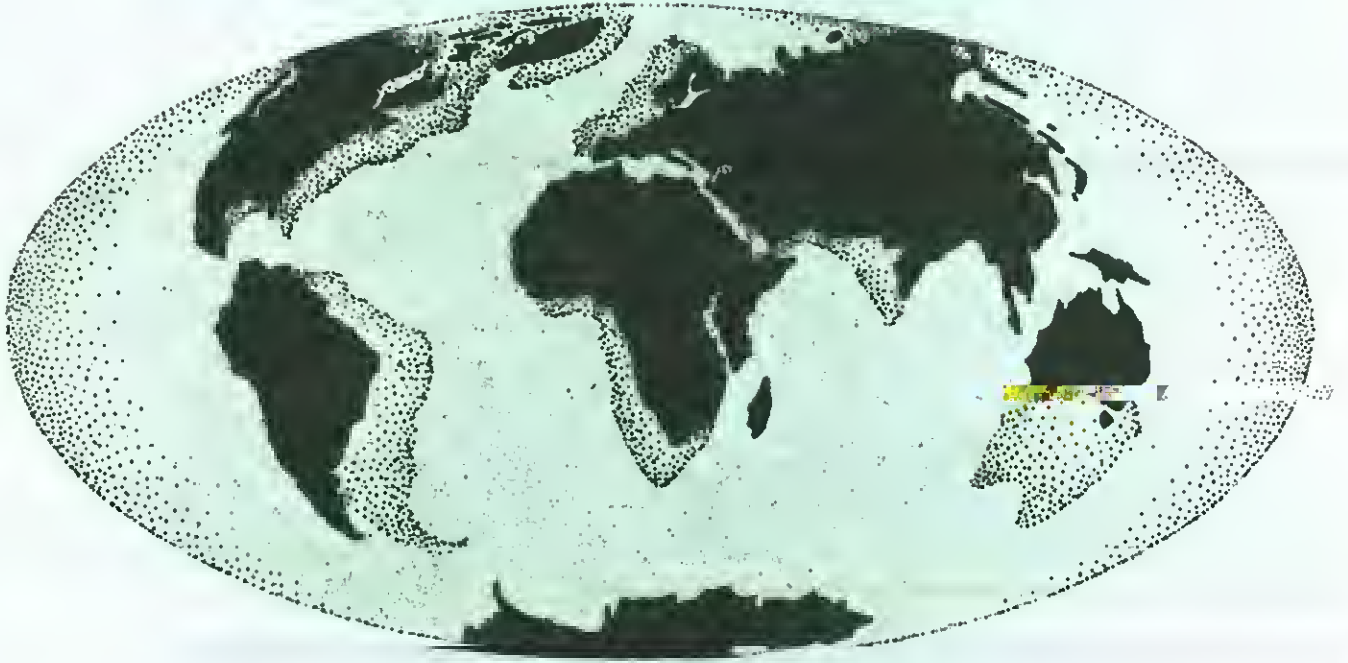
في عام ١٩٦٣ م ، ابتكر طالب الدراسات العليا في الطبيعة الجيولوجية بجامعة كامبردج ببريطانيا اختباراً لفحص نظرية هس عن انتشار قاع المحيط . كان هذا الطالب هو البروفيسور فاين F.Vine ، الذي كان عمره آنذاك حوالي ٢٤ عاماً . وجد فاين بأن هناك حركات عكسية ، أو انقلابات في الحقل المغناطيسي للأرض ، أي أن القطب الشمالي أصبح في يوم من الأيام القطب الجنوبي وبالعكس . وقد عرف العلماء من دراستهم لمغناطيسية الصخور القديمة بأن الاقطاب المغناطيسية قد انعكست عدداً من المرات خلال الثلاثة ملايين والنصف مليون سنة الماضية .

وقرر فاين بأن هذا السجل المغناطيسي يمكن أن يكون ذا فائدة كبيرة . فإذا كان قاع المحيط ينتشر بعيداً عن وسط المحيط فإن هذه الحركة يمكن أن تُرى مغناطيسياً . فإذا كان الصهير البركاني ينشئ من شق وسط المحيط ويتصلد مكوناً فشرة المحيط ، فإن هذه الفشرة سوف تسجل الحقل المغناطيسي للأرض في ذلك

الكلاسيكي المشهور «تطور حوض المحيط» ، على أن وسط المحيط عبارة عن كسر أو شق في قشرة الأرض ، لكن هذا الشق لم ينتج عن التمدد ، ويعود أصل هذا الشق أو الشقوق إلى نيسارات الحمل الحرارية Convection Currents وهي الفكرة القديمة التي نادى بها الجيولوجي البريطاني هولمز Holmes . فعندما ترتفع درجة حرارة الصخور في طبقة الاسثينوسفير Asthenosphere ، فإنها تصعد ببطء إلى أعلى مثلما يحدث في دقيق الشوفان في وعاء يغلي ، حيث ينساب الدقيق إلى أعلى على شكل سائل ، ثم ينسكب على الجوانب . وبعد ملايين السنين فإن الصخر يصل إلى الطبقة العليا من الوشاح Mantle ، والتي تسمى الليثوسفير Lithosphere . وعند هذه المنطقة وانخفاض درجة الحرارة والضغط فإن الصخر الأصلي — الذي يحتوي على معدن الأوليفين — ينضغط لتحور فيزيائياً ، ويتغير إلى صخر معروف يسمى «السيرنتين» . ويتعلق جزء من هذا الصخر بطبقة الليثوسفير ، أما الجزء الآخر فإنه يستمر في الصعود ضاعطاً خلال طبقة الليثوسفير (سمكها حوالي ١١٢ كيلومتراً) ، حتى يقترب من قاع المحيط . وبعد ذلك يحدث تغير آخر حيث ينصهر صخر السيرنتين ، ويكسر قشرة الأرض في وسط المحيط ، ويتدفق على شكل صهير بركاني . ولا تبقى اللافا أو الصهير البركاني سائلاً لمدة طويلة . فعندما تبرد فإنها تتصل بالمواد البركانية القديمة على جانبي شق وسط المحيط ، وتتصلد إلى الصخر البازلتية المعروف والمميز لقاع المحيط . وتحت الضغط من المادة التي تصعد من أسفل فإن الصخر يبدأ في

★ مولد قارة ★





★ الشكل الذي ربما تبدو عليه الأرض بعد خمسين مليون سنة من الآن (المساحات النقطية تمثل الشكل والموضع الحالي للقارات) ★

حفر قاع المحيط

في أوائل العقد السادس من هذا القرن الميلادي ، بدأ مشروع طموح هو «مشروع موهول» . وكان أهم أهداف ذلك المشروع أن يخترق وشاح الأرض . وقد أتى اسم موهول Moho من اسم الجيوفيزيائي اليوغسلافي A. Mohorovicic ، لكن بعد وقت وجيز أدركت الحكومة الأميركية أن هذا المشروع سوف يكلف الخزينة أموالاً طائلة ، دون فائدة اقتصادية تذكر ،

فأوقفوه بعد أن كلف أكثر من ثمانين مليون دولار في مراحله الأولى ، وذلك في عام ١٩٦٦ م . وفي شهر أغسطس (آب) من عام ١٩٦٨ م ، أعقب ذلك المشروع الطموح ، مشروع الحفر البحري العميق Deep Sea Drilling Project (DSDP) ولم يكن هدف مشروع الحفر البحري العميق أن ينقب قشرة الأرض ليصل إلى الوشاح Mantle لكن هدفه الأساسي هو حفر عدة نفق صغيرة خلال رسوبيات المحيط .

وقد أثبت هذا المشروع بأنه من أكثر المشاريع نجاحاً من الناحيتين العلمية والاقتصادية . وقد أثبتت الدراسات التي أجراها العلماء على رسوبيات المحيط نظريتي زحف القارات ، وانتشار قاع المحيط . وتبدو الرسوبيات أقدم وأكثر سمكاً كلما كان الحفر بعيداً عن شق وسط المحيط . وقد ظهر بأن المحيط الأطلسي الشبالي قد انفتح منذ حوالي ١٧٠ إلى ١٨٠ مليون سنة . وقد انفصلت أوروبا عن أميركا الشمالية بمعدل سنوي يبلغ ٢٥ ملليمتر . ويقول الدكتور بيترسون المسؤول عن مشروع الحفر البحري العميق بأنه :

الوقت ، ولن يتغير هذا الانطباع المغناطيسي حتى ولو كان الصخر يعتمد عن كل طرف من طرفي وسط المحيط . وعندما يتغير الحقل المغناطيسي للأرض فإن الصهير البركاني (اللافا) عند وسط المحيط سوف يتحفظ بشكل معين ، ويكون زوجاً مغناطيسياً على جانبي وسط المحيط في كل مرة . وقارن فاين انتشار قاع

المحيط بواسطة شريط مسجل مغناطيسي بسجل بأمانة ودقة كلما حدث زحف على جانبي شق وسط المحيط . وقد قدم فاين وزميله الجيوفيزيائي الكندي توزو ويلسون J. Tuzo Wilson تدعياً أكثر لنظرية انتشار قاع المحيط باستخدام جدول زمني معروف لانعكاسات الحقل المغناطيسي للأرض . حسب

العلماء عمر عدد من القطع المغناطيسية المفردة في مناطق مختارة من قاع المحيط . وقدمت حسابات العالمين الطريقة الدقيقة لقياس المعدل الحقيقي لانتشار قاع المحيط . فإذا وجد أن عمر قطعة مغناطيسية حوالي مليوني سنة فإن هذا يعني أن الصخر قد زحف منذ ذلك الحين من مكان ولادتها ، وهو وسط المحيط . وعند تقسيم هذا العمر على المسافة التي تبعد عنها هذه القطعة المغناطيسية عن شق وسط المحيط ، فإنه يمكن حساب السرعة السنوية المتوسطة لذلك الجزء من قاع المحيط .

وقد دلت المعلومات المغناطيسية بأن المحيط الأطلسي قد انفتح منذ حوالي ١٥٠ إلى ٢٠٠ مليون سنة . وهذا الرقم قريب جداً من الرقم الذي اقترحه العالم فيجنر منذ نصف قرن تقريباً على انفصال قارة إفريقيا عن قارة أميركا الشمالية .

نظرية الصفائح أو القطع

في عام ١٩٦٩م، نشر الجيوفيزيائي الأمريكي مورجان W.J. Morgan نظرية الصفائح أو القطع Plate Tectonics Theory ، وقد اعتبر مورجان بأن القشرة الخارجية للأرض ليست ثابتة وصلبة كما يعتقد كثير من الجيولوجيين ، لكنها عبارة عن مجموعة من القطع أو الصفائح الضخمة .

يبلغ سمك كل واحدة منها حوالي ١٠٠ كيلومتر . وهذه القطع أو الصفائح مكونة من القشرة الأرضية الرقيقة ، بالإضافة إلى الجزء الأصلب الذي يسفل القشرة الأرضية ، وهو الليثوسفير ، ويرتكز الليثوسفير على طبقة لدنة من الصخور تسمى الاستينوسفير . وبالإضافة إلى هذا فإن القطع أو الصفائح الرئيسية يمكن تقسيمها إلى صفائح أصغر . وفيما تطفو هذه الصفائح على سطح الوشاح الأرضي ، فإنها تنتج تنوعات عظيمة على سطح الأرض .

وعندما تتمزق الصفيحة مثلاً فإن قارة جديدة يمكن أن تولد . فقارتي أوروبا وأمريكا الشمالية قد ولدتا كما كما يظهر عندما بدأت الصفيحة التي تسفل قارة لوراسيا تنحطم عند وسط المحيط الأطلسي . وعندما تصادم صفيحتان فإن قوة الدفع لإحداهما تحت الأخرى يمكن أن ترفع القشرة الأرضية لبناء جبال عالية ، مثل جبال الأنديز والأملايا ، أو لإنتاج سلاسل طويلة من الجزر البركانية ، مثل جزر اليابان والفلبين . كما أن القارات نفسها تحمل بواسطة الصفائح عندما تزحف رويداً رويداً .

وعادة فإن حركة الصفيحة ، أو النشاط التكتوني يكون بطيئاً جداً ، لكنه في أحيان أخرى يكون سريعاً وعنيفاً جداً . فإذا حدث وانزلقت صفيحتان على بعضهما في اتجاهين متعاكسين مثل الصفيحة الباسيفيكية والصفيحة الأمريكية الشمالية تحت صدع سانت اندرياس بكاليفورنيا فإنها تنزلقان أحياناً . وتولد على هذا اجهاد ضخم في الأرض مما يسبب حركات عنيفة وزلازل .

لكن ما هو الشكل الذي سوف تأخذه الأرض في المستقبل ؟ لا أحد يعلم حقاً أي شيء عن ذلك ، لكن العالمين دايتز وهولدن التجا إلى ألنها الإلكترونية للإجابة على هذا السؤال . وبواسطة معرفة حركات الصفائح في الوقت الحاضر والاعتقاد بأنها ستستمر كذلك في المستقبل . وجد العالمان بأن صورة الأرض بعد ٥٠ مليون سنة من الآن ستكون كالتالي :

سيتمدد المحيط الأطلسي على حساب المحيط الهادي ، وستزحف قارة أستراليا إلى الشمال ، لكنها ستجنب اصطداماً عنيفاً مع قارة آسيا . وعلى طول الساحل الشرقي لإفريقيا فإن قطعة كبيرة من الأرض قد انفصلت عن إفريقيا . أما القارتان الأمريكيتان فقد انفصلتا عن بعض ولم يعد هناك حاجة لقناة بنما ، وكذلك انفصلت قارتا آسيا وإفريقيا ، ولم يعد هناك حاجة لقناة السويس . وأصبح البحر الأحمر محيطاً جديداً .

لكن أين سينتهي هذا كله ؟ لا أحد يعلم هذا غير الله جل جلاله ، فهو القادر على كل شيء سبحانه .

« خلال حياة الإنسان ، فإن قاع المحيط يمكن أن يزحف مسافة تقدر بطول جسمه تقريباً ، أما المعدلات العالية لزحف قاع المحيط في بعض المناطق فإنها تبلغ نحو بعض الأشجار العادية . »

صورة الأرض بالحاسب الآلي

استطاع العالمان هولدن ودايتز Holden & Dietz أن يجعلوا الزمن يعود إلى الخلف عشرات الملايين من السنين . ولقد كانت ساعتها الزمنية العجيبة عبارة عن حاسب آلي حديث . وقد استطاع العالمان أن يجعلوا كثيراً من الأدلة العلمية الجديدة التي تثبت نظرية زحف القارات . وقد جمع العالمان القارات في قارة واحدة ، وتنبعا حركة هذه القارة ، أو القارات خلال الأزمنة الجيولوجية المختلفة . ومضى العالمان في رحلة إلكترونية إلى الماضي الجيولوجي السحيق إلى العصر الترياسي ، أكثر من ٢٠٠ مليون سنة مضت . وقد وجد

العالمان بأنه لا توجد سبع قارات بل قارة ضخمة واحدة ، شبيهة إلى حد كبير بقارة (بانجيا) التي اقترحها فيجنر . ويحيط بهذه القارة الضخمة بحر ضخم يشبه بحر (بانثالاسا) ، الذي اقترحه فيجنر . وتغطي بانجيا حوالي ٤٠٪ من سطح الأرض . وتقع قارة أمريكا الشمالية إلى الجنوب الشرقي من موقعها الحالي ، أما الهند وأستراليا فإنها تقعان إلى الجنوب قريباً من القطب المتجمد الجنوبي . وفجأةً انبثقت كميات هائلة من المواد البركانية من الأرض خلال شقين كبيرين من منطقة نكتون الآن المحيطين الأطلسي والهندي ، ونحت ضغط هذه الصحارة البركانية (اللافا) فقد بدأت قارة (بانجيا) تتفكك بالتدريج .

وذهب العالمان عشرين مليون سنة إلى الوراء ، إلى العصر الجوراسي ، حوالي ١٨٠ مليون سنة مضت . ففي النصف الشمالي من الكرة الأرضية أنتجت قارة بانجيا الضخمة ، قارة لوراسيا Laurasia القارة الأم لقارات أمريكا الشمالية وأوروبا وآسيا . أما في النصف الجنوبي من الكرة الأرضية فقد أنتجت قارة بانجيا قارة أخرى اسمها «جوندوانا» Gondwana ، القارة الأم لقارات إفريقيا والهند وأمريكا الجنوبية وأستراليا وقارة القطب الجنوبي . وقد انفصلت الهند عن قارة جوندوانا ، وبعد ذلك تم انفصال قارتي أمريكا الجنوبية وإفريقيا عن قارتي أستراليا والقطب الجنوبي . ووصل العالمان إلى العصر الكريتاوي ، حوالي ١٣٥ مليون سنة مضت ، حيث ظهرت الطيور لأول مرة في سماء الأرض البدائية . كانت قارة أمريكا الجنوبية تنفصل بعيداً عن قارة إفريقيا ، وزحفت هذه القارة الأخيرة إلى الشمال حتى اقتربت من قارة آسيا وحجزت البحر الأبيض المتوسط إلى شرقها . وفي نفس الوقت فإن المحيط الأطلسي الشمالي كان يتسع أكثر كلما ابتعدت قارة أمريكا الشمالية عن قارة أوروبا .

وعند الزمن الثالث الذي بدأ منذ حوالي ٦٥ مليون سنة ، فقد كانت الأرض مغطاة بكثير من الأشجار ، والنباتات المألوفة ، وظهرت أيضاً بعض الحيوانات الثديية . أما الهند فبعد سفر طويل بقدر بالآلاف الكيلومترات إلى الشمال اصطدمت بقارة آسيا ، مجمدة جزء كبيراً من القشرة الأرضية في ملحمة درامية أنتجت جبال الأملايا ، أعلى جبال في العالم .



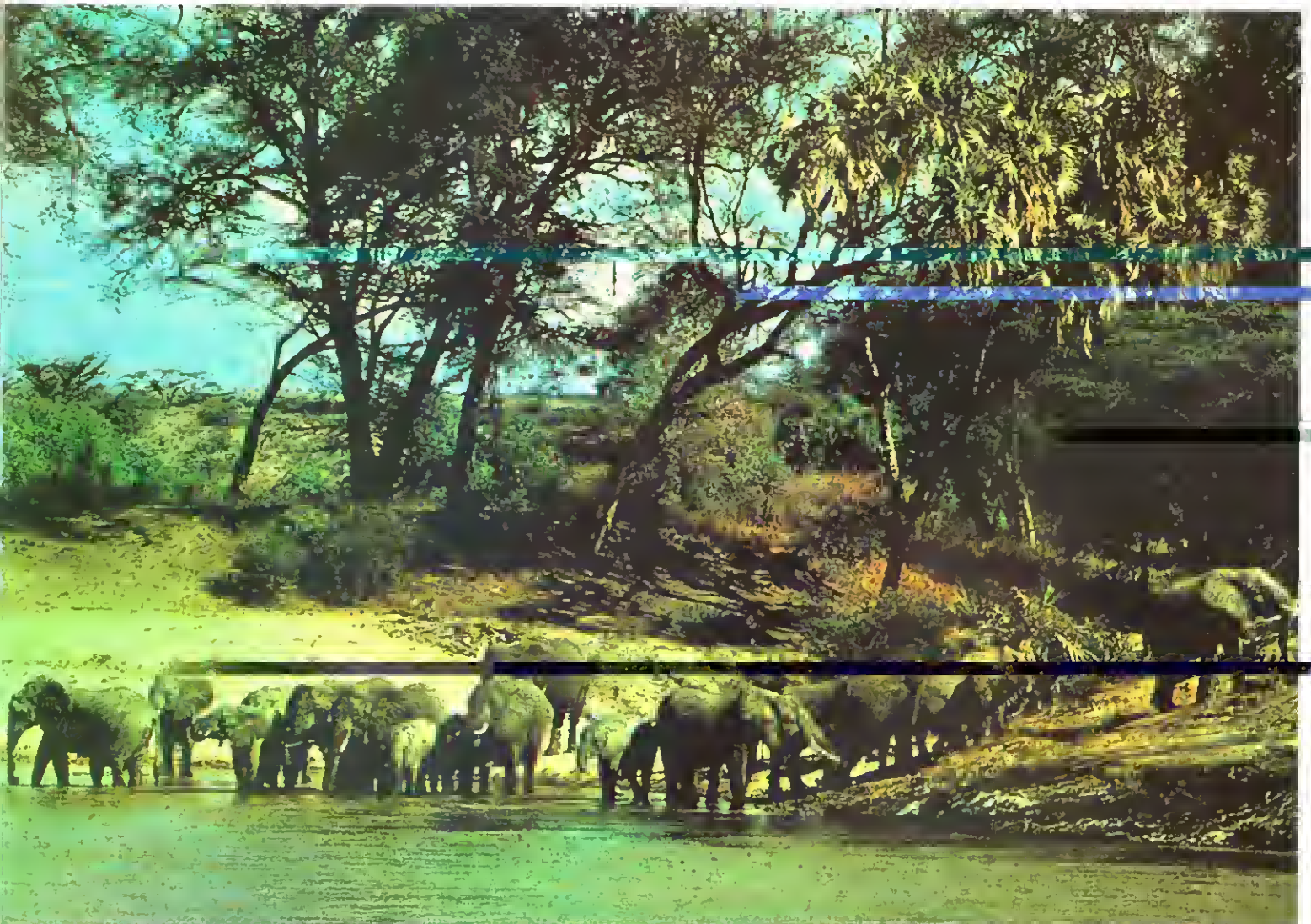
الفيلة.. والأجبال القادمة

تعد الفيلة أضخم وأكبر الحيوانات على اليابسة ، واحتلت قطاعها الطبيعية بين الحيوانات البرية في براري إفريقيا وآسيا ، لكن أنيابها الطويلة شكلت خطراً ووبالاً عليها ، فقد كونت تجارة مزدهرة تعتمد على الحصول على هذا العاج الثمين ، الذي أسر أذهان الناس ، والذي تبارى الملوك وعلية القوم للحصول عليه ، ولم يبدأ اهتمام العلماء بهذه الحيوانات الضخمة إلا عندما بدأت التجارة تتدهور ، وبدأت القطمان تتلاشى . فعندما اهتم علماء الحيوان ومحبو الطبيعة بالفيلة ، صورت أفلام عديدة في الطبيعة عنها ، ودرست مجدية لمعرفة أنواعها المختلفة ونشاطاتها العديدة وسلوكها المتنوع !!

بمقام :

د . أحمد محمد غندور

★ مجموعة من الفيلة الإفريقية ترناد أحد الأنهار لشرب الماء والاستحمام ★



أنواع الفيلة

عاشت الفيلة في القديم في كل القارات ما عدا قارة أستراليا . وكانت توجد أنواع عديدة انقرضت بسبب الحجم الكبير والتغير الشديد في الظروف المناخية . ومن أهم هذه الأنواع المنقرضة فيلة الماستودون والماموث ، والفيلة الكولمبية والملكية . واليوم يوجد نوعان من الفيلة هما : الفيلة الإفريقية *Loxodonta africana* ، والفيلة الآسيوية *Elephas maximus* . وهما يتفكان في التكوين الأساسي ، لكن توجد عدة اختلافات جسدية وسلوكية . وتوجد ثلاث فصائل من الفيلة الإفريقية في وسط السودان وشرق وجنوب إفريقيا . ومن أهم مميزاتها أنها أضخم من الفيلة الآسيوية (حوالي ١١ قدماً في الطول ، و ٦ أطنان في الوزن) . ولها أذنسان وسيفان أكبر . والظهر والجهة مقوسان . والخراطيم تحس الملمس ، وله الثنان من الزوائد إصبعية الشكل في نهايته . ويمتلك كل من الذكر والأنثى أنياباً ، وفي المتوسط تصل في الذكر إلى خمسة أقدام في الطول ويوزن كلاهما حوالي ٧٠ رطلاً .

ويعتقد العلماء أن الفيلة تنام واقفة ، ولا تنام أكثر من

٣ - ٤ ساعات في اليوم ، وهي في العادة تتغذى على الفواكه اللينة والجذور ولا تتغذى إلا نادراً على الخشائش . وتوجد أعداد بسيطة من الفيلة الإفريقية القزمة التي لا تتعدى ٦ أقدام في الطول ، ولا تعيش في قطعان منفردة ، وإنما بين قطعان الفيلة الأخرى . أما الفيلة الآسيوية فهي توجد في جنوب شرقي آسيا ويعرف منها أربع فصائل هي :

الهندية (وهذه تمثل الغالبية العظمى من الفيلة الآسيوية) ، والسيرالنكية والسوماترية والملايكية وهي أصغر من الفيلة الإفريقية (حوالي ٩ أقدام في الطول ٦ أطنان في الوزن) ولها أذنسان صغيرتان ، والظهر مستقيم والجهة كذلك ، والخراطيم ناعم الملمس . وله

زائدة إصبعية واحدة في نهايته . وفي العادة الذكر فقط يمتلك أنياباً ، وتنام وهي ممددة على الأرض . وفي العادة تتغذى أساساً على الخشائش لكنها قد تتغذى أيضاً على فواكه البلاتين وأوراق وجذوع

الأشجار ويوجد في سيام وبورما بعض الفيلة الآسيوية التي لا تمتلك غداً صغيرة في الجسد . وبالتالي فهي بهيمة . وقد أعجب به سكان تلك البلاد وقدموه !!

★ حمام الطين عند الفيلة ★



قطعان الفيلة

نعيش الفيلة في قطعان كبيرة ، قد تصل في العدد إلى مائة فرد . ويقود المسيرة مجموعة من الذكور البالغين ، ثم يليهم الإناث والصغار ، ثم تحتل المؤخرة مجموعة أخرى من الذكور ، وقد يختلف هذا النظام وتنفذ المسيرة أكبر الإناث شأن أي بعض المنفصلين ، وحسن التمييز ليس تسير إلى منتهى العمر يطرد من القطيع ويعيش وحيداً ، وهو في هذه الحالة خطير وشرس للغاية ! . ولا يصل إلى هذا العمر إلا بعد ٣٥ - ٥٠ سنة ، وهو متوسط عمر الفيل . ولكن قد يعمر أكثر من ذلك كثيراً في الأسر ، إذ إن الفيل الآسيوي عمر ١٣٠ سنة ، والإفريقي ٨٠ سنة ، في

المعيشة الطبيعية لا يتعدى عمره ١٠٠ سنة .

وحتى نهاية القرن الثامن عشر الميلادي كانت تفرج آلاف القطعان في سهول وغابات آسيا وإفريقيا ، ولكن مع احتلال الإنجليز لدول آسيا بدأت حملة لقطع الغابات وزراعة القهوة والشاي ، وبالتالي إما قُتلَت الفيلة الآسيوية أو هربت من بيئاتها الطبيعية إلى مناطق غير مناسبة لمعيشتها حيث نفقت هناك .

وفي إفريقيا تم نفس الشيء ، وبدأت «تجارة العاج» في الانتشار

★ بعد حرق العيون تغطي الفيلة جسمها بالطين الدافئ ★



★ الفيل الكبي كان من أصخم الفيلة في كينيا ، ووصلت أبعده إلى الأرض وكانت تزن ١٨٠ رطلاً ★

وبدأت نقل الفيلة ، ولكن في النصف الثاني من القرن العشرين أصدرت قوانين عدة لحماية الفيلة وبنيت حدائق الحيوانات المفتوحة هذا العرض ، وقد تمكنت الفيلة الإفريقية من الحفاظ على مكانها في الطبيعة ، إذ يوجد اليوم حوالي ٣٥٠,٠٠٠ منها في حين لم تحظ الفيلة الآسيوية بنفس النجاح ، إذ لا يتعدى اليوم عددها ٤٠,٠٠٠ فقط !

الرعاية الأبوية وحضانة الصغار

تتم الفيلة اهتماماً بالغاً بالصغار ، ويشترك جميع أفراد القطيع في هذا الغرض ، فعندما يبدأ الأنثى في الوضع بعد حمل ٢٢ - ٢٤ شهراً يلتفت حوضاً باقي الإناث لمساعدتها في الوضع ، وحالما يولد الصغير (ولا تلد الأنثى في حياتها أكثر من أربع مرات) تقوم الإناث بمهمة تخليصه من المشيمة ، وتنظيفه ، ويكون الصغير ضعيفاً ولا يقوى على الوقوف ، فتحمله الإناث على الأنياب والخراطيم حتى يقوى ، وبعد خمس عشرة دقيقة يبدأ في المشي ، ويتغذى على لبن الأم ، ولا يفطم إلا بعد حوالي سنتين . حيث يبدأ في التغذية على الخشائش والفواكه والجذور .

وأثناء مسيرة القطيع تولي الأم اهتماماً بالغاً بالصغير ، فإن تعب فإنها





★ عائلة صغيرة من الفيلة يظهر فيها الصغير الذي يهد به الأم وباقي الإناث اهتماماً بالغاً ★

وتعتمد الفيلة أيضاً على حاسة الشم المتطورة لتمييز أفراد القطيع ، فعندما تتلاقى تتحسس بعضها البعض بواسطة الخرطوم ، وبواسطة هذه الحاسة تستطيع أن تتعرف على مصادر المياه حتى على بعد خمسة كيلومترات ، وعندما تشعر الفيلة بوجود الخطر أو أي دخيل ، فإنها ترفع الخرطوم عالياً في الهواء وتفرد آذانها للتعرف على مكان ونوع الدخيل !

الاهتمام بالجلد

تعد الفيلة من أكثر الحيوانات اهتماماً بالجلد ، فلا بد أن تأتي كل يوم إلى مصادر المياه لكي تشرب وتستحم ثم تغطي جلدتها بالطين اللين ثم تغطي الجلد بالرمل وذلك بقذقه بالخرطوم وقد تحتك بالأشجار وتعتمد على بعض الطيور الصغير لكي تخلصها من الحشرات والطفيليات الملتصقة بالجلد ، وأثناء هذه العمليات من استحمام ومساج تترك الفيلة رائحتها المميزة وبذلك تعد مصادر المياه أكبر تجمع للتعارف بين قطعان الفيلة ، إذ إنها تدرك من وصل إلى الماء قبلها وأين وفي أي اتجاه تحرك !!

ترفعه وتزيل عن طريقه أي عوائق ، وأثناء صعود المرتفعات والأراضي الوعرة تدفعه الأم إلى الأمام ، وأثناء الجو الحار الذي لا تحتمله الفيلة تحرك الأم وباقي الإناث الأذان الطويلة كالمراوح لترطيب الجو حول الصغار ، وعندما يوجد في القطيع مجموعة من الصغار تتناوب الإناث حراستها حيث يتركون بالقرب من مصادر المياه ويذهب باقي القطيع للحصول على الطعام !!

التواصل

اشتهرت الفيلة بقوة حاسي السمع والشم ، وهي تنقل المعلومات لبعضها البعض باستعمال هاتين الحاستين ... فدائماً تصدر بعض الأصوات التي تشبه (صوت البوق) لتمييز النوع أو أثناء الدفاع عن النفس ، أو الهروب من العدو ، وأيضاً تستعمل الأذنين الكبيرتين فتحركهما بشدة ، وتلعب هذه الحركات والأصوات دوراً هاماً في حياة الفيلة !.. وقد استغل مدربي الفيلة هذه المقدرة على إصدار وسماع الأصوات ودربوا الفيلة على الاستجابة لأوامر صوتية للقيام بحركات أو مهام محددة !

الحركة بخفة

بالرغم من ضخامة الفيلة فمن العجيب أنها تتحرك بخفة إذ توزع وزنها الجبار بالتساوي وتمشي على أطراف الأقدام ، ولا تترك أي أثر على الأرض وأثناء مسيرة القطيع لا تصدر أي أصوات ، ولا تصطدم بالأغصان والأشجار ، وقد يفاجأ المرء عندما يظهر فجأة أمامه قطيع مكون من مائة فيل (يزن كل منهم حوالي ستة أطنان) من غير أن يسمع صوتهم وهم يتحركون !!

والفيلة رشيقة على الأرض وفي الماء ، وبالرغم من أن الفيلة لا تستطيع أن تركض أو تقفز من على المرتفعات ، فإن باستطاعتها أن تتسلق المرتفعات والجبال وقد تصل إلى ارتفاع خمسة آلاف قدم بسهولة ، وقد يكون الشخص في مأمن في المناطق الجبلية وهو على ظهرها أكثر من على ظهور الخيل ، وتمشي الفيلة بنفس سرعة الإنسان ، ولكن في الظروف الطارئة أثناء الهرب من الأعداء أو الهجوم فقد تصل إلى سرعة قصوى حوالي ٣٠ كيلومتراً في الساعة ، ولكن لفترة وجيزة وهي حوالي ١٠٠ دقيقة فقط .

★ أم من الفيلة وصغيرها في حالة ناعب للهجوم على العدو . فهي يصحان بشدة ويغردان الأذان لمعركة مكان قريب ★

السلوك العدواني والدفاع عن النفس

في العادة تعتبر الفيلة من الحيوانات الخجولة وتبتعد عن الإنسان ، ولا تشكل الأذى خطورة ولكن الذكر شرس وهو الذي يبدأ الهجوم ، وعند الشعور بوجود الخطر فلا تبدأ الفيلة في الهجوم ولكن يتجمع القطيع في شبه دائرة لمعرفة مصدر الخطر ، وعند التأكد منه إما أن تنسحب بنظام أو تهاجم بشراسة وتضرب خرطومها بالأرض لإخافة العدو . . . وأثناء الهجوم تخفي الخرطوم والرأس وتضم الأذنين إلى الجسم وتبدو كأنها أصغر في الحجم ، ثم تجري باندفاع إلى العدو حيث تلف الخرطوم حوله وتقذف به في الهواء ثم تدوس عليه بأرجلها الكبيرة الضخمة ، وقد تستعمل الأنياب أيضاً في هذا الغرض ، ولا يوجد أي عدو طبيعي للفيلة سوى الإنسان ، وقد انتشرت أفكار خاطئة عن أن الفيلة الجبارة تهاب الفأر الصغير ، وهي في الحقيقة قد تفلق أن يدخل الفأر في الخرطوم ، ولكن حتى إن تم ذلك فإن باستطاعة الفيلة أن تخرجه بسرعة وذلك بنفخه خارج الخرطوم . وقد أجرى مؤخراً أحد العلماء تجربة عن هذا الموضوع ، ووضع فأراً صغيراً أمام أحد الفيلة ، فما كان منه إلا أن تحسسه بواسطة الخرطوم ثم وقف



أهمية الفيلة

حتى بداية النصف الثاني لقرن العشرين كانت الفيلة أهم مصادر العاج في العالم ، ولكن اليوم اضمحل هذا المصدر ، وتكون أهمية الفيلة لسكان غابات إفريقيا وأسيا قصوى لأنها أثناء مسيرتها تزيج الأشجار والأغصان والأشواك ، وبالتالي تمهد طريقاً صالحاً بإمكان الإنسان أن يستفيد منه ، توجد في الهند واليابان أصناف مهمة من العاج على دروب الفيلة .

وفي آسيا حيث استطاع الإنسان أن يدرّب الفيلة الآسيوية ، فهي تساعد في عدة أعمال كحرق وحل الأثقال ، وتعتبر عملاً هاماً في تجارة أخشاب التيك ، إذ إنها تجر الأخشاب الطافية خارج الماء . وقد استعملت الفيلة في الحروب ، وكان «هانيبال» من أوائل من استعملها لعبور جبال الألب ، وفي الحرب العالمية الثانية استعملت لحمل الأدوات المهمة وبعض المعدات في أودغال أسبب الممطرة التي لا تسمح سير العربات .

★ قبل بريقي بمد حرقومه إلى ماء تشرب في إحدى حدائق الحيوان المفتوحة ★



★ أحد الفيلة يقوم برفع فطره شجرة ليتغذى عن السوائل الداخلية ★





▲ ★ عائلة كبيرة من الفيلة الإفريقية تظهر فيها أجيال عديدة ، واجموعة هنا في حالة تأهب لأب لحست وثبتت رائحة غريبة في المنطقة ★

▼ ★ أحد الفيلة يستمتع بحمام الغرين من حر النهار وهداية للحمى من خسرت ★

مقابر الفيلة .. حقيقة أم خيال ؟

ترددت أحاديث كثيرة عن وجود مقابر للفيلة تلجأ إليها عندما تشعر بدلو نهايتها ، وهناك تلفظ أنفسها وتختبئ ! فهل حقاً توجد مثل هذه المقابر أم أنها خرافة من نسج الخيال ؟

في الحقيقة لا يوجد حتى اليوم أي دليل عملي مادي عن وجود مثل هذه المقابر ، إذ لم يلاحظ أي عالم . الفيلة وهي تذهب إلى « المقابر » تموت هناك ، ولكن وجدت عظام وهياكل كثيرة للفيلة في مناطق محددة . وهناك احتمالان لذلك ، وهما إما أن يكون الصيادون قد اصطادوا قطعاناً من الفيلة سوياً وذلك بوضع السم في الماء حيث تشرب وبالتالي نفقت آلاف الفيلة ، ونزع الصيادون الأنياب وتركوا الجثث مكشوفة بقيت العظام والهياكل في مكان واحد وكأنه مقبرة جماعية !

والاحتمال الآخر هو الموت الجماعي الطبيعي لقطعان من الفيلة أثناء عبورها أحد الأنهار حيث غرقت أو أثناء الحرائق التي دائماً تحتاج غابات إفريقيا وآسيا ، حيث يكون سلوك الفيلة أثناء هذا الخطر التجمع في شبه دائرة وبالتالي قتل جميعها اختناقاً أو حرقاً !! وبالرغم من كثرة الأساطير حول الفيلة إلا أنها ستبقى دائماً من أكثر





★ فيل إفريقيا في سهل جبل كليانجارو ★



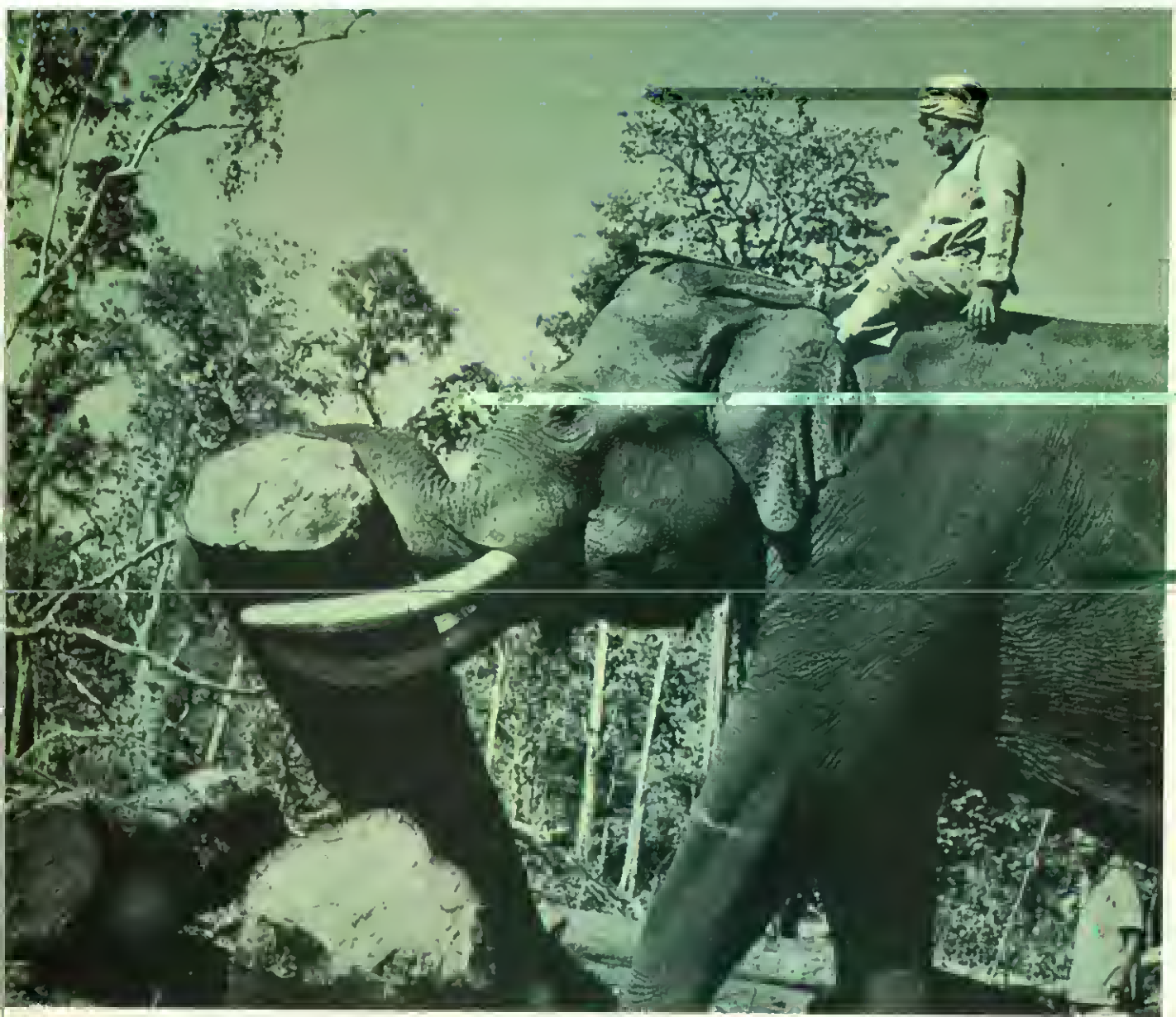
حيوانات البراري إثارة للخيال . . . وإن ننس الكثير عن الفيلة لكننا لن ننسى أبداً الفيل الكيني الذي عمّر طويلاً حتى وصلت أنسابه إلى الأرض وكانت تزن حوالي ١٨٠ رطلاً ، وقد أعجب به الزعيم الكيني الراحل « جوموكيئياتا » وأعطاه وبقيّة الفيلة في كينيا الحماية التامة . . . ولكن مات كينياتا ومات الفيل ! . . .

المراجع

Grzimek, B. (1976). *Grzimek's Animal Life Encyclopedia (Volume 12)*. Von Nostrand and Reinhold Co., New York, London.

Mitchell and Thompson, F. (1976). *The Secret Life of Animals*. Weidenfeld and Nicolson, London.

Patel, H. C. (1973). *Vanishing Herds*. MacMillan London Ltd.



★ ▲ ستمل القبل الاسوي لرفع الأنفال ★

★ ▼ بعض الطير الصغيرة تعيش مع الفيلة لأنها تتغذى على الحشرات العالقة بالجسم وبذلك تريح الفيلة منها ★



لوحة ريشوار

● يعتبر الفنان من أكثر

فناني القرن التاسع عشر حفظاً في

التقدير . في عام ١٨٧٨م ،

بيعت إحدى لوحاته بـ ١٨

٢١٩١٨ ، بيعت إحدى

لوحاته في أمريكا بـ ١٢٥,٠٠٠

دولار ، ورغم ذلك

الأرقام المرتفعة ، إلا أنها ليست

مقياساً للمستوى الفني ، أو دليلاً

على القسم الفنية والجماليّة في

لوحاته .

● تميز ريشوار بأنه أكثر من

رسم الأجسام البشرية بحرية منذ

عهد رسامي النهضة ، فقد

كان الفنان عباً للناس والحياة

والطبيعة ، ومعظم موضوعاته

كانت عن النساء والأطفال

والزهور ، لكنه لم يصور

صراعات الحياة ، أو يدخل في

أعراقها ، وهذا ما جعل

مشخصاته يتقنها الفناني

برغم مظهرها الواقعي والحيوي .

● ولّد في «بيروج»

بفرنسا عام ١٨٤١م .

● كان أبنا لأبوين فقيرين ،

لذا قام تعليمه على اجتماعه

الشخصي . في سن الثانية عشرة

أصبح له أسلوب شخصي تميز

في التعبير على الزجاج والخزف

والصيني ، واستمر ذلك

الأسلوب معه خلال تطوره

الفني .

● تعلم من الخزف في

الرسم على مواد مختلفة في سن

مبكرة ، قيمة التطبيق العملي ،

والخزف والدقة والرقّة أيضاً .

● يعد الفنان ريشوار

الممثل الأخير للتعبير

التقليدي في التصوير ،

الذي امتد من فترة الفنان

«دويش» إلى الفنان «وانو» .

● يقف ريشوار إلى جانب

سيران ، وماليه ، والمصورين

التابن للمدرسة التأثيرية ،

إلا أن أعماله الفنية لا تتراخي

أعماله من حيث القيم الفنية .

الفرح

● منظر طبيعي فترب ميتون

● اللوحة تعالج الشكل ،

ولكن دون تميز بقم بنائية ، وهذا

يقدمها معصراً هاماً من القيم

الفنية ، إلا أن جمال الألوان

المستخدمة يجعلنا لا نرى أو

نبحث عن تلك القيم الفنية ،

وأيضاً جمال تكتيكه النفسي في

استخدام الألوان والتعبير عن

الطبيعة .

● لا تنتمي للوحة إلى أي

مدرسة من المدارس الفنية ،

لكنها أقرب إلى المدرسة

التأثيرية ، الذي أعاد معها أو

توافقت مع أسلوبه من ناحية

التعبير عن الطبيعة ، وتأثير

الضوء على الأشكال والأشياء .

● يعبر عن جمال الطبيعة ، فصور

الأشجار ذات الأغصان المتعاقبة

في مودة وثائق ، وأبرز جمال

الوانها . فاللوحات الأساسية في

اللوحة هو التعبير عن جمال

الطبيعة ، لذا ظهرت الألوان

بالغة الرقة والمهذبة ، وهو ما

تتميز به معظم لوحات الفنان

أيضاً .

● التشكيل النفسي في

اللوحة يقوم على هارمونية

المخطوط المتصلة في أفق

الأشجار ، وإيقاع اللون على

شكل يقع لونية متناغمة ،

المتصلة في الأرض وأوراق

الأشجار .

● قال ريشوار : « لقد

فصيت حياتي وأنا أمتح نفسي

بوضوح الألوان على اللوحات » ،

من خلال كتابته تلك يتفصح

مفهومه للتعبير ، ورويته وأسلوبه

الفني ، وموضوع تلك اللوحة

أيضاً . فاللوحات عاش حياة

حادثة منزلة . وفي تلك اللوحة

يصور الطبيعة وحدها دون وجود

الإنسان بها . . . واستطاع الفنان

أن يعكس حياة عصره وروحته

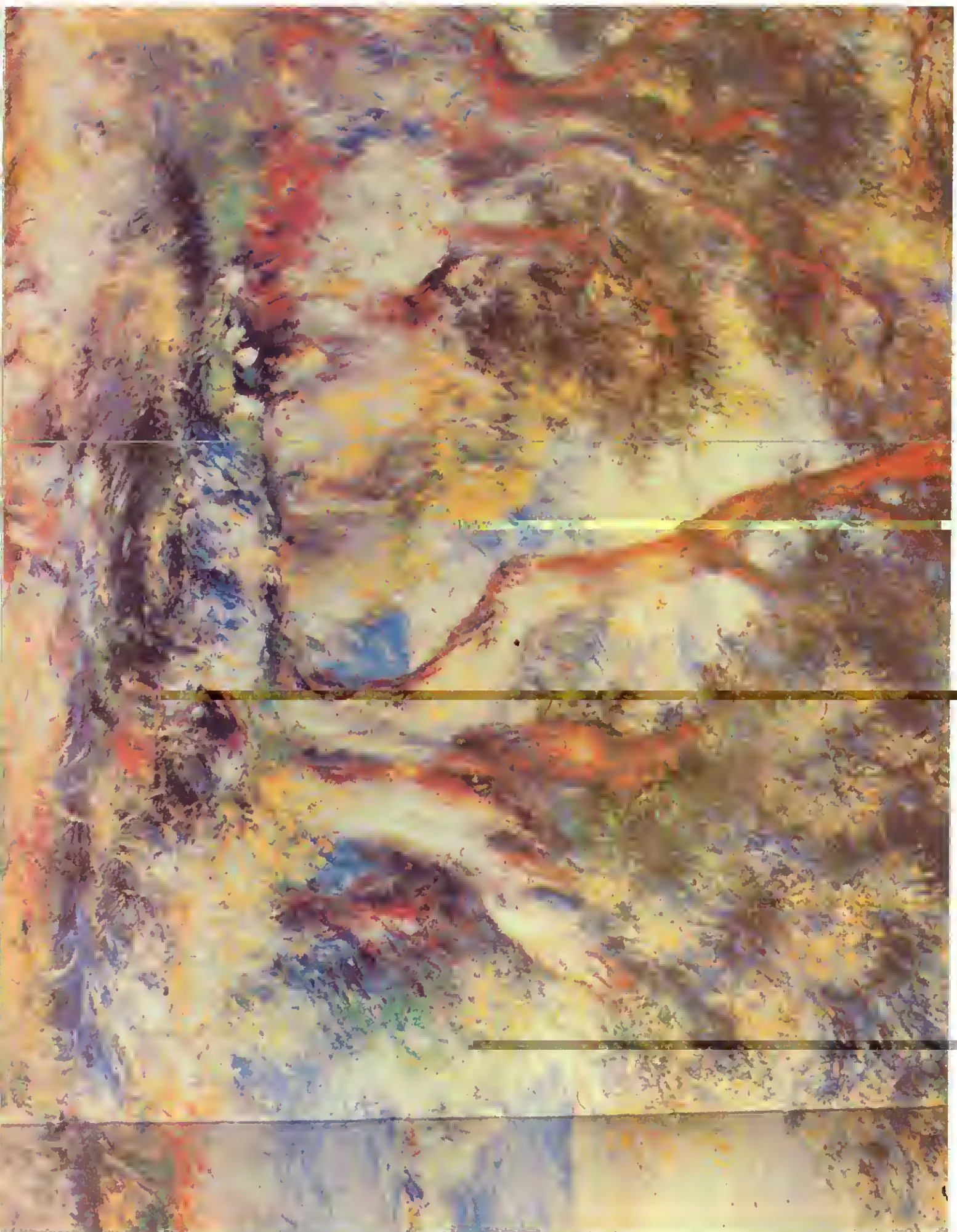
بإخلاص ، خصوصاً دقائق الحياة

البوتية ، ورويته للطبيعة التي كان

يحيا ويتعاطف معها ، بل يعيش

جملها ، وهذا يتفصح في اللوحة

المروضة . فهو يصور مشهراً



نشوء أسرع لنخدمكم أفضل



إن مشاريع "السعودية" للتوسع في السنوات القادمة تعني أن خدمتنا للركاب ستكون أفضل فأفضل. إن إضافة ست طائرات "٧٤٧" وخمس طائرات "ترايستار" واجدى عشرة طائرة "ايرباص" على أسطولنا الحالي تعني أيضاً أن باستطاعتنا الآن أن نقل ركابنا إلى أماكن أكثر ونؤمن لهم عدداً أكبر من الرحلات ونوفر لهم مزيداً من الراحة. وعند افتتاح المطار الجديد في جدة، سيكون للسعودية نقطة وصول خاصة بها لتتيح للمسافرين القادمين من الخارج فرصة الانتقال إلى قسمنا الخاص للرحلات الداخلية دون الاضطرار إلى الانتقال من مبنى إلى مبنى آخر. والدليل الأكبر على هذا التطور المستمر في خدمتنا للركاب هو أن السعودية هي الخطوط الوحيدة التي تؤمن المواصلات بين إثني عشر مطاراً في المملكة.



السعودية
الخطوط الجوية العربية السعودية

للحجز والاستعلام، جدة ٦٤٣٣٣٣٣ الرياض ٤٧٧٢٢٢٢ / ٤٧٧٣٣٣٣ الظهران ٨٦٤٢٠٠٠



الأوس



★ أسهم نارية ضخمة تطلق في الاحتفالات من قسبان الحيزران بعد مجزفتها ويحتوي الواحد منها على (٢٤) كغ من البارود ★

كثير من الأحيان بالجهل والخزعات والأباطيل . وهي مرتبطة إلى حد كبير بالعادات والتقاليد البوذية في بلاد الهند الصينية . . ويمكن للباحث أن يرجع تلك التقاليد في الأساس إلى الديانات الوثنية الثلاث : البوذية والبرهمية (الهندوسية) والأرواحية .

● طقوس الولادة ●

منذ ظهور علامات الحمل على المرأة تمتنع من تناول بعض أنواع الأطعمة مثل عسل النحل وبعض أنواع الموز والباذنجان وثمار التمر هندي . وإذا لم تلتزم الأم الحامل بهذه القائمة من المنوعات فلنأخذها تخاطر بحياتها وحياة طفلها حسب اعتقادهم . فلو أكلت عسل النحل بشهده فقد يأتى طفلها صحاباً كثير الضجة أشبه ما يكون بأسراب النحل . ولو تناولت الباذنجان لتعسرت ولادها (١١) . وعندما تحين ساعة الولادة ويأتيها المخاض ،

تقع (لاوس) Laos في جنوب شرقي آسيا وفي شبه جزيرة الهند الصينية . تحدها الصين شمالاً ، وفيتنام من الشمال والشرق ، وكمبوديا جنوباً ، ونيورما وتايلند غرباً .

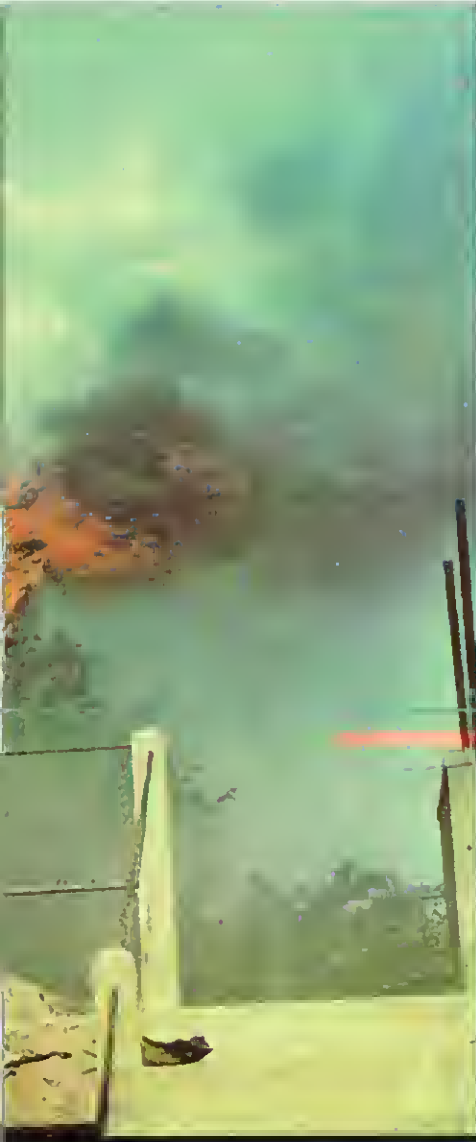
حكومة ملكية دستورية ، ولغتها الرسمية (اللاوية) Lao لها عاصمتان : العاصمة الملكية (لوانغ پرابانغ) Luang-Prabang ، والعاصمة الإدارية (فيين يسان) Vientiane ، مساحتها (٢٣٦,٨٠٠) كم^٢ ، ويقدر عدد سكانها بـ (٣,٥) ملايين نسمة يعيش ٨٥٪ منهم في الأرياف و ١٥٪ منهم في المدن ، وتبلغ الكثافة السكانية ١٣ نسمة/كم^٢ . وتدين غالبية السكان بالبوذية .

(١٩٦٠م) وأدت إلى صراع على السلطة . وقد تشكلت فيها حكومة ائتلافية سنة ١٩٦٢م .

● العادات والتقاليد ●

يمكن أن نقسم العادات والتقاليد اللاوسية إلى قسمين كبيرين يتعلق الأول منها بالحياة الشخصية مثل طقوس الولادة والزواج والوفاة ، والثاني يتعلق بحياة الناس الاجتماعية ، ويظهر ذلك في الأعياد الشعبية أو الدينية . وهذه العادات تدل على ارتباطها في

بروي أراضي (لاوس) نهر (ميكنغ) ، وتعتمد على تصدير منتجاتها الزراعية كالأرز والبن . بقيت (لاوس) تحت نفوذ (تايلند) منذ أوائل القرن التاسع عشر وحتى سنة ١٨٩٣م ، عندما احتلتها فرنسا . وقد تأسست فيها الملكية سنة ١٩٤٧م ، وانضمت للاتحاد الفرنسي سنة ١٩٥٠م ، ثم انسحبت منها القوات الأجنبية سنة ١٩٥٤م ، بعد مؤتمر جنيف . . حصلت على استقلالها في شهر كانون الأول (ديسمبر) ١٩٥٤م ، وانضمت للأمم المتحدة . وقد حدثت فيها عدة انقلابات



★ نساء من قبائل جيلية تسمى (ميار) يرتدين اللباس التقليدي ★

الطفل بتقريب قدميه من الأرض وهي تقول :
« امش فوق الأرض .. امش فوق العشب ... »
لقد خطوت على الأرض .. أنت إنسان » .

● طقوس الزواج ●

طقوس الزواج في (لاوس) طقوس بوذية
وذلك بعكس طقوس الولادة التي هي طقوس
(أرواحية) . وينص القانون اللاوسي على أن
اتفاق إرادة العروسين وأهلها ورضاعها شرط
لا بد منه لصحة الزواج . كما يشترط الإشهار
أمام الشهود حسب أعراف (لاوس) القديمة .
ومن عاداتهم الامتناع عن الزواج في
الأشهر القمرية المفردة ، فلا بد للزواج من

وتعاويز تدعي أن فيها سحراً .
وكل تلك الطقوس لا تكفي لحفظ الطفل
من أن يخطفه الجان ، فلا بد لإحدى العجائز
من أن تأتي بمنسف أو غريال كبير وتدخل إلى
بيت أهل الطفل ، وتمرر الغريال في حب النار
وهنا لا بد للجان والشياطين من أن يولوا
الأدبار (!!) عندها تقرر عيون أهل الطفل
فيضعون الطفل في الغريال ويضعون تحت فراشه
نميمة أو رقية سحرية لطرد الشر . ويقومون عادة
بتعليق قضبان من الخيزران تتدل من السقف
وعليها كتابات وطلاسم ، ويجب أن تبقى معلقة
مدة ثلاثة أسابيع على الأقل لمنع دخول الجان .
بعد ذلك تبدأ فترة الطهارة فتستحم الأم
وكذلك الطفل بماء معطر . وتقوم إحدى قريبات

فإن الحامل تتعلق بكلتا يديها بحبل طويل مثبت
في سقف الغرفة ، بينما تقوم القابلة بتدليكها
ورش جسمها بماء المعطر وهي تتمتع طلاسماً
سحرية تهدف إلى إبعاد الأرواح الشريرة من
الجان والمردة والشياطين . أما إذا لم تجد تلك
الطلاسم نفعاً فيستدعون (شيخة القابلات)
وهي لا تأتي — عادة — إلا في الملهمات ، وتقوم
هذه بقراءة (تعاويز) سحرية تسمى في لغتهم
(غوتاما سادو) تستطيع في زعمهم أن تيسر
الخاض وتدفح الأرواح الشريرة وكيدها (!!) .
وعندما يرى الطفل النور ، فأول مهمة تقوم
بها القابلة هي منع الشياطين من احتلال
جسده ، وذلك بأن تضع حول عنق الأم
والطفل خيوطاً سوداء وحمراء وهي تتمتع بأدعية

وفي مساء نفس اليوم يذهب الخاطب إلى بيت خطيبته ليحضر احتفال (المباركة) . ويقوم الرهبان البوذيون برش الماء على الخطيبين ، ثم يربطون إبهامي العروسين بحيط من القطن الأبيض رمزاً إلى الاتحاد وإتمام الزواج ويرتلون ترانيم خاصة .

وفي صباح اليوم التالي يذهب العروسان إلى المعبد ليلياكما الرهبان . ويدفع العروسان (صدقة) سخية لهم .

● الموت سعادة ●

الموت حادث سعيد في (لاوس) ؛ ذلك ما يعتقد اللاوسيون . وهكذا فإنهم يطلقون على دار الميت اسم (البيت السعيد) . ألم يصل الميت إلى حالة (النيرفانا) حيث يستطيع أن يشبع كل رغباته ؟ لذلك فمن الأفضل للأحياء أن يسهلوا للمتوفي طريق السعادة الأبدية (النيرفانا) ، إلا فإن النواح والبكاء يجعل روحه عرضة للملافة (شيطان الجحيم) ، ويذكر الرهبان الناس في تراتيلهم ووعظهم حول الجنائز بأن البكاء يجعل من روح الميت روحاً شاردة تائهة ، والغناء أفضل من البكاء لأن يوم الموت يوم فرح وسعادة للميت وأهله . وعادةً يحرق جثة الميت . ويشد عن تلك

أن يكون في شهر قري زوجي ، ولا يجوز الزواج في النصف الثاني من الشهر القمري . ويعتقدون أن أفضل شهر للزواج هو الشهر القمري السادس .

وطبقاً لعادات هؤلاء القوم يجب أن يم دفع مهرين بدلاً من مهر واحد . الأول منها يسمى في لغتهم (خاخون فيه) وهو مهر إجباري تدفعه عائلة الفتاة إلى الكهنة والرهبان في المعبد لدفع أذى الأرواح الشريرة . وتحدد قيمة هذا المهر بحسب الطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها أهل الفتاة . أما المهر الثاني ويسمى (خادونغ) فهو غير إلزامي وتدفعه عائلة الخاطب إلى عائلة الفتاة التي تم اختيارها زوجاً لابنهم .

وبعد دفع المهر يحدد يوم الفرح والزفاف . وتقوم عائلة الفتاة وقرباؤها من النساء بتزيينها لتكون في أبهى حلة وأجمل طلعة . وهنا يتوجه أفراد من عائلة (العريس) يحملون أطباقاً مختلفة الأحجام تحتوي على هدايا العرس . وطبقاً للتقاليد يجب أن يهدى إلى (العروس) خنجراً مذهباً ، وغطاء رأس من الحرير الطبيعي يبلغ ثمانية أذرع طولاً ، وثوباً من الحرير ، وملابس ذات ألوان غريبة ، وطاقات من الورد . ويبلغ عدد أطباق الهدايا مائة إلى مائتين حسب درجة ثراء (العريس) .



★ بيت إحراق الموت وقد أضرمت النار في إحدى الجثث ★

★ فرقة موسيقية تسير احتفالاً بإحراق جثة المتوفي ★



ويستمع الأهل والأصدقاء إلى وعظ كهانهم
ورهبانهم وهم يتحلقون حول جثان المتوفي .

وعادة ما تتركز خطب الرهبان على أن الجسد
لا أهمية له بعد أن فارقه الروح . ويذكرون
الناس بأن الحياة زائلة وأن الموت قدر محتوم على
كل الناس .

وأما حول أهل الميت وخارج المنزل فالمنظر
عجيب غريب . . . إنه الفرح الغامر والسعادة
القصورى . . الكل يرقص ويغني طرباً ويحضر
كل شبان وشابات القرية بينما تعزف الفرقة
الموسيقية الحاناً عذبة . وبعد انتهاء (الرهبان)
من الوعظ ينضم أهل الميت إلى الحفل الذي
آخر في انتظار يوم (الإحراق) .

ولم يعد إحراق الجثة طقوس خاصة : فأهل
الميت يرتدون البياض ويتركون شعورهم مدلاة
على أكتافهم ثم يقوم الرجال منهم بوضع النعش
على المحرق حيث تضرع فيه الثيران . ويعم الفرح
الجميع وتطلق الأسهم النارية الملونة كما لو كان
ذلك عبداً من الأعياد .

★ فرقة موسيقية كلاسيكية ★



★ سيرة الأطفال بعد الاحتفال بالعام القري الجديد ★

القاعدة أولئك الذين لفوا حنفيهم في حادث
مروع . فهؤلاء يدفنون في أسرع وقت ممكن
دون طقوس .

وتوضع على الميت وحوله علامات ورموز لها
دلالات عندهم . فمثلاً يوضع في فمه قطعة نقدية
صغيرة رمزاً على أنه لم يأخذ من أمواله أو غشاه
شيئاً سوى تلك القطعة التي لا تفيده بشيء .

وتربط حول قبضتيه ورجليه خيوط من القطن
الأبيض رمزاً على أن تعلق الإنسان بالحياة الدنيا
هو تعلق أوهى من خيوط القطن . كما أن
جسده المسجى على جذوع شجر الموز يدل على
أنه لا شيء يدوم في الحياة الدنيا .

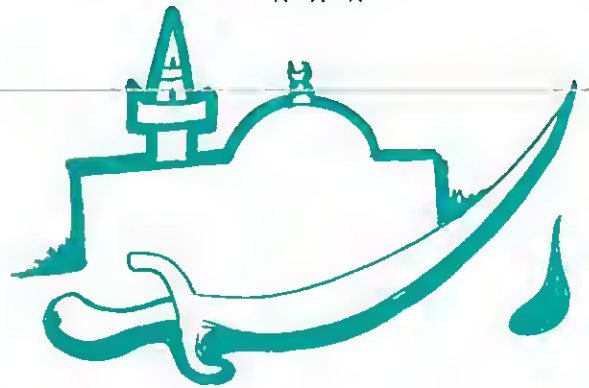


خماسيات ١٣

شعر : عثمان بن سيار

أراك يا فاتنتي وأجسه ، مظلومة في الحب أم ظالمة ؟
 ماذا لها الشعر الذي كان كالزودة ما طال المدى باسمه ؟
 أراك قد غبت عن الكون في عالم يؤس نازره جاحجه .
 قد بان في لحظك يا فتني أنك طلقت المنى الحالمة .
 فابتسمي للحب ما زال روضاً مزهراً أشداؤه فاغمة .





أتوا ليكونها حرّ المآقي وكلّ منهم يضوّ اشتياقي
 وكلّ يدّعي حبّاً ليلي ومن كفيه ليلي في اختناق
 أضاعوها وقالوا القدس ضاعت تباكوا يا دهاقنة النفاق
 لو أنّ القدس كان لها رجال لعاشت بينكم مرسى البراق
 فكفّوا من مدايعكم عليها فما يجدي البكا والسيق باق



لذّ بحبيبي يا حبيبي فهو من صدّك امنع .
 وتمنّع برحمتي الحب ما شئت تمنّع .
 وهنا الجدول يساب ، ونور السروض يسطع .
 وفؤادي لك يشدو ، وعيوني فيك تدمنع .
 فليمن اخترت التناي عن فؤاد لك مشرع ؟

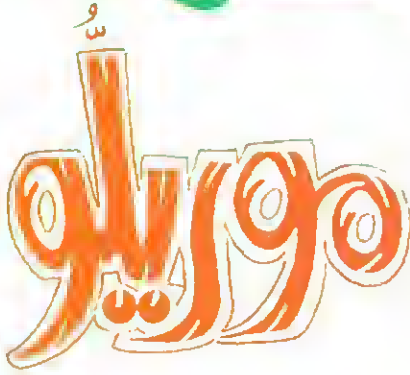


وطني أنت إذا جار الوطن سكني أنت إذا عزّ السكون
 وحياتي في يديك زهرة فتحت بعد اكتئاب وشجن
 لو دريت إذ تخطاني الزمن دون أن أقالك يا زهري فمتن
 كنت أحياء هائماً في غربي أكرع الأحزان من كف الزمن
 وتلاقينا فكنننا وطني بعد ما عذبني بعد الوطن



★ طفلان يلعبان بالزهر (لوحة بقراس ٧٠ x ٥٠,٥ سم) ★

رسام الطفولة المستردة



في عهود دولتهم الأولى ، استعان الإسبان بالفنانين الأجانب للسير مع ركب الحضارة ... إذ كانت إسبانيا في حالة حرب ، خلال القرن الرابع عشر . وعندما اقترن (فرديناند) (إليزابيلا) سنة ١٤٦٩ م ، اتحدت إماراتهما ، وشكلا دولة واحدة وبلاطاً مشتركاً . وكان فرديناند أمير مقاطعة (أرغون) كما كانت إيزابيلا أميرة على (قشتالة) .

وأخذ كلا الأميرين يدعوان الفنانين ، من مختلف البلدان ، للمجيء إلى مملكتها الحديثة ، والعمل برمجتها ورعايتها ... ونحت نفوذها وسلطانها ...

وقد جاء الفنانون ، من كل حذب وصوب ، استجابة للدعوة ... فيهم الفلمنكيون والألمان ، وفيهم الطليان واليونان ... وبدأت النهضة الفنية تورق وتزدهر وتقدم ثمرها البائع بسرعة ونشاط ...

★ مقلان باكلاان العنب والبطيخ (الوحة بقياس ٧٠ × ٤٨ سم) ★

بصلم :

محمد غالب سالم

وأقدم رسام عندهم هو الفنان بيروغيت « Berruguette » . وكان رساماً ومحامياً ومهندساً ، مارس الفن في معمل (ميكيل أنجلو) الشهير . وهذا الفنان دخل الفن الإيطالي الربوع الإسبانية .

جاء بعد هذا الفنان ، الرسام (الغريكو) الإغريقي ، وهو من مواليد جزيرة (كريت) اليونانية ، وإن كان لا يُعرف تاريخ ميلاده بالضبط ... وقد ترك اليونان ، بلده ، وتوجه نحو البندقية ، حيث درس الفن فيها ، على يد (تيتزانو) ، وقبل على يد (تنتورتو) . ثم هبط إسبانيا ، بصحبه فنه القويم وريشة الصانع الماهرة ، واستقر بمدينة (طليطلة) حتى قضى عام ١٦١٤ م ، بهذه المدينة نفسها . ولكنه بقي يحمل لقب الغريكي وإن أصبح إسبانياً أكثر من الإسبان . وقد طغى هذا اللقب على اسمه اليوناني ، العسير النطق [دومنيكو] أوتوكوبلي .

بعد موت الغريكو ، ورث أجداد الفن طفل صغير ، لا يتجاوز الربيع الخامس عشر من عمره ... وصار فيما بعد أكبر رسام للديار الإسبانية قاطبة ... وهو الفنان (فلاسكوز) . وقد ولد في (إشبيلية)^(١)



عام ١٥٩٩م، وتوفي في مدريد سنة ١٦٦٠م، وكان يحمل لقب رسام الرسامين، وأمير الفنانين، فوق ألقاب الشرف الأخرى.

وفي (إشبيلية) بلد فلاسكوز.. ولد فنان آخر سنة ١٦١٨م، وهو المقصود في مقالنا هذا... (موريلو). وقد نشأ نشأة فقيرة معدمة. إذ كان يتيمًا لا يملك من مقومات الحياة شيئاً. وقد كفله أحد أقربائه، الذي يحترف الرسم، فلقنه حب الفن. وكان موريلو يساعده في بعض أعماله البسيطة كخلط الألوان وتحضير اللوحات. ورأى (موريلو) أن يرسم بعض الرسوم الدينية الصغيرة، ويبيعها ويستعين بثمنها على سد رمقه وإعالة شقيقته الوحيدة التي كان يرعاها أيضاً...

وقد نصحه أحد أصدقائه بالسفر إلى (مدريد) العاصمة، للاطلاع في متاحفها، على آثار الأساتذة الكبار، كـ **فنان دايسك** وغيره... ولما كان لا يملك المال الكافي للرحلة البعيدة. فقد جسد في رسم مجموعة من اللوحات، باعها دفعة واحدة لأحد التجار... واستطاع بثمنها تحقيق النصيحة بالوصول إلى مدريد، حيث لقي فيها الفنان الكبير (ابن بلده) [فلاسكوز]. وتلقاه هذا بكل ترحاب واعزاز، وأعجب بأعماله وموهبته، ودعاه إلى السكن معه في دارته الكبيرة ليستريح عبير بلده الحبيب.

وانكب موريلو على نسخ أشهر اللوحات، حسب رغباته ووفق هواه واختياراته. وذلك بفضل الأذن الخاص الذي حصل عليه، بواسطة أستاذه (فلاسكوز)... كان كالفراشة يرشف رحيق الزهور: من كل زهرة يسانة شائقة... مرة من أعمال (تيتزانو) ومرة من آثار (روبنس) ومرة من لوحات (فان دايك) وهكذا...

وبعد أن أقام في مدريد ثلاث سنوات رجع إلى بلده... وبقي فيها زمناً ليس بالقصير، بلا عمل ولا شغل، منزويًا مغموراً، خاملاً، لا يتصل به أحد، ولا يعرض عليه أي إنسان أي عمل أو طلب.

شهرة .. بعد انطواء

خلال هذه الفترة من حياته الحاملة... فكر رهبان (إشبيلية) بتزويق إحدى بيعهم برسوم جدارية... وكانوا يفكرون بدعوة أحد كبار الفنانين، ممن يشار إليهم بالبنان لتحقيق هذا العمل... ولكن لقلّة ما لديهم من مال... خاطروا بالاتفاق مع (موريلو) المهمل النسي ليقوم بإنجاز هذا العمل الكبير.

وقام موريلو بالمهمة أحسن قيام، إذ أنجز إحدى عشرة لوحة جدارية رجة... وقد وثّق بها كثيراً. ونالت إعجاب هؤلاء الرهبان أنفسهم، وهم الذين شككوا قبلاً في قدرته وكفاءته. كما أن هذه الأعمال نالت تقدير وإكبار كل من رآها!!... حتى أصبحت هذه البيعة من أجل الآثار زينة وتزييناً إلى يومنا هذا.

كان لنجاحه الكبير دوي هائل في عالم الفن وعالم الزخرفة؛ وانهارت عليه (طلبات) العمل من كل مكان... وأضحى عاجزاً عن تأمينها كلها، أو تحقيقها في موعدها المحدد... ثم طلب إليه تزوين بيعة أخرى! وقد فاق بعمله الجديد ما حققه من عمله الأول... وكان هو نفسه معجباً بإحدى لوحاته الجديدة والمسا: (إحسان سان طوماس).

والآن تدفق عليه الحظ من كل جانب، وكان النجاح ييسر له أينما توجه... وكان إنتاجه بحق، في الذروة من عالم الفن الساحر الأخاذ.

فنان الفقراء والمساكين

أما رسومه للأطفال والطفولة، فحدث عنها ولا حرج، فقد توصل بها إلى جميع مقومات الإبداع والتفوق... أطفاله ينطقون، فقراء مشردون، تعصرهم الفاقة ويصرهم العوز، بأسمال بالية خلقة وأحذية ممزقة ذرية، يتسكعون في الشوارع القذرة ويهيمون بالألذقة المترية بين أترابهم ولذاتهم يلعبون بين الأوساخ ويتسلون بين الخرائب والأحجار.

كان النجاح المضطرب عاملاً له للأخذ بيده نحو الشهرة والمجد والثراء والغنى... ومع

هذا... فكان يعد نفسه الفنان الفقير... أو فنان الفقراء والمساكين... والمحرومين والمعدمين... إذ كان يتفق كل ما يجمعه من مال على هؤلاء الفقراء ويعطيه لجميع فقراء حيّه وأبناء طبقته ممن أناخ عليهم الدهر بكلّ كلفة وأذاقهم مر الحرمان... وكان فقره السابق وعوزه وفاقته هي التي دفعته إلى هذه العواطف النبيلة وهذا الحب الصادق الجياش... اهتمام بالفقراء والمساكين وذوي الحاجة، وتقديم جميع ما يملكه لهم، ليقيم عادية الزمن ويدفع عنهم غول الفاقة المفرغ الخيف... وكان هو نفسه قد قاسى الأمرين للوصول إلى لفمة العيش كما قلنا.

لوحاته

صحبة مقالنا هذا نجد نسخة لإحدى لوحاته الشهيرات، وهي المسماة: «طفلان يأكلان العنب والبطيخ». وتعد هذه اللوحة من أرق وأدق وأصدق لوحاته الهادفة، وأعماقها تعبيراً وتمثيلاً... فقر مدقع وحاجة ساحقة... وطفولة مشردة مهملة... تتلهى وتلعب في الشوارع، بين الخرائب والاطلال... التراب باطها والغبار والأحجار مقاعدها ومناضدها... أما الألبسة فهي الصورة المجسمة للتعاسة والشقاء، والتمثال الحقيقي لما كان عليه واقع هؤلاء المساكين... أطفال في عمر السرود وهم مشردون منبوذون... محرومون من العطف والحنان والأمان...

أما اللوحة الثانية، فتمثل أطفالاً يلعبون بالزهر، وهي بحق كالشريط السينائي المجسم يعطينا فكرة صادقة عن الحالة التي كانت عليها هذه البلاد، أثناء حياة فناننا، وهو قد نقل ما كان يشاهده بصدق وإخلاص وبراعة: فقر وعيث وإهمال وفاقه، وازدراء هؤلاء الذين سيكونون رجال المستقبل...



كان موريلو يمثل في لوحاته سمو الروح ونبيل العاطفة، ورقة الإحساس ولطافة التعبير،

والرسام زيوكسيس هو يوناني ... عاش في
النصف الثاني من القرن الخامس قبل الميلاد ،
ويعد من أشهر الرسامين في العصور
الغابرة ...



مقومات الفن الكامل ... في الإشراق والصدق
والطراوة . وللطافة والإحساس السامي ...
مثل الروح برفعتا وصفائها ، وكان الإخراج في
منتهى الروعة والدقة والعلاء .

أما الألوان والتخطيط ... فقد برع
فيهما وتوصل إلى ما يريد من تورية وإضمار ...
روح حساسة ونفس شاعرة وبد ماهرة ...
وإنتاج غزير وفير ... وساحر خلاب ...

وكيال الفكرة وصفاء الشعور ... كما كان
أحياناً أخرى يمثل الواقع الحي الملموس والحياة
المتدفقة النابضة ... لمن حوله من الناس ...
بآلامهم وأحزانهم وفقرهم وتعاستهم ، بدون
بهرجة ولا تحميل ولا تطرية ولا تزويق ...
الحياة التي يحياها هو معهم ... أو الحياة التي
عاشها في السابق ، والتي لا تزال تختبئ في كيانه
أعمق الأثر وأقصى الذكريات والصور
والعبر ...

وتروى هذه القصة عن إحدى لوحاته :
فقد رسم لوحة لشخص ، ووضع بجانبه صورة
لكلب إسباني معروف ، وتقول القصة : إن أحد
الكلاب الحقيقيين ، حيناً رأى هذه اللوحة ،
هجم عليها وهو ينبح على الكلب المرسوم
فيها . . . اعتقاداً منه بأنه أحد كلاب فصيلته
جاء ليشاركه مكانته ، ومنزلته .

كانت هذه الأحاسيس والأفكار تتعاوره في أعماله : في بعضها مثل سمو الروح والخيال المجنح البعيد ، وفي بعضها الآخر الواقع المحسوس والمادي الملموس ... أطفالا متسربلين بالأسمال الممزقة والأطمار الخلقة ، التي أكل عليها الدهر وشرب ، حفاة أحيانا ، وأحيانا بأحذية ليس فيها من صفات الخذاء شيء ، أصابعهم نائفة بارزة وأخامص أقدامهم مكشوفة .. أما الصور الأخرى فكانت رائعة حقاً . لقد بلغ الذروة في تمثيل الطفولة المعذبة ووصل إلى الغاية المثلى فيما رسم وفيما مثل .

لقد أعطت ولادة (موريلو) ، بحق ، كل

المحو أمش

(١) أطلق العرب عليها اسم حمص - (معجم البلدان).

Paul Buhré

بول بورييه

من كبار صانعي الساعات في العالم منذ عام ١٨١٥ م.



محسن
MOHSEN

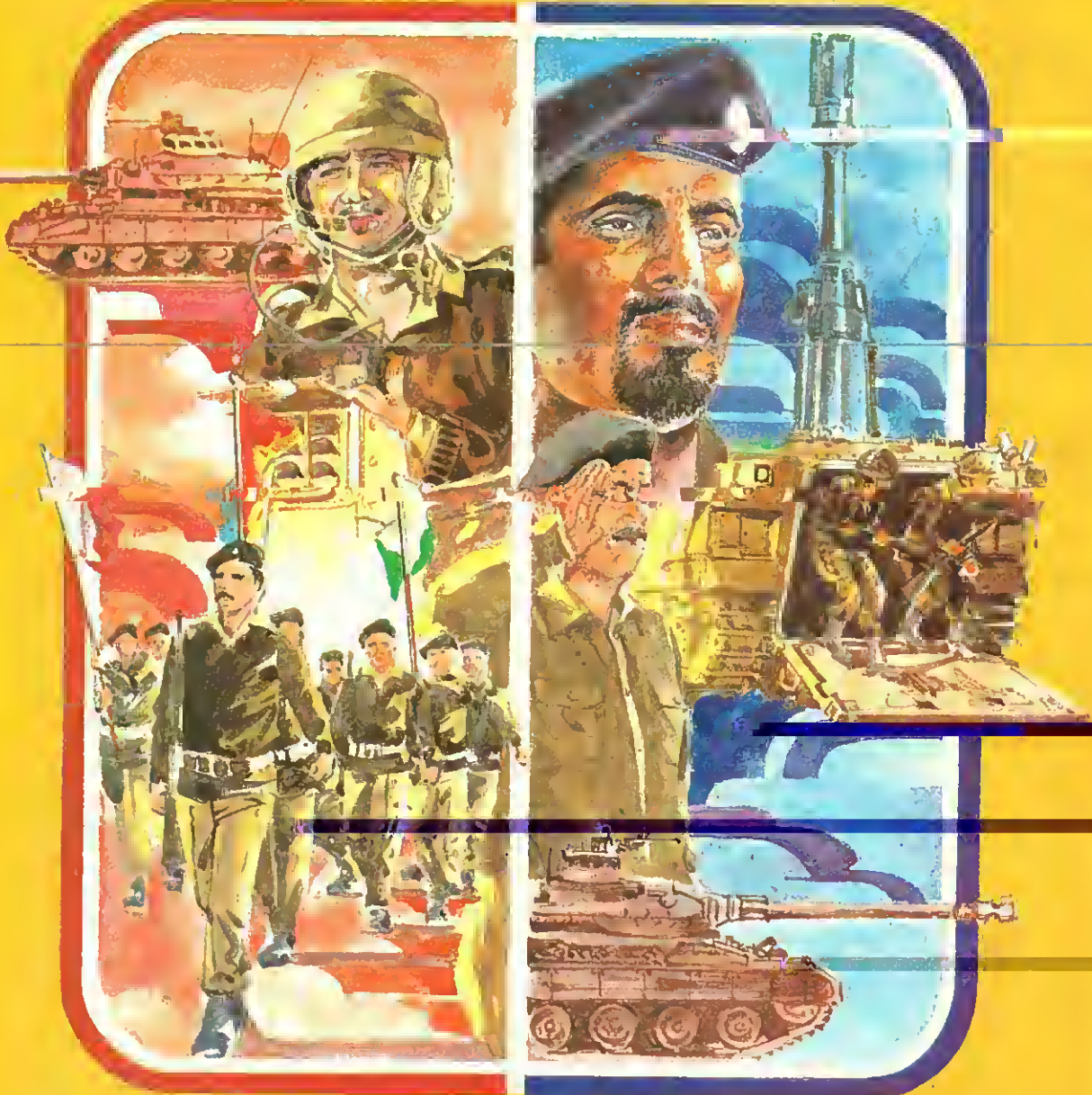
المركز الرئيسي : جدة ، شارع المطار وشارع الأشراف صوب : ٣٤٩٨
الرياض : شارع الملك عبدالعزيز وشارع الناصرية
الخبر : شارع ٢٨ وطلوع هنته
المدينة : شارع المشيادية وشارع الملك عبدالعزيز





سلاح المدرعات

بالجيش العربي السعودي



في الحرب السوداء وفي السلم تدوة
فسيارح للإلتحاق بصفوفه

ولزيد من المعلومات اتصلوا :

ت : ٤٠٤٢٨٨٢ / ٥٨٢ أو ٤٠٣٠٠٩٣ - الرياض



رياح الشمس



★ حركة ذيل المذنب أثناء الدوران حول الشمس ★

من المعروف أن الشمس كرة من الغازات الملتببة ، تشع في الفضاء المحيط بها كميات هائلة من الطاقة . وهي مصدر الضوء والحرارة الرئيسي لجميع كواكب المجموعة الشمسية بما فيها الأرض التي نعيش عليها .

ضوء الشمس الذهبي هو الذي ساعد النباتات والأشجار على النمو ، دفن بعضها منذ ملايين السنين ليتحول إلى فحم وغاز ونقط ، هي أهم مصادر الطاقة في العصر الحديث .

الحياة على الأرض مدبنة باستمرارها — بالدرجة الأولى — «لاستقرار» درجة الحرارة على سطحها . ولكن هذا لن يم إلا إذا حافظت الشمس على كمية الطاقة التي تمد الأرض بها دون زيادة أو نقصان .

ولكن كيف نعرف ماذا يجري بداخل الشمس ، رغم أنه يستحيل علينا «النظر» إلى داخلها ، ورؤيتنا لا تتجاوز سطحها ؟ تمكن العلماء من معرفة ما يجري في الشمس بدقة كبيرة بفضل استخدام «الحاسب الإلكتروني» فكيف يم ذلك ؟

بعض خواص الشمس سهل القياس . فبعد الشمس الوسطي عن الأرض يبلغ بالضبط (١٤٩,٥٦٥,٨٠٠) كيلومتر ، ووزنها يعادل (٣٣٠,٠٠٠) مرة من وزن الأرض ، وحجمها يعادل (١,٣٠٠,٠٠٠) من الأرض ، وكل سنتيمتر مربع من سطحها يشع في كل ثانية طاقة قدرها ١٥٠٠ حريرة . كما تبين أن الشمس تحتوي معظم العناصر الكيميائية الموجودة في الأرض لكن معظمها مؤلف من غاز الهيدروجين (٧٠ — ٨٠ بالمائة) يليه غاز الهيليوم .

استناداً إلى هذه المشاهدات قام العلماء «بتخمين» ما يجري ضمن الشمس استناداً إلى «النموذج» الذي وضعوه . ثم أجروا حسابات شديدة التعقيد . وفي الختام يقارنون نتائج الحساب — عن كمية الطاقة المصدرة مثلاً — مع المشاهدات المذكورة . فإن حصل التوافق ، كان النموذج صحيحاً ، وإلا وجب تعديل النموذج ، وإجراء الحسابات من جديد . لكن هذه الطريقة تتطلب توظيف عدد هائل جداً من العلماء فترة تزيد عن عشرين سنة على الأقل . لذا كلف الحاسب الإلكتروني بإجرائها . وقد نجح فعلاً .

وللحاسب الإلكتروني يعود الفضل الأول في معرفتنا بما يجري «داخل» الشمس ، وهي مختلفة جداً عن الأوضاع التي اعتدنا عليها على الأرض . يصل ضغط الغازات في مركز الشمس إلى (٢٠٠) مليار طن على السنتيمتر المربع ، وتصل درجة الحرارة إلى (١٥) مليون درجة . ولكي نتصور هذه الحرارة فقد حسب الفلكي الإنكليزي جيمس جينز أن أخذ قطعة من مركز الشمس بحجم رأس الدبوس قادرة على

في الأعوام القليلة الماضية كثر المعترضون على استقرار الشمس الذي تبناه العلماء فترة طويلة من الزمن . فهم متفقون على أن الشمس تتعرض لتغيرات عميقة ، وأنها أبعد ما تكون عن الثبات ، وأن الأرض لا بد أن تتعرض نتيجة لذلك إلى تحولات عنيفة ربما تنقلب إلى كارثة .

هل صحيح أننا مقبلون على عصر تنقلب فيه أرضنا اليافعة إلى كرة من الثلج ؟ أو تصبح قديراً هائلاً تغلي فيه المحيطات ؟

ماذا يجري على الشمس ؟

بدأ تاريخ الشمس — كما نعرف — قبل حوالي ٦ — ٨ مليارات سنة . ولدت الشمس آنذاك من سحابة رقيقة جداً من الهيدروجين والغبار ، أكبر من حجم المجموعة الشمسية بمئات المرات . بدأت هذه السحابة بالانكماش على نفسها ، فصغر حجمها ، وبدأت تدور حول نفسها بسرعة كبيرة .

وبمرور الزمن تولدت في مركز هذه الكرة ظروف غير اعتيادية من درجة الحرارة العالية والضغط المرتفع ، كانت كافية لدمج نوى الهيدروجين الموجودة في نواة الكرة الكثيفة ، مطلقة أثناء ذلك كميات هائلة من الطاقة .

وهنا وقعت الشمس تحت تأثير قوتين متعاكستين : قوة جذب المركز ، التي تسعى إلى استمرار الانكماش من جهة ، والطاقة الهائلة الناجمة عن اندماج الذرات من جهة أخرى ، التي سعت إلى جعل الغازات في الشمس تتمدد . ظلت هاتان القوتان تتصارعان حتى «استقرت» الشمس على وضعها الذي نشاهده الآن ، منذ حوالي ٤ مليارات سنة ، ولولا ذلك لما استمرت الحياة على الأرض ، كما أنها ستحافظ على ثباتها مدة ٤ مليارات سنة أخرى بمشيئة الله .

رحلته من سطح الشمس إلى الأرض إلا حوالي ٨ دقائق . فما نراه الآن من طاقة الشمس ولد أثناء العصر الحجري على الأرض . ولدت هذه الطاقة عنيفة قاسية ، لكن اختراق الحجب الكثيرة حد من عنفوانها ، بحيث جعلها تصل بشكل حرارة وضوء وهذه هي التي تحتاجها الحياة على الأرض .

بقام : المهندس . سمير صلدح الدين شعبان

ماذا عن سطح الشمس ؟

ساعد المنظار الفلكي الإنسان على مد نظره إلى أعماق بعيدة في الفضاء . لكنه محدود الاستخدام لمراقبة الشمس ، بسبب نورها الشديد . لذا يتحين الفلكيون فرص كسوف الشمس ، كي يراقبوا ما يجري على سطحها ، عند اختفاء ضوءها وراء القمر . ومع ذلك استخدم غاليليو منظاره الفلكي في مراقبة الشمس في الأيام الغائمة وقليل الغروب ، ليشاهد « بقع الشمس » التي تكثر في السنوات التي يزداد فيها نشاط الشمس . وقد لوحظ أن هذه البقع تكثر



★ طبقات الشمس الخارجية ★



قتل شخص - على الأرض - يبعد عنها (١٥٠) كيلومتراً!!

هذه الحرارة العالية قادرة على « دمج » نوى الهيدروجين إلى هليوم وإطلاق كميات هائلة من الطاقة تفوق حدود التصور . ويحدث ذلك في مركز الشمس الذي يبلغ قطره (٣٥٠,٠٠٠) كم (وهذا يعادل تقريباً المسافة الفاصلة بين الأرض والقمر) .

في مركز الشمس تتحد أربع من نوى الهيدروجين لتشكيل نواة هليوم واحدة . لكن نواة الهليوم أخف من ٤ نوى هيدروجين . هذا الفرق في الكتلة يتحول إلى طاقة . وتبين عظمة الشمس إذا علمنا أنها تحول في كل ثانية ٦٥٧ مليون طن من الهيدروجين إلى ٦٥٢,٥ مليون طن من الهليوم منذ ٥ مليارات سنة . أي أنها تحول في كل ثانية ٤,٥ ملايين طن من المادة إلى طاقة تصدرها إلى الفضاء المحيط بها .

دلت الحسابات أن كمية الطاقة التي تصدرها الشمس في « ثانية » واحدة ، تزيد عن مجموع الطاقة التي استهلكها الإنسان منذ « فجر التاريخ » حتى الآن !! وأن حرق « جميع » احتياطيات الوقود في العالم من فحم ، وبنزين ، وغاز تمتصه الأرض من الشمس خلال « ٣ أيام » فقط !! ورغم ذلك فمركز الشمس يطبق عليه الظلام الدامس !! لأن الشمس تصدر طاقتها محمولة على إشعاعات نعجز عن رؤيتها مثل الأشعة السينية ، وأشعة غاما ، التي لو أصابت الإنسان تقتله على الفور . لكن من رافة الله بنا أن الشمس « تمتع » هذه الإشعاعات من الوصول إلينا أثناء مرورها على طبقات الشمس الأخرى . ويبلغ طول طريقها من المركز إلى السطح الخارجي للشمس (٦٠٠,٠٠٠) كم . وهكذا لا يصل إلى الأرض إلا ما تحتاجه فعلاً : الحرارة والنور . ولكن كم تستغرق رحلة الطاقة « الوليدة » من المركز إلى السطح ؟

دلت الحسابات الدقيقة أن ما نشاهده على سطح الشمس استغرق (٢٠,٠٠٠) سنة !! من المركز إلى السطح ، لكنه لا يستغرق خلال

بشكل ملحوظ مرة كل ١١ سنة . وفي هذه البقع تكون درجة الحرارة أبرد - نسبياً - عن باقي سطح الشمس .

المراقبة المتوالية للشمس أثناء الكسوف بينت أن الشمس تنفث السنة من اللهب تشكل أحياناً قوساً مضيئاً يتجاوز طوله عدة مئات آلاف الكيلومترات ، كما تحيط بالشمس « هالة مضيئة » (CORONA) تختلف سماكتها حسب نشاط الشمس .

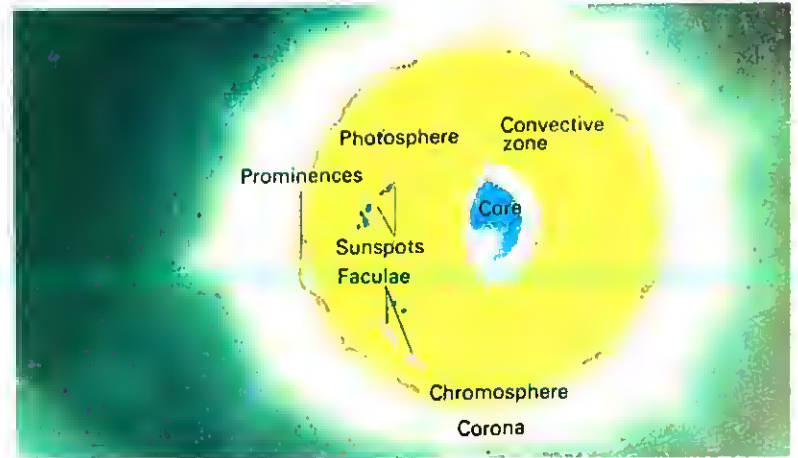
لكن السؤال الذي حير الفلكيين هو : ما دامت الشمس تطلق كل هذه الإشعاعات ، ألا تصدر أيضاً قسماً من الإلكترونات والنوى (الجسيمات) الموجودة بداخلها ؟

المذنبات

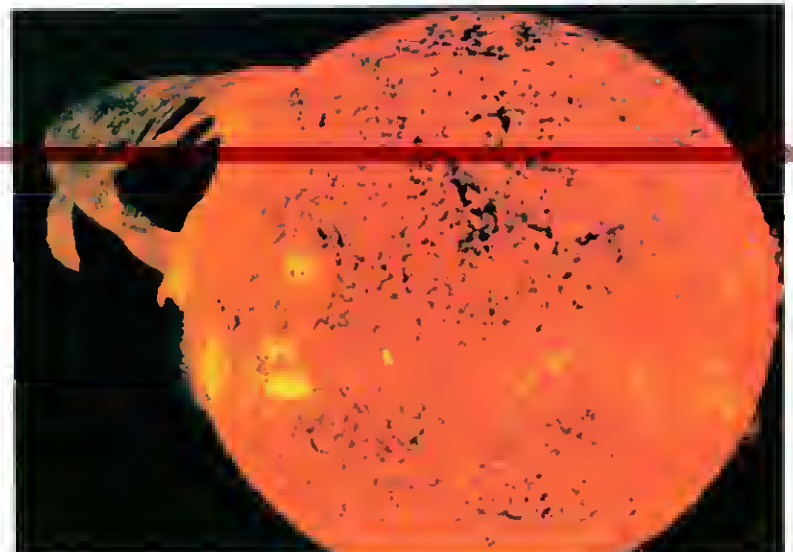
كان هذا التساؤل يثور كلما اقترب أحد المذنبات النابضة لأسرتنا الشمسية من الأرض .

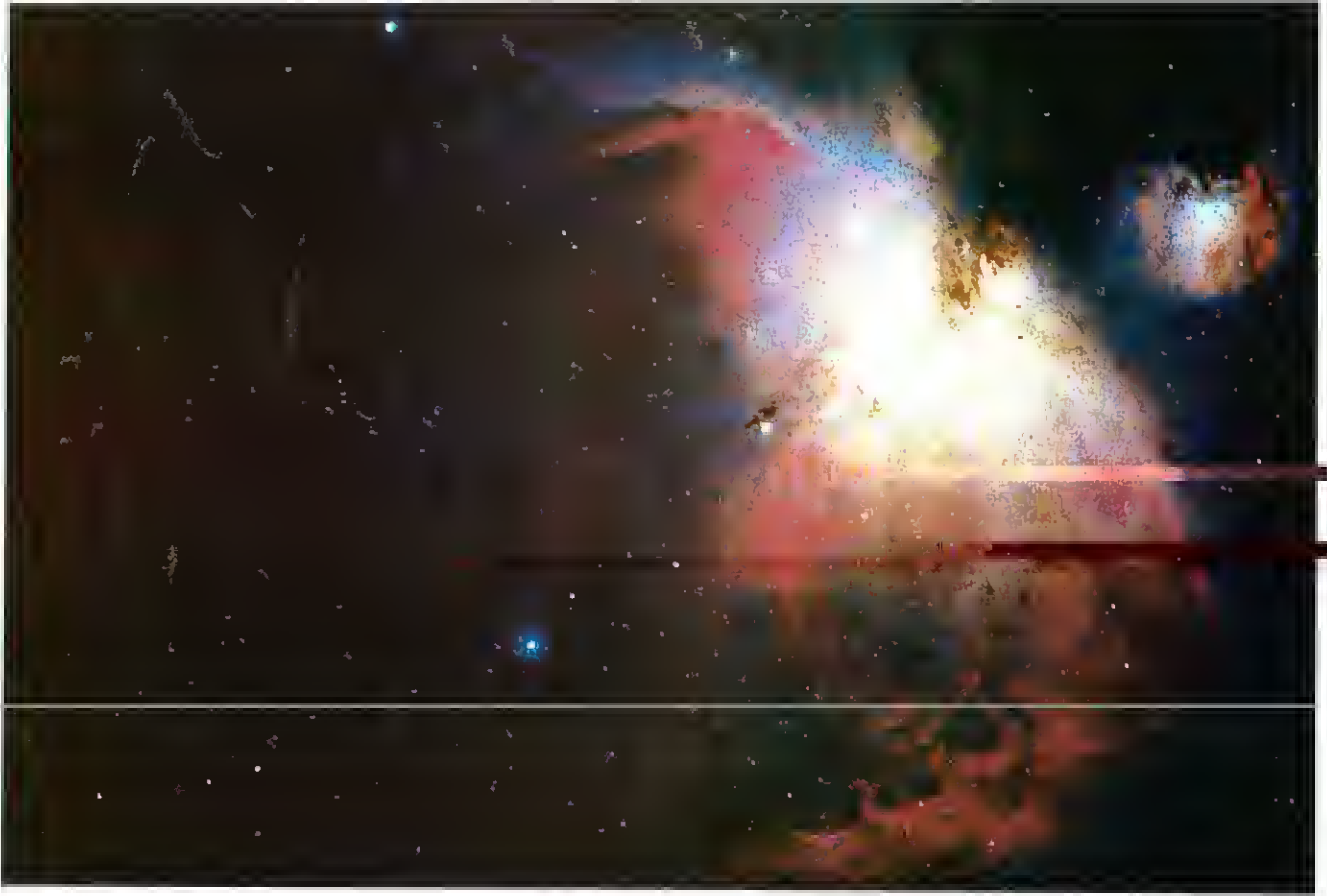
كان ظهور المذنبات وشكلها الغريب مدعاة قلق الأقدمين ودليل شؤم . لكنها في حقيقة الأمر أجرام سماوية باردة صغيرة نسبياً يتراوح قطرها بين عدة مئات وعدة آلاف الكيلومترات ، تدور حول الشمس

★ مقطع في الشمس ★



★ السنة من الجسيمات تنطلق من الشمس ★





تضارب آراء العلماء هو الذي دفعهم في العقود القليلة الماضية إلى البحث عن دليل جديد يقطعون به الشك باليقين .

الأنوار القطبية

شاهد كثير من بحارة المناطق القطبية أضواء جميلة تشبه الأسهم النارية التي تطلق في الاحتفالات الحديثة . تظهر هذه الأضواء في جو الأرض على ارتفاع يزيد عن ٨٠ كم فوق كل من القطبين الشمالي والجنوبي . ظن العلماء أن الأمر يرتبط بمغناطيسية الأرض القوية عند القطب الشمالي . وربما وجدت في الجو جسيمات ذات شحنة كهربائية تتبادل التأثير مع المغناطيس القوي مما يؤدي إلى إصدار الضوء . وقد تأكد بعض العلماء أن هذه الجسيمات مصدرها الشمس ، عندما شاهدوا أن الأنوار القطبية تكون أكثر إنارة عندما يكون النشاط الشمسي قد ازداد قبل عدة أيام . وقد دلتهم كثرة بقع الشمس الفجائية على زيادة نشاط الشمس .

ومنذ عام ١٨٩٦ م ، وضع الفيزيائي النرويجي بيركلاند نظرية يفسر فيها الأنوار القطبية على أنها ناتجة عن إصدار الشمس « إشعاعات جسيمية » مشحونة تشابه « الرياح » . لكن سوية العلوم في ذلك الحين لم تسمح بتأييد النظرية أو دحضها . لذا بقيت حبراً على ورق . . حتى حين .

لم تتغير الأوضاع إلا بعد مرور ٦٠ سنة ، عندما بدأت الأقمار الصناعية بدراسة جو الأرض عن كثب . وقد بدأت هذه الدراسات في

بمدارات كبيرة جداً . ويستغرق بعضها عدة آلاف من السنين حتى يتم دورة واحدة فقط حول الشمس . ويتعد بعضها عن الشمس مسافة تقدر بـ ٣ سنوات ضوئية ، ورغم ذلك تخضع لقوة جذب الشمس .

وحيث إن هذه الأجرام باردة ، لذا تبقى محتجبة عن الأنظار حتى تقترب من الشمس ، فتبرز فجأة بمظهرها المميز الذي أخاف الأقدمين . تقوم الشمس بتسخين المذنب فتحرر بعض الغازات الموجودة فيه (مثل الأوزون وأول أكسيد الكربون) ، فتنتطلق مبتعدة عنه بسرعة تصل إلى ألف كيلومتر في الثانية . ثم ما تلبث أن تبدأ بإصدار النور تحت تأثير أشعة الشمس . وهذه الطريقة العجيبة ينشأ « ذنب » هذا الجسم السماوي ، الذي يشاهد فقط عندما يقترب المذنب من الشمس ، والذي يبلغ طوله أحياناً ١٠٠ – ٢٠٠ مليون كيلومتر .

لكن ما لفت نظر العلماء كذلك أن « الذنب » كان يتجه دوماً مبتعداً عن الشمس ، وكأنه يريد أن يهرب منها (انظر الشكل) . عندما يقترب المذنب من الشمس فإنه يحرق ذيله وراءه . ولكن ما إن يبدأ بالابتعاد عن الشمس ، حتى نراه وكأنه « يدفع » ذيله أمامه .

كانت هذه المشاهدة – منذ القدم – مدعاة لافتراض وجود « قوة ما » تصدر عن الشمس ، تدفع ذيل المذنب بعيداً عنها . فسر بعضهم هذا الدفع بأنه ناتج عن تدفق نور الشمس الذي يقوم بإبعاد هذا الذيل « الخفيف » . وقد كان ذلك تفسيراً مقبولاً ، لولا أن علماء آخرين ادعوا أن الدفع يتم بواسطة « جسيمات ذرية مشحونة » مثل الإلكترونات والبروتونات .

وبالفعل نُحِّل قمر اكسبلورر (٣) مثل هذا الجهاز . وقد أعلن الجهاز عن بدء منطقة تعج بالجسيمات المشحونة والإشعاعات المميتة على ارتفاع ١٠٠٠ متر من سطح الأرض . وقد دلت الدراسات التي أجرتها الأقمار الصناعية التالية أن الجسيمات المشحونة والإشعاعات كانت تشكل

« حزاماً » يحيط بالأرض تقريباً ، عند خط الاستواء ، وأن أقصى الإشعاعات كانت موجودة على ارتفاع حوالي (٥,٠٠٠) كم . وبعد هذا الارتفاع انخفضت شدة الإشعاع ، لترتفع مرة أخرى على ارتفاع كبير يقدر

بـ (٢٠,٠٠٠) كم . لكن هذا الحزام عريض جداً ويكاد يحيط بالأرض من جميع أطرافها ، باستثناء « فجوتين » موجودتين فوق القطبين الشمالي والجنوبي . وتحمل هذه « الأحزمة » اسم العالم الذي اقترح دراستها بالأقمار الصناعية وهو فان ألين (انظر الشكل) .

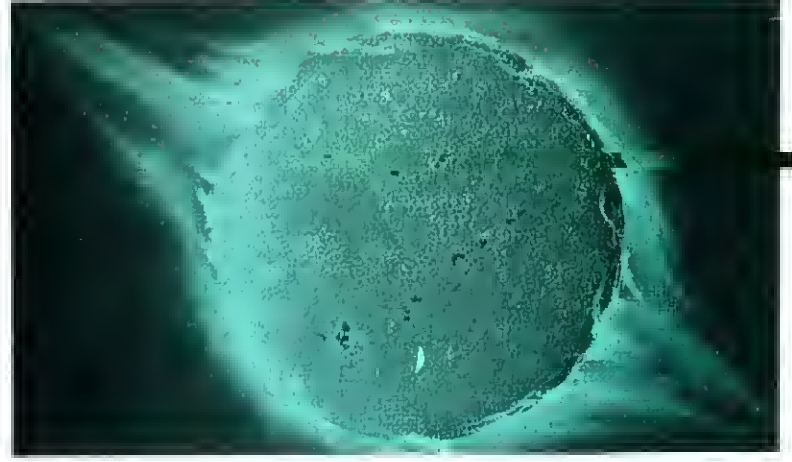
حطم اكتشاف هذه الأحزمة النظرة السابقة إلى « القراخ » الذي يفصل الأجرام السماوية ، الذي كان يعتقد أنه « خال » تماماً . وقد دلت الدراسة الدقيقة أن الحزام الخارجي — الكبير — يتكون من جسيمات مشحونة بكهرباء سالبة هي الإلكترونات ، بينما يتكون الداخلي — الصغير — من البروتونات الموجبة بالإضافة إلى بعض نوى الهليوم .

من أين أتت هذه الجسيمات المشحونة التي تتحرك فوق رؤوسنا بسرعات كبيرة ؟ المصدر الوحيد الذي يمكن أن نتصوره هو الشمس . والتي على عاتق الأقمار الصناعية أن تثبت أن هذه الجسيمات انتقلت إلينا من الشمس من ناحية ، وأن تثبت من ناحية أخرى أن هذه الجسيمات تولدت ضمن الشمس ، ولم تأت إلى سماء الأرض من مصادر أخرى . وقد أثبتت المركبات الفضائية ، وعلى رأسها مركبات لونيكا (١) ولونيكا (٢) السوفياتية ، مارينر (٢) و اكسبلورر (١٠) الأميركية ، أن « ريح الشمس » الذي تحدث عنه الفيزيائيون مراراً وتكراراً موجود فعلاً .

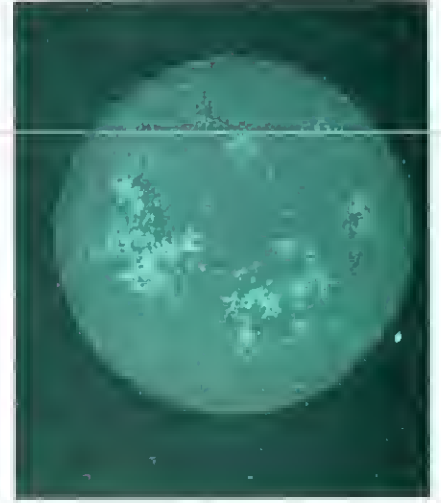
وهكذا توصل العلماء إلى صورة إجمالية : فالشمس لا تصدر إشعاعات حرارية وضوئية فحسب ، بل تطلق جسيمات مشحونة وأخرى غير مشحونة في جميع الاتجاهات . وقد بينت القياسات التي أجرتها المركبات الفضائية أن الشمس تفقد في الثانية ما يزيد عن مليون طن بشكل جسيمات .

الرياح المكونة من هذه الجسيمات المادية السريعة قادرة طبعاً على دفع ذيل المذنب بعيداً عن الشمس .

ورغم أن هذه الرياح « رقيقة » غير قادرة على إحداث أضرار واضحة على الأرض ، لكنها تمكنت من « العصف » بنظريات الفلكيين عن « نبات » الشمس واستقرارها . فكيف تسنى لها ذلك ؟ هذا ما سنستعرضه في حديث آخر ، إن شاء الله .



★ يقع الشمس والسحب ★



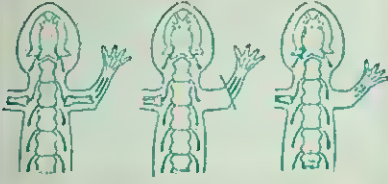
★ صورة للشمس التقطها مطاف الصو ★

نالت قمر صناعي يطلق من الأرض . فبعد إطلاق قمر سبوتنيك (١) وسبوتنيك (٢) السوفياتيين ، تم إطلاق القمر الأميركي الأول اكسبلورر (١) وفيه عداد لتحديد كمية الجسيمات المشحونة في جو الأرض ، لا يدري أحد كيف وافقت لجنة الفضاء الأميركية على حمله على القمر الصناعي الذي لم يتجاوز وزن تجهيزاته الإجمالي

١٣,٩ كغ ، وكان كل جهاز يستغرق ساعات طويلة من المناقشة لبيان إمكانية حمله على ظهر القمر الصناعي . لكن في موعد الإطلاق في الأول من شباط (فبراير) ١٩٥٨ م ، كان عداد الشحنات يحوم حول الأرض محولاً مُقْتَرَحَه (فان ألين Van Allen) من شخص مغمور إلى عالم مشهور .

ظل الجهاز يعمل بصورة اعتيادية . وفجأة — على ارتفاع ألف متر — توقف الجهاز عن إرسال أية معلومات وكأنه قد تعطل . وهنا لمعت في ذهن فان ألين فكرة رائعة ، فربما حمل الجهاز فوق الطاقة التي أعد لها ، لذا لا بد من إرسال جهاز أكبر قادر على إحصاء عدد أكبر من الجسيمات المشحونة .

★ رسم توضيحي لحيوان السمندل ، وفيه ترى هيكله العظمي ، ثم بترت ذراعه ، فتمت ذراع جديدة يهيكلها .. لماذا يعني ذلك ؟ .. راجع المقال لمزيد من التفاصيل ★



التجدد سمة من سمات الحياة .. أو هو شريعة أو سَنة من سنن الله !
فاخلوقات جميعاً تجدد نفسها ، ليصبح الاستمرار صفة الأنواع لا الأفراد .. فالفرد زائل ، لكن النوع باق !

ونحن نلاحظ ذلك في الإنسان والنبات والحيوان .. فنحن نولد وننمو ونهرم ونموت ، ومع ذلك نرى الحياة مستمرة ، لأن الجديد يعوض القديم ، وهكذا تروح أجيال ، وعلى أنقاضها تحيي أجيال أخرى أكثر تجددًا وحيوية ونشاطاً ، ثم تحبوا فيها شعلة الحياة بمرور الزمن ، فتخلفها ذرية من وراء ذرية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

ناموس كونيًا جوهرة التجدد

بقلم : د. عبد المحسن صالح

يموت ، ولا يستطيع مطلقاً أن يعوض النصف المبتور ، ويكمله بنصف آخر ليصبح فأراً سوياً ، لكن بعض الكائنات البسيطة تفعل ذلك ، حتى ولو قطعناها إرثاً إرثاً !

خلايا الإنسان وعملية التعويض

لكن التعويض أو التجديد يتخذ في أجسامنا نغمة أخرى .. فجسم الإنسان يتكون من مائة مليون مليون خلية (١٠٠ تريليون) .. لكن بعض هذه الخلايا لا تعمر في داخلنا نفس السنين التي نعيشها ، بل تموت كل يوم عشرات ومئات الملايين ، ولو استمرت هذه العملية دون تجديد أو تعويض ، فقل على حياتنا السلام !

ولكي نوضح ، دعنا نتعرض للدم ، أو ذلك ينبوع المتدفق بالحياة ، الذي يزخر بمكونات لا نستطيع لها حصراً .. صحيح أننا نراه بعيوننا كسائل أحمر ، لكن العين لا ترى الحقيقة كاملة ، إذ لو رأينا كما يراها الميكروسكوب مثلاً ، لتطلعنا إلى عوالم غريبة أشد الغرابة ، ولاكتشفنا في الدم جيوشاً ضخمة من خلاياها رسالتها في الحياة ، والحديث في هذا الموضوع قد يتشعب ويطول ، وليس له هنا مجال ، لكن يكفي أن نقول إن عدد خلايا الدم الحمراء (كرات الدم) في الإنسان البالغ تصل في المتوسط إلى حوالي ٢٠ مليون مليون خلية ، إلا أن هذه الخلايا لا تعمر لأكثر من أربعة أشهر لا غير ، أي أن ما يموت منها في كل ثانية تمر من أعمارنا يصل إلى ٢٠ مليون خلية ، ومع ذلك قاتلحياة بنسا تسير ، بفضل التجدد والتعويض ، أي أن ما يموت يعوض باستمرار ،

وكما يتجدد النوع من خلال التزاوج بين الأفراد ، كذلك يجدد الجسم ذاته ، ويعوض ما يفقد من خلاياه وأنسجته ، لكن التجدد أو التعويض هنا محدود بزمان ، إذ لو استمر بمعدله الذي بدأ به الجسم حياته ، لاستمر الشباب هادراً قوياً في داخل أجسامنا وأجسام الحيوان ، لكن ذلك لم يكن مقدراً منذ أن بدأ الله الخلق على الأرض .. ﴿ نحن قدرنا بينكم الموت وما نحن بمسبوقين ﴾ (سورة الواقعة ، الآية ٦٠) .. ﴿ كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون ﴾ (سورة العنكبوت ، الآية ٥٧) .. وفي الموت حكمة كبرى ، إذ لولاه لما كان للحياة معنى ، ولأصبح كل شيء راكداً أسناً .. أي لا تغير فيه ولا تجدد ، لكن ذلك موضوع آخر ، ولنعُد إلى أنفسنا ، لنعرف كيف تعوض أجسامنا ما يفقد منها ، حتى يمكن أن تستمر حياتنا كما يشاء الله لها .

لكن قبل أن نبدأ موضوعنا ، كان لزاماً علينا أن نشير إلى أن حياة الإنسان تسير على نفس الأسس والمبادئ التي تسير عليها الكائنات الأخرى الأقل منه شأنًا وتكويناً .. ونعني بها الحيوانات الثديية ، لكن الأمر يختلف في الحيوانات الدنيا أو البسيطة التكوينية ، فنحن مثلاً لا نستطيع أن نعوض الذراع المبتورة ، أو الساق المقطوعة ، أو حتى الأصبع ، أو عقلة من الأصبع لكن الحيوانات البدائية تستطيع ذلك .. صحيح أنها لا تمتلك أطرافاً ولا أنسجماً ولا أذاناً ولا رقاباً .. إلخ ، فأجسامها بسيطة التكوين ، فإذا فقدت السحلية ذيلها ، أو السرطان البحري مخالبه أو ساقه ، أو القوقع رأسها .. إلخ ، لكان في مقدور هذه الكائنات أن تعوض الجزء المبتور ، أو قد نبت الحيوان البسيط إلى أجزاء (كما في بعض أنواع الديدان والحيوانات الرخوية والهيدرا) ، وعندئذ ينمو كل جزء ليصبح كائناً سوياً ، ومثل هذه الأمور المثيرة قد تعرضنا لها في دراسة سابقة على صفحات هذه المجلة .. وطبعي أنها لا يمكن أن تحدث في إنسان أو فأر أو حصان .. فلو أننا بترنا الفأر إلى نصفين ، فلا بد أن

وبهذا تبقى نسبة خلايا الدم ثابتة ، والذي يجدد ذلك هو نخاع العظام ، ولا بد أن يسري التعويض بحساب ومقدار !

« والأموات » من كرات الدم الحمراء لا بد أن تختفي من الميدان ، والذي « يدفنها » أو يخفيها نوع آخر من الخلايا المعروفة باسم الخلايا الملتهمة (Phagocytes) . . وهذه تستطيع التمييز بين ما هو حي ، وما هو ميت ، أو بين ما هو سليم وبين ما أصابه البلى والتمزق ، فأما الحي فنتركه ، وأما الميت تلتهمه أو تدفنه في جوفها . . أي أنها بمثابة « مقابر » حية موجودة أساساً في الكبد والطحال ، لكن هذه المقابر لا تتكدر بما تلتهمه من « جثث » ، بل تحللها إلى مركبات مختلفة ، ثم تعيدها إلى الدماء ، لينبأ الجسم من جديد . . مثلها في ذلك كمثل الكائنات الحية على الأرض ، فآلها بعد الموت التراب ، وفيه تتحلل ، لاستفيد بها جذور النبات ، لتبني حياتها على أنقاض غيرها ، ثم يأكل الإنسان والحيوان إنتاج النبات ، والكل يعيش ، ثم لا بد أن يموت ، فيعود إلى التراب ، فيستفيد به النبات ، وهكذا تتكرر الدورة على الأرض ، كما تتكرر داخل أجسامنا . . مع الاختلاف طبعاً بين حياة وحياة ، لكنها تتساوى في النهاية . . أي موت فتحلل على مستوى الجزيء أو الخلية أو المخلوق .

وفي الدم أيضاً توجد أنواع أخرى من خلايا دموية تعرف باسم كرات الدم البيضاء ، ولا يهتأ أن نتحدث هنا عن أنواعها ووظائفها بقدر ما يهتأ أن نذكر أنها تعيش وتموت ، لكنها ليست طويلة العمر ككرات الدم الحمراء ، بل تعيش فقط لبضعة أيام تعد على أصابع اليدين ، وما يموت منها يتجدد عن طريق نخاع العظام ، وبهذا يحتفظ الجسم الحي « بقواته » الدفاعية ثابتة ، ذلك أن كرات الدم البيضاء تمثل خط الدفاع الثاني ضد غزو الميكروبات ، أو التخلص

★ أطراف غريبة لحيوان السمندل الذي اجريت عليه تجارب كثيرة لدراسة نمو بعض الأطراف المتسورة ، وعندما نمت هذه الأطراف ، انخفضت عن أصابع من كل شكل وحجم وعدد ونوع ★



من أي مادة أو بروتين أو نسيج غريب قد يدخل إلى الجسم ، ولهذا يزيد عدد « القوات الضاربة » - أي كرات الدم البيضاء - عند حدوث غزو ميكروبي أو أي « دنس » خارجي يتعرض له البناء الداخلي ، فإذا زال الخطر ، حددت القوات عددها ، لتصبح ثمانية ملايين كرة بيضاء في كل سنتيمتر مكعب من الدم . . قارن ذلك بعدد كرات الدم الحمراء ، ففي كل سنتيمتر مكعب يوجد حوالي خمسة آلاف مليون كرة دم حمراء !

ولا شك أن بشرتنا تتعرض دائماً للاحتكاك المستمر (من جراء الاستحمام والملابس وتناول الأشياء بأيدينا . . إلخ) ، فتزول منها عشرات الملايين من الخلايا السطحية الميتة كل يوم ، فإذا زالت ، حلت محلها طبقات أخرى لتعوض المفقود ، والذي يعوضها خلايا حية تنقسم باستمرار ، وتتخذ لها موقفاً محدداً في جلودنا ، ولو لم يحدث ذلك ، لتعري البناء الحي ، فيكون نهياً للميكروبات ، ثم ما يتبع ذلك من تقرحات لا تستقيم معها الحياة !

وفي حالات الحروق والجروح تحدث تئبئة عامة من خلايا الدم وخلايا الجلد لتتخذ ما يمكن إنقاذه ، والأحداث التي تجري في الخفاء تشبه المعجزة ، لكننا لن نتعرض لها هنا ، لأنها تحتاج لصفحات وصفحات ، لكن النتيجة الحتمية والملاحظة أن الجلد المحروق يرسم نفسه ، والجروح تلتئم ، وكأنها لم تكن ، ولكن لكل شيء هنا أيضاً حدوداً ، فقد تكون الحروق والجروح أفدح وأعظم من كفاءة الجسم في الترميم والتعويض ، وقد يتدخل الطب في الأمر ، ليساعد الجسم على تخطي المحن ، فلن نحج ، كانت الحياة ، وإن فشل ، تهاوى الكائن الحي إلى الموت !

يضاف إلى ذلك التجدد الذي يحدث باستمرار في الخلايا المبطنة للأنف والفم والحنجرة والبلعوم والمريء والجهاز الهضمي والفتحات التناسلية . . إلخ ، وأحياناً ما تسمى هذه خلايا بالخللايا الطلائية ، لأنها بمثابة الطلاء الذي تدهن به منشآتنا وأدواتنا ليحفظها أطول فترة ممكنة ، ولا شك أن الطلاء يزول بعوامل التعرية الطبيعية فنعوضه بطلاء جديد ، وكذلك تزول الخلايا الطلائية نتيجة لأنشطتها الوظيفية . . ويحل محلها عشرات الملايين من الخلايا الجديدة كل يوم . . !

ولا شك أن كسور العظام ثم التئامها بعد وقت قد يطول أو يقصر (يتوقف هذا على عمر الإنسان ، فهي تلتئم أسرع في الأطفال والصبيان ، عنها في البالغين ، وأبطأ ما يمكن في العجائز) . لا شك أن هذه العملية توظف الخلايا العظمية من سباتها ، وكأنها هي تتحول إلى خلايا جنينية ، وعندئذ تنقسم ثم تنقسم من ناحيتي الشرخ أو الكسر ، إلى أن تتقابل وتلتحم ، ويعود المكسور إلى إنسان سليم تماماً !

★ ★ ★

تلك إذن نبذة مختصرة عن التجدد أو التعويض الذي يتم في أجسامنا وأجسام الحيوانات الثديية الأخرى ، ومع ذلك فلا يزال السؤال الحائر الذي يطرا دائماً على الخاطر قائماً : إذا كان التعويض في بعض

الأنسجة سائراً في أجسامنا ، فلماذا يتوقف هذا التعويض عند تلك الحدود ، ولا يتخطاها في ساق مبتورة أو ذراع مقطوعة ، أو أنف مجذوع .. إلخ ؟

السمندل المائي

قبل أن نجيب على هذا السؤال الكبير ، دعنا نقدم وصفاً مختصراً لحالة السمندل المائي الذي بترت ساقه أو ذراعه ، استطاع الحيوان أن يعوضها ، فتتكون له ساقان أو ذراعان جديدان . تبدأ سلسلة الأحداث بنمو الجلد فوق الطرف المبتور ، ويغطيه تماماً ، وهذا ما يحدث في إنسان بترت أصابعه أو يده أو ذراعه أو ساقه ، فننتكون جدعة من الجلد فوق الجزء المقطوع ، ويتوقف الأمر عند هذه الحدود ، لكن السمندل المائي — وهو حيوان فقاري ذو هيكل عظمي —

يتخطى هذه الحدود ، إذ تبدأ خلايا جديدة في الانقسام والتكاثر تحت خلايا الجلد المكتونة فوق الجزء المبتور ، وكأنها هذه الخلايا الجديدة نشبه ثموراً سرطانياً غير مميز إلى أنسجة ، ويتوقف هذا النمو بعد أيام ، وفي حوالي اليوم العاشر بعد البتر ، يتمخض هذا النمو الخلوي عن بداية نشبه البرعم ، ويستمر البرعم في النمو والاستطالة ، وتتميز خلاياه إلى عظام وعضلات وأعصاب وأوعية دموية ... إلخ ، وبعد ثلاثة أو أربعة أسابيع تبدأ معالم الساق تتضح ، وتتكون المفاصل والعظام والأصابع ، وتعود كما كانت .

لكن هذا الوصف المبسط وضع العلماء في حيص بيص ، وبرزت أمامهم أسئلة حائرة لم تحظ بجواب شاف .. فما الذي داس على « الزناد » ، لتنتقل قذيفة الانقسام والتكاثر لتؤدي إلى ساق أو ذراع جديدة بدل المبتورة ؟ .. وما الذي يجعل السمندل يعوض ، والحيوانات الراقبة لا تعوض ؟ .. ولماذا تحتفي عملية التعويض في بعض الحيوانات البالغة مثل الضفدع ، لكنها تشتغل فيها وهي لا زالت في أطوار النمو الأولى ؟ .. وهل من الممكن كشف السر في توقف مثل هذه الحيوانات عن التعويض ؟ .. إلخ .

الواقع أن جزءاً صغيراً من الحقيقة قد عرف منذ أكثر من قرن ونصف قرن من الزمان ، ففي عام ١٨٢٣ م ، قام عالم إتحليزي يدعى توريدي تود بتر ساق السمندل ، ثم قطع العصب الموصل إلى الجدعة (أي الجزء الملتئم بعد البتر) ، فلم تتكون ساق جديدة ، ونوقف (تود) عند هذه الحدود ، وافترض أن العصب ربما كان العامل المؤثر وراء تكوين الطرف المبتور !

وبمر قرن كامل من الزمان ، إلى أن يجيء علماء القرن العشرين ، ويؤكدون أن ما توصل إليه (تود) كان صحيحاً ، ويضيفون إلى اكتشافه إثبات حقيقة أخرى ، فلو أن العصب قد ترك بعض

الوقت إلى أن يبدأ التكاثر ، ثم قطع بعد ذلك ، فإن التكاثر يتوقف عند هذه الحدود ، أو لو أن العصب قد ترك دون بتر ، ثم عومل بمادة كيميائية تشله عن العمل ، فإن الجزء المبتور لا يعوض !

تجربة سنجر

وتتوقف البحوث مرة أخرى عند هذه الحدود ، إلى أن يجيء الدكتور ماركوس سنجر من جامعة كورنل الأميركية ، ويطرح السؤال الذي طرحناه قبل ذلك ، أي لماذا تعوض صغار الضفادع أطرافها المبتورة ، في حين أن الضفادع البالغة لا تستطيع ؟ ..

ويجب على ذلك إجابة مؤسسة على تفكير فوسيم : ربما يحدث التعويض نتيجة لوجود أعصاب كافية لبداء العملية من أساسها ، لكن عدد هذه الأعصاب يقل تدريجياً ، كلما تقدم الحيوان في النمو إلى أن يصل إلى مرحلة البلوغ ، وعندئذ لا تكفي الأعصاب « المخففة » لإطلاق القذيفة للتكاثر ثم التمييز إلى أنسجة مختلفة .

لكن الكلام شيء ، والتدليل عليه شيء آخر ، وهذا كانت التجربة العلمية هي الحد الفاصل بين الغث والسمين ، أو بين التفكير المعوج ، والتفكير السليم ، ومن أجل هذا قام سنجر بتصميم تجربة ذكية ، وفيها بتر الساق الأمامية لضفدع بالغ ، ثم قام بتشريح الساق الخلفية ، ليكشف عن العصب الذي ينتشر فيها ، واستطاع بمهارة ودقة بالغتين أن يسحب عصب الساق الخلفية من خلال جسم الضفدع ، ويمون به جدعة الساق الأمامية المبتورة .. أي كأنها هو قد أمد الجزء المبتور بأعصاب زائدة ، وربما تؤدي هذه الزيادة (أو التركيز العصبي) إلى إطلاق شرارة الانقسام في الجدعة ، وانتظر على مضض أسبوعاً من وراء أسبوع ، وبالفعل تكونت ساق جديدة بدل الساق المبتورة في الضفدع البالغ .. صحيح أنها كانت مشوهة بعض الشيء ، لكن من السهل تمييزها .. أي أن استنتاجاته من الوقائع أو المقدمات كانت صحيحة ، وهذا يعني ببساطة أن الإنسان قد تحكم — إلى حد ما — في التعويض الذي خبت شعلته بالبلوغ .. تحكم فيه على مستوى الضفدع ليس إلا .

★ ★ ★

لكن .. ماذا تفعل الألياف العصبية بالضبط في الخلايا غير المميزة ، لتصبح متميزة في عظام وعضلات وما شابه ذلك ؟

لا أحد يعرف يقيناً .. فربما كان التأثير الناتج من جراء مواد كيميائية خاصة أو ربما من تيارات كهربية ضعيفة للغاية ، لكنها فعالة .. وكلا التأثيرين قد ينتجان من الأعصاب .

تجربة على الفئران

لماذا لا يبحث العلماء إذن هذا الأمر الذي قد يؤدي إلى نتيجة .. أية نتيجة ؟

الواقع أنهم فعلوها .. ليس هذه المرة مع صفع ، ولكن مع حيوان ثديي أرقى هو **الفأر** .. وبدأت التجارب بيتر أذرع عدد من الفئران ، ثم قسموها إلى أربع مجموعات .. المجموعة الأولى تركت دون معاملة بقصد المقارنة ، في حين تلقت المجموعات الثلاث الأخرى تيارات كهربية مختلفة الشدة .. فمجموعة منها تلقت تيارات ضعيفة للغاية ، في حين تلقت المجموعة الثانية تيارات متوسطة ، والثالثة تيارات قوية نسبياً ، وذلك من خلال زرع أقطاب كهربية مناسبة في المناطق التي حدث فيها البتر .. فأما التي لم تعامل بالتيارات الكهربائية ، أو التي عوملت بتيارات ضعيفة للغاية ، فقد بقيت أذرعها المبتورة على حالها دون نحو يذكر ، في حين أن التيارات الكهربائية القوية نسبياً قد دمرت العظام الموجودة عند الجزء المبتور .. أي أنها أتت بنتيجة عكسية ، لكن الأمر قد اختلف مع التيارات الكهربائية المتوسطة ، فعندما تعرض النسيج الواقع عند منطقة البتر لتيار تبلغ شدته ما بين ٣-٦ أجزاء من ألف مليون جزء من الأمبير ، أظهر النسيج نمواً واضحاً ، أو تجدداً ملحوظاً ، وظل الذراع في نموه من قرب الكتف حتى نهاية الكوع ثم توقف

صحيح أن التيار الكهربائي المناسب لم يوصلنا إلى الهدف المنشود .. أي إلى تكوين ذراع كامل بدل الذراع المبتور ، لكن أول الغيث قطرة كما يقولون ، فالذي يقف حائلاً بيننا وبين بلوغ النجاح المطلوب ، هو جهلنا بفيض الأسرار العويصة التي تتحكم في تجديد ما يبتسر ، ولو استطعنا أن نلم بكل التفاصيل ، فإن ذلك قد يقودنا إلى تطبيقات بالغة الأهمية .. ليس فقط على مستوى الفئران .. بل أيضاً على مستوى الإنسان !

ولقد التقط بعض العلماء هذا السر المثير ، وحاولوا تجربته على العظام المكسورة ، فأدى ذلك إلى نتائج إيجابية .. أو بمعنى أوضح نقول : إن العظام المكسورة التي تتلقى تياراً كهربياً مناسباً ، تلتئم أسرع من عظام تترك وشأنها .. ليس هذا فحسب ، إذ أوضحت بعض البحوث الحديثة أن التيارات الكهربائية المناسبة تؤدي إلى تنشيط خلايا الغضاريف الموجودة بين المفاصل ، وتدفعها إلى الانقسام ، وهذا يعني أنها تتجدد ، وقد يؤدي ذلك في المستقبل إلى علاج التهابات المفاصل ، إذ يعتقد بعض العلماء أن هذه الالتهابات - التي يعاني منها عشرات الملايين من المسنين - يرجع إلى تآكل الغضاريف .

ومما يستحق الذكر في هذا المجال أن الدكتور ر. بيكر من مركز البحوث الطبية بجامعة نيويورك ، ظل خمسة عشر عاماً وهو يبحث إمكانية تعويض الأطراف المبتورة في الحيوانات الثديية ، أسوة بما يحدث في الحيوانات الأقل رقياً ، وهو يعلل فشل هذا التعويض بعدم قدرة أجسامنا على توليد التيار الكهربائي المناسب لكي يتحكم في العملية ، ولقد تحقق بعض ما كان يُراود عقله بالتجربة العملية ، إذ إنه هو الذي قام ببتر أذرع الفئران ، وعرضها لتيارات مختلفة ، وهي بداية متواضعة ، فكل فكرة أو محاولة تنشأ بسيطة ، ثم تتطور إلى الأحسن !

★ ★ ★

لكن بعض العلماء تعرضوا لبحث عملية التعويض من زاوية أخرى كيميائية وفيزيائية وطبيعية ، إذ كلما تشعبت سبل البحوث وتعمقت ، أدى ذلك إلى فهم أكفأ ، وتطبيق أحسن ، أو كما عبّر عن ذلك **العلماء البيولوجي المشهور جاك لويب** : « أن نزيد تحكماً فيها .. أي أن نستنبط الوسائل التي نشر بها النائم ليستيقظ » ، أو بمعنى أوضح نقول : ندفع عملية التجدد في الأنسجة بطرق خاصة ، فنحيل الركود إلى نشاط ، والنشاط إلى تعويض ، والتعويض قد يتخذ صوراً شتى ، فليس ببعيد أن يتوصل العلماء إلى إثارة مواقع محددة في اللثة ، فتنشج أنساباً وقواطع وضرور بدلا من تلك التي تساقطت من المسنين .. صحيح أن هذه العملية تحدث في الأطفال ، أي يُعوض ما سقط من أسنانهم بأسنان جديدة ، لكن ذلك لا يحدث في البالغين .. أو قد يحدث ، فذلك يتوقف على فهمنا للأسباب الكامنة وراء هذه الظواهر المخيرة .

لقد ذكرنا أن ذراع أو ساق الضفدع البالغ لا تعوض بعد بترها ، لكن من الممكن أن ندفعها إلى النمو بوسائل شتى ، وذلك بنعريض الجزء المبتور لبعض المواد الكيميائية كأن نغمسه مثلاً في محلول ملح الطعام المركز ، أو محلول فلزي (كربونات الصودا) ، أو محلول سكر اللبن (أو سكر اللاكتوز) .. إلخ ، أو بتعريضها لعوامل فيزيائية ، كأن نعريض الجزء المبتور لدرجة حرارة تصل إلى ٥٥ درجة مئوية ولمدة دقيقة لا غير ، أو أن نمزق العضلات الممتدة فيه تمزيقاً ، أو أن نلتصق الجلد الذي يحميه ، أو أية معاملة أخرى تنسم بالقسوة ، وعندئذ نحل ساق جديدة محل الساق المبتورة !

لكن لماذا يحدث هذا ، أو ما هو الأثر الساذي تؤديه مثل هذه المعاملات ، فلا أحد يعرف ذلك يقيناً ، لكنها جميعاً تؤخر تكوين الجذعة أو الالتئام على الجزء المبتور ، وربما ينتج عن تلك المعاملات القاسية مواد كيميائية تنطلق من الخلايا ، فتؤثر فيها ، أو توقفها من سبابتها ، فتتسبب وتنقسم وتتكاثر وتتميز إلى ساق جديدة ، لكن ما طبيعة هذه المواد التي دامت على الزناد ، فعلم ذلك عند ربي ، إذ مما لا شك فيه أن هذه الأمور تكتنفها الغاز ومناهات ضخمة ، لكن السر المكتشف حتى ولو كان بسيطاً ، سيؤدي إلى أسرار أكبر ، وفهم أعمق ، وعندئذ قد يتحكم العلم في المستقبل القريب أو البعيد في دفع الخلايا إلى نشاط حيوي يؤدي إلى تعويض الأجزاء المبتورة .

واليوم صفادع وفئران ، وغداً قد يأتي الدور على الإنسان .. لكن « غداً » لفظ مطاط ، ولهذا فهو متروك لتقديرك ، فقد يستلزم ذلك أجيال .. ومع ذلك ، فإن غداً لناظره قريب ، أو بعيد ، كل هذا يتوقف على توفيق العلماء في هذا السبيل ، إذ لا زلنا بمثابة أطفال نلهو على شاطئ بحر المعرفة الذي يمتد فينا وحولنا بغير حدود .. صحيح أن ما عرفه الإنسان كثير وحصيلته من المعرفة تبدو ضخمة ، إلا أن ذلك لا يعدو قطرة أو قطرات من بحر المعرفة العظيم .. « قل لو كان البحر مدداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً » (سورة الكهف ، الآية ١٠٩) - وفي ذلك الكفاية لقوم يدركون !



آلان روب جرييه

وموجة الرواية الجديدة!

بصلم :
جلال العشري

آلان روب جرييه والرواية الجديدة ، هذان الاسمان اللذان ارتبط كل منهما بالآخر ارتباطاً فولاذياً بحيث لا يمكن ذكر أحدهما دون الآخر ، كما في حالة نيوتن والجاذبية ، وأنيشتين والنسبية ، ومالتوس ومبدأ الإسكان ، وفرويد والتحليل النفسي ، وسارتر والوجودية ، وبيكاسو والفن الحديث ، ما هي حكايته ؟ أو بالأحرى ، ما هي حكايته مع الرواية الجديدة ؟ وهل معنى الرواية الجديدة أن هناك رواية قديمة ؟ وأن هذا الجديد قد نسخ القديم ، ولم يترك له أثراً ولا تأثيراً ؟ وهل معنى أن نتحمس للرواية الجديدة ، أن نضع باقة من الزهور على قبر كل من يلزك وزولا ومارسيل بروس ، كي نحري مسرعين وراء آلان روب جرييه ، كي نشارك في مظاهرة الرواية الجديدة التي يتزعمها ، وشارك فيها كل من ميشيل بيتور وناتالي ساروت وكلود سيمون ، وكلود مورياك ، وآلان بوسكيه وغيرهم من دعاة الموجة الجديدة ؟

هو أنه فكر ينطوي في صميمه على «قوة السلب» إن صح هذا التعبير ، أعني أنه فكر رافض باستمرار ، فكر يستطيع أن يقول «لا» في الوقت المناسب ، بحيث يكون لقوله «لا» هذه من القوة ، ما لا نجده في ألف قولة «نعم» .

وأمامك الفكر الفرنسي من أيام بسكال ماراً بديكارت ، وفولتير وبرجسون حتى تصل به إلى سارتر ، فكل مرحلة جديدة برفضها للمرحلة التي قبلها ، إنما تساعد على تنمية الفكر عموماً ، واستثارة في الكشف عن الجديد وما يترتب على هذا الجديد من تحرير وتنوير ، تحرير من قيود القديم ، وتنوير في ارتياد آفاق أرحب وأوسع مدى . على أنه إذا كان الفكر هو صانع الأدب والفن على اعتبار أن كل

كلا وألف كلا ، فإن آلان روب جرييه لم يبدأ إلا من حيث انتهى بلزك وأصحابه من كتاب الرواية التقليدية ، ومن حيث انتهى زولا وغيره من أنصار الرواية الطبيعية ، ومن حيث انتهى مارسيل بروس ورفاقه من دعاة الرواية السيكلوجية ، بل من حيث انتهى سارتر وسائر الوجوديين ممن هتفوا باسم الرواية الوجودية . بل ... ماذا أقول ؟ من حيث انتهى صمويل بيكيت وكوكبته ممن دعوا إلى رواية العبث أو اللامعقول ؟

«نعم» .. و .. «لا»

لعل أهم ما يميز الفكر الغربي بعامه ، والفكر الفرنسي بنوع خاص ،

كتبوا الرواية الوجودية ، هؤلاء جميعاً حاولوا أن يعبروا عن أزمة الإنسان الجديد ، عن تفككه وتصدعه ، وقهره والخصاره . وفقدانه اليقين في كل شيء ، وانتظاره لشيء لم يبقه أبداً .

ولكنهم عبّروا عن هذه الأزمة الجديدة ، بطريقة كلاسيكية نموذجية ، صاغوها في قالب الأدب التقليدي فجاء شكل هذا الأدب غير متجانس مع فحواه ، فهم قد شعروا بالأزمة الجديدة ، لكنهم عبّروا عنها بطريقة قديمة ، فكانوا غير صادقين ولا حقيقيين . وكان لا بد من ظهور كتاب غيرهم يتمردون على هذا الشكل القديم ويأتون بشكل آخر جديد ، يتجانس في التعبير على ما يشعرون به ، وبذلك يعبرون عن الإحساس الجديد ، بطريقة أخرى جديدة ، فيكونون صادقين وحقيقيين في وقت واحد .

وهكذا نجد أن « الرواية الجديدة » تنلخص في أنها ظفرة .. ظفرة !
تقف عند حدود المضمون كما فعل كُتّاب الرواية السيكلوجية أو الرواية
الوجودية ولكنها تعدت المضمون لتتناول الشكل أيضاً .. فكانت ظفرة في
الشكل والمضمون جميعاً .

الأشياء لا الأشخاص

فالرواية الجديدة ليس فيها بطل بالمعنى الإغريقي القديم ولا بالمعنى الوجودي الحديث ، وإنما من الممكن أن يكون الخوف بطلاً أو الانتظار أو الملل ، ومن الممكن أيضاً أن يكون البطل بيتاً في الطريق أو شارعاً في المدينة أو جسراً في قرية ، المهم أنه لم تعد هناك بطولات فردية ، وليس من الضروري أن تكون الشخصيات من البشر ، فحياتنا ليست كلها مليئة بالأشخاص ، وإنما هي مليئة أيضاً بالأشياء ، أو بالأحرى مليئة بالأشياء التي تتعلق بالأشخاص .

وعالم الرواية الجديدة مليء بالأشياء ، إنه تشبيهي العالم أو تشبيهي للعالم ، وهذه الشيئية هي حجر الزاوية في بناء الرواية الجديدة ، وهي التي أشار إليها الفيلسوف المعاصر مارتين بوبر عندما قسم العلاقات الإنسانية بين الأشخاص والأشياء وذهب إلى أن العلاقات الإنسانية يمكن أن ويلها إلى علاقات شيئية ، أي علاقة الإنسان بشيء . . . فإذا اتخذت إنساناً وسيلة أو موطية فقد حولته إلى شيء ، وإذا أحبيبت امرأة لماها فقط فقد حولتها إلى شيء ، وبمخلص مارتين بوبر من هذا كله إلى أن مأساة الإنسان في العصر الحديث ، هي أنه قد حول كل ما هو إنساني إلى شيء مجرد من الإنسانية ، وذلك بأن حوّل كل ما يربطه بالآخرين إلى كلمات على الورق . . إلى إيصالات ، إلى شيكات ، إلى أذونات ، إلى شهادات استثمار ، إلى مواليق زواج .

ومعنى هذا أن الإنسان قد رذ كل ما حوله إلى عناصر أولية ، إلى أشياء .. فإذا أصاب الإنسان حزن أو يأس أو ضياع ، فذلك لأنه بإنسانيته قد قضى على هذه الإنسانية ، وراح يحترق آلامه الرومانسية ، وعذاباته الوجودية ، أما مدرسة الرواية الجديدة ، فقد اعترفت بهذه

عمل أدبي أو فني لا بد وأن يصدر عن خلفية فكرية عريضة تخلف عليه ما له من معنى ، فإن ما قلناه عن الفكر يقال مثله عن الأدب والفن ، وعن « الرواية الجديدة » باعتبارها شكلاً جديداً من أشكال النثر الفني أو التعبير الأدبي ، فالرواية الجديدة كما نجدها عند كل من آلان روب جرييه ، وروبير بانجييه ومينسيل بيتور ، وناتالي ساروت ، وكلود سيمون ، وكلود مورياك وآلان بوسكييه ، على الرغم من الفروق الفردية بين كل من هؤلاء ، إنما هي في صميمها استجابة أدبية واعية للوضع الثقافي الراهن الذي يمر به إنسان الحضارة الغربية . . . وضع القهر والخصم والإحساس بالالاجدوى .

فإنسان هذه الحضارة غريب ضائع ، فقد إحساسه بكل شيء . وعينا
يحاول أن يجد لحياته غاية أو معنى ، فكل شيء من حوله عقيم .. وكل
شيء من حوله قبيح وزرعي ، إنه إنسان في حالة انفصام .. لا أقول
انفصاما نفسيًا ، ولا انفصاما ذهني ، بل انفصامًا حسيًا ، فهو
بضحك بلا فرح ، وببكي بلا حزن ، ويتألم بلا وجع ، وإذا تكلم لم يقل
شيئاً . وهو يعلم في ذات الوقت أن علاجه ليس في يد الطبيب ولا الحكيم
ولا الواعظ ، وإنما هو في يد الأديب أو الفنان .

فهر في «حالة» ، هذه الحالة لا ينبغي أن توضع موضع «تفكير» وإنما يجب أن توضع موضع «تعبير» ومن هنا كانت الاستجابة الأدبية والفنية لهذه الحالة الحضارية .. الموسيقى الإلكترونية ، الفن السوريالي ، أغاني الخنافس ، مسرح العبت أو السلامفول ، وأخيراً الموجة الجديدة في السينما ، والرواية الجديدة في الأدب .

التعبير وليس التفكير

ونفسير ذلك حضارياً .. لا فلسفياً ولا سيكولوجياً ، أن إنسان الحضارة الغربية عندما أحس بعجزه عن أن يحيل الفن إلى واقع ، لم يجد بداً من إحالة الواقع إلى فن ، ولما كان قد سئم الفكر والتفكير وكل ما من شأنه أن يحيل ذاته إلى موضوع ، اضطر أسفاً أو غير أسف ، أن ينبذ المنطق والنظام والمعقولية ، ليلتقي بالأشياء لقاء حياً مباشراً ، وكأنه يستشوق صباح الحياة الأول بعد أن ودع فجر الحضارة الأخير .

ولكن .. إذا كان «التعبير» هو البديل الحضاري للتفكير
فعلى أي نحو وبأي شكل يحىء هذا التعبير؟

هذا هو السؤال الذي كانت الرواية الجديدة في الأدب ، مثل غيرها من الفنون الجديدة هي الإجابة المباشرة عليه ! .

فالرواية الجديدة ، بعكس غيرها من أشكال الرواية الأخرى ، التي حاولت أن تعبر عن أزمة الإنسان الغربي فور خروجه من الحرب العالمية الثانية ، كانت أروعها تعبيراً عن هذه الأزمة ، لأنها كانت أكثرها اتساقاً مع المضمون وأشدّها تجانساً مع أزمة هذا الإنسان ، فالرواية القديمة سواء عند بروسٲ وجويس ، وفرجينيا وولف من كتبوا قصة تيار الوعي ، أو عند أراجون وبريتون ، وبول إيلوار ممن كتبوا شعر اللاوعي ، أو عند كافكا وكامى وجان بول سارتر من



★ ديكارت ★

★ فولتير ★



الحقيقة الوحيدة وسدنت له بدلا من أن تبكي عليها ، أي أنه اتخذت موقفاً من مسألة إنسان هذا العصر .

ومن هنا كان انقضى ككتاب « الرواية الجديدة » على ضرورة صنع فوالب فنية حديثة تعبر عن أزمة الإنسان المعاصر ، وعن ضرورة التعبير عن الواقع بما هو صدق الواقع ، وعن الإنسان ما هو غير إنساني . وعن الحياة بما هو على النقيض من الحياة . . . وهذا هو ما نجده بشكل صارخ في روايت « الأساتيك » لأن روبرت جرييه ، و « السدوائر » لسانتالي ساروت ، و « شخص ما » لروبير دلجيه . فكتب هذه الروايات الثلاث أبدعوا أجواء غريبة وغير مأثوفة ، وعوالم غير عادية . . . غير عادية على الإطلاق .

والعلاقات المنطقية بين الأشياء تحطمت ، والأوضاع المألوفة بين الأشخاص انقلبت . والمكان انعدم . . . لأنه لا تحت هناك ولا فوق ، والزمان تلاشى . . . لأنه لم يعد هناك قبل وبعد . واللغة تحولت إلى إشارة ، والحركة إلى صمت .

ولم يقتصر هذا على الوسيلة المؤدية إلى الغاية أو الأسلوب الموصل إلى الهدف ، أعني لم يقتصر الأمر على اعتبار هذه الأشياء جميعاً من قبيل التكتيك ، لأن الوسائل نفسها تحولت إلى غايات والأساليب أصبحت في ذاتها هي الأهداف . . . فالكلمة قد تقصد لذاتها لما فيها من موسيقى أو رشفة أو رنين ، والصفحة قد تلون ولا أقول تكتب بالكلمات . فقد نوضع كلمات قليلة وبطريقة غير منتظمة في الصفحة الواحدة ، لأنه إذا كانت الكلمات قد جاءت لتعبر عن بطل ضائع في حضارة ضائعة فلم لا نكون الكلمات ضائعة هي الأخرى .

« أنا هنا ، ولكن ليس بالطريقة التي أنت موجود بها ، فقط لو كنت تستطيع أن ترى كيف تعمل عياني . . . ظلي يدور حولي . وأنت تدور حول ظلك من العسير أن أفهم الآخرين . . . إنني لا أعيش مثليهم ، إنهم في الفراغ . . . كالسمك في الماء . . . أما أنا فلا . . . أنا أثقب في قاع غير . »

ويعلق آلان روبرت جرييه على هذا المقطع الروائي بقوله ، إنه لو عاش الناس بلا حركة ، ولو سلموا بأن يكونوا هذا « الثقب في قاع النهر » لوجدوا الماء بأني إليهم من كل الجهات ، ولرأوا كل التيارات تتكون بطريقة جديدة ، وعند ذلك يأخذ النهر مجراه الحقيقي .

البداية وليست النهاية

إن كتاب الرواية الجديدة يؤكدون أنهم لا يعرفون بالضبط كيف تنتهي الرواية في أيديهم ، لأنها عبارة عن انفعال وتفاعل يتم بينها وبين المؤلف ، فهي تستسم ثم تارة وتارة يستسلم لها هو . . .

وهذا معناه أن الكاتب لم يعد متأكداً تماماً من أي شيء ، إنه لا ينظر إلى العالم نظرة يقينية ، فاليقين ليس من طابع هذا العصر ، ولا إنسان هذا العصر . وهكذا لم يعد من الضروري أن يصف المؤلف أبطاله بدقة

أو يفهم أو يوعي ، فنحن لا نعرف ما هي ملامح بطل أو بطلة رواية « العام الماضي في (مارينباد) » لروبرت جرييه ، إن صح أن هناك بطلاً أو بطلة ، فالبطل والبطلة لا يعرف أحدهما الآخر . وإنما يجيل للرجل أنه يعرف المرأة ، ونحن لا نعرف من هما بالتحديد . . . فنحن أمام شخصيات ليس من الضروري أن تكون مكتملة أو محددة .

وليس في الرواية « حدوة » أي حدث يقع ثم يتطور ويتعقد وأخيراً ينحل لأن هذا الإطار غير واقعي ، أو لم يعد واقعياً ، فلا يوجد في الواقع مقدمات وعقد وحلول وبمثل هذا الترتيب المنطقي ، وإنما هي طبيعة العقل الإنساني كما يقول الفيلسوف الألماني كانط . الذي يمتشي على قواعد يفرضها على الواقع ، أما الواقع الإنساني ، كما يقول آلان روبرت جرييه ، فهو كالعنكبوت يفرز قيوته ، وقواعده ، ويجعل هذه القيوه والقواعد معطيات تمشي عليها الحياة اليومية .

وهذا ما عبر عنه آلان روبرت جرييه بقوله : « لن نكون الأشياء انعكاساً باهتاً لنفس البطل المهمة ، وصورة لآلامه ، وظللاً لرغباته ، بالأحرى . إذا حدث واستخدمت الأشياء خطئة واحدة كقاعدة للأنواء الإنسانية ، فلن يكون ذلك إلا بصفة وقتية . لن نقبل الأشياء طغياناً أتعاني إلا ظاهرياً . . . لكي نكشف لنا إلى أي مدى تظل غريبة على الإنسان » .

وإذا كانت الفكرة التقليدية عن الشخصية والقصة ، كما خلفها بلزاك وروايبو القرن التاسع عشر ، تعد في نظر آلان روبرت جرييه فكرة قديمة وبالية ، وإذا كان هو شخصياً قد تخلص منها باستبعادها بكل بساطة ، فلنا نجد كاتباً آخر مثل ميشيل بيتور يتخلص منها بالتغامها إن صح هذا التعبير ، وهاتان هما طريقتا التخلص من الشخصية والقصة عند كتاب الرواية الجديدة . في الحالة الأولى يكتسب العالم الخارجي ما فقده الإنسان من أهمية ، ويصبح عالماً جامداً لا ينفذ إليه أحد ، عالم يكتفي الإنسان

بالنظر إليه ، لأن الأشياء فيه لم تعد ملكاً للإنسان ، وإنما العكس هو الصحيح . . أما في الحالة الثانية ، فإن العالم الخارجي سرعان ما يتحطم ويصبح ذريعة لوعي لا يجد ما يستند إليه ، لا في الخارج ولا في الداخل ، وتصيح الشخصية لقمة سائغة لما بين العالمين .

ففي رواية « التغيير » لميشيل بيتور ، رجل يدعى ليون ويلمون ، يعمل بين روما وباريس بحكم عمله في الدرجة الأولى ، بالقطار السريع ، وتجري وقائع الرواية أثناء جلوسه لمدة اثنتين وعشرين ساعة بالدرجة الثالثة في هذا القطار . . باريس - روما . . وتدور أحداث الرواية خلال حوار مستمر يعقده ليون ويلمون بينه وبين نفسه ، مخاطباً ذاته بصيغة « أتم » . . فقد أقفل دونه الباب في مقصورة القطار ، كما يفصل الإنسان وعييه وضميره وفكره ، وتتوالى الأحداث على شكل تأملات حوارية مستمرة . ويدور بخلدّه حينذاك أن يطلق زوجته في باريس ، من أجل الاقتراح بزوجة أخرى في روما ، ولكن سيسل تكتشف أن حبه لها إنما هو تكرار لتجربة حبه من هنرييت ، زوجته الحالية وأم أولاده ، حين قضى معها شهر العسل في مدينة روما فتبتعد عنه على الفور ، كما يبتعد عنها هو الآخر .

والخطأ كل الخطأ في تصور هذه الأحداث ، كأنها أدب ذاتي أو تفسير نفسي إذ لا يوجد شيء ينتمي إلى ما يسبغه اللا شعور أو التصور الذاتي المحض على الوقائع ، وكل الأحداث تنساب بين قضبان وعي متطلع إلى الوجود ، في صورة ظاهرة بسيطة ، بغبر أدق تعقيد نفسي أو سيكولوجي .

صحيح أن الكاتب أراد أن يعالج قضية العلاقة بين الرجل والمرأة ، لكن يكفي أن نقرأ الرواية بانتباه . لكي ندرك أنه لا يريد ولا يريد منا أن نعرف ما إذا كان البطل سيتخلى عن زوجته لكي يتزوج الأخرى ، أم لا . . فالتغيير في حد ذاته هو ما يعنيه .

والذي يعيننا الآن هو أنه إذا كانت الرواية قد ظلت حتى القرن العشرين مرتبطة بالبطل ذي الشخصية المعروفة المحدودة ، أو إذا جاز التعبير ، ذي السجل المدني المعروف ، فإن أهمية البطل قد زالت عنه في الوقت الحاضر ، وأصبح على الرواية الجديدة أن تثبت قدرتها على الحياة بدونه ، كما أنه إذا كانت الرواية فيما قبل الرواية الجديدة ، تروي إحدى القصص بأسلوب محبب ، وتستهدف إقناع القارئ بصحة ما يقرأه ، فإن قوة الكاتب الروائي اليوم كما يقول روب جرييه تكمن في قدرته على الإبداع الحر دون الاقتداء بأي نموذج . ومن هنا كان زوال الرواية حسب المفهوم التقليدي للكلمة ، وظهور اللارواية أو القالب المضاد للرواية ، أو ما يعرف بالرواية الجديدة .

الشكل وليس المضمون

ويفرق آلان روب جرييه بين الشكل والمضمون . بل يرجع العنصرين إلى الشكل ، ويعطي هذا الأخير أهمية قصوى ، مرتبطة بطبيعة الحار ، بالأهمية التي يولها للأشياء ، فإذا كان كتاب الرواية التقليدية

يذهبون إلى القول بأن « العالم هو الإنسان » فعند روب جرييه أن « الأشياء هي الأشياء ، والإنسان ليس سوى الإنسان » .

وعنده أن الأشياء خارجية ولا معنى لها ، وهو لا يهدف إلا إلى وصفها فهو يقول : « وصف الأشياء هو الوقوف خارجها ، وأمامها طوعية ، لا يتعلق الأمر إذن بملكها أو إرجاع أي شيء إليها ، ولأنه أي الكاتب ، ينظر إليها منذ البداية على أنها ليست الإنسان ، تظل دائماً في مأمن من الإنسان » .

والوصف كما يقول روب جرييه هو الوقوف على استقلال الأشياء ، ووصفها من الخارج ، وتسجيل ما بينها من مسافات وأبعاد ، وهذا ما يعبر عنه بقوله : « إن تسجيل المسافة يبني وبين الشيء ، والأبعاد الخاصة بالشيء ، والمسافة بين الأشياء ، وإصرارنا على أن كل ذلك مسافة فحسب ، يعني تقريرنا أن الأشياء هنا وأنها ليست سوى أشياء ، وأن كلاً منها محدود بنفسه » .

وعند آلان روب جرييه أن « النظر » هو خير ما يتيح الفرصة لتسجيل المسافات ، وذلك أنه لا يهم بالألوان ولا بالظلال ، ولا يعبأ بالبريق ولا بالشفافية وإنما هو يهم بالحدود والمسافات ، وبالتالي فإن النظر أو النظرة هي التي تساعد الإنسان على تحديد مكانه من العالم .

وهنا تنشأ الثنائية بين العالم والإنسان ، بين الذات والموضوع ، بين الشكل والمضمون ، وهنا أيضاً يصبح العمل الفني شأنه شأن العالم ، شكل حي . . لا حاجة إلى تبريره . وهنا كذلك يمكن في شكل الرواية حقيقتها ، بل ويمكن معناها العميق ، أي مضمونها ، وهنا أخيراً يصبح الحديث عن مضمون الرواية كما يقول آلان روب جرييه ، وكأنه شيء مستقل عنها ، ومثل هذا الحديث يعني عموماً هذا اللون الأدبي كله من عالم الفن .

حقاً . . إن العمل الفني كما يقول روب جرييه ، لا يتضمن شيئاً بالمعنى الدقيق للكلمة ، بل يذهب إلى القول بأن الفنان الحق ليس لديه شيء بقوله ، وإنما لديه أسلوب في القول ، ودليله على ذلك أن الأسلوب هو غالباً ما يتبقى من أعمال كبار الكتاب الروائيين . وهذا ما عبّر عنه بقوله :

« الرواية الجديدة بحث . . . بحث يوجد معانيه تبعاً بنفسه ، هل للحقيقة معنى ؟ هذا سؤال لا يستطيع الفنان المعاصر أن يجيب عليه ، إذ إنه لا يعلم شيئاً عن الجواب . كل ما يمكن أن يقوله ، هو أنه ربما سيكون هذه الحقيقة معنى ، بعد أن يمر عليها . . أي بعد أن يبلغ عمله نهايته ، ويصل إلى منتهه » .

ليس الماضي ، ولكن المضارع

وهكذا تحولت الرواية الجديدة شيئاً فشيئاً إلى موضوع للبحث . بعد أن كانت موضوعاً للمهم . فإذا كان الروائيون في الماضي قد اعتادوا أن

الأدبي للفلسفة الوجودية ، فإن الرواية الجديدة يمكن إرجاعها إلى فلسفة الظواهر أو المنهج الفنونولوجي الذي وضعه الفيلسوف الألماني ادموند هوسرل ، ألا وهو منهج الوصف البحث للظاهرة ؟ . . .

فعند كتاب الرواية الجديدة بصفة عامة ، وعند آلان روب جريه بوجه خاص ، أن مادة الفن ليست في الذات وإنما هي في الموضوع ، أي في العالم الخارجي بكل ما فيه من أشياء مادية أو ما يسميه هو « الشيء » ، وبذلك تسقط الذات الإنسانية بما تنطوي عليه من أحداث تجري في الزمان ، ليحل محلها الشيء الموضوعي بما يتصف به من ثبات في المكان .

غير أنه إذا كان الإنسان قد ظل حتى الآن يسقط انفعالاته وتصوراته وأفكاره على الأشياء حتى أفقدها شخصيتها الخاصة ، فعند آلان روب جريه أن الأشياء تتمتع بوجود مستقل تماماً عن الإنسان ، وليس على الأديب إلا أن يخلصها من الطابع البشري الذي اعتدنا أن نراها عليه ، بأن يخرجها من نطاق ملاحظته

العقلية لكي يصفها وصفاً بحتاً ، يرتد بها إلى نسيجها الأصلي الأول . وبذلك يصير الأديب كما يقول جريه « كعنكبوت ساكن وسط نسيجه ، أي إنه لا يتدخل ، وإنما بسجل ويقس من المنطقة التي يقف فيها » .

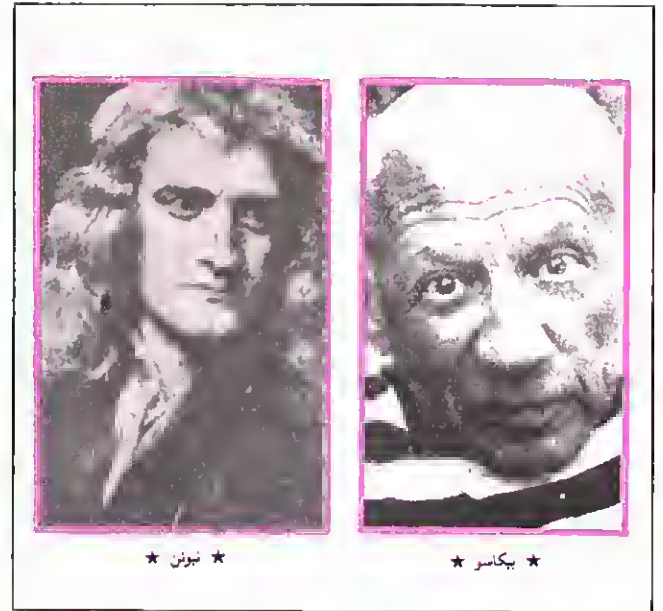
فإنسان ينظر إلى العالم ، ولكن العالم لا يرد له نظره ، ولكنه في الوقت نفسه لا يرفض الصلة بالعالم .

ولكن هل معنى هذا أن كاتب الرواية الجديدة قد طرح النزعة البشرية ، أو جرد أدبه من كل طابع إنساني ؟

كلا ، بطبيعة الحال ، لكنه يعني في المقام الأول أن الروائي الحديث قد أخذ يبتعد عن رواية التجربة والاعتراف والعاطفة ، ويتجه إلى الاهتمام بالشكل والأسلوب والتجريب المستمر على اللغة ، وذلك بعد أن قطعت الرواية الجديدة ، خطوات واسعة باعدت فيها بينها وبين الحياة الطبيعية والنزعات البشرية .

وإذا كانت هذه الظاهرة التي يمكننا أن نسميها بإطراح الإنسانية ، أو تعرية التعبير الأدبي بقدر الإمكان من النزعات والعواطف البشرية ، قد ظهرت بشكل صارخ عند كتاب الرواية الجديدة ، فإننا نستطيع أن نرتد بها إلى الفيلسوف الإسباني أورتيجا أي جاسيت الذي كان أول من دعا إلى تجريد الفن من النزعة البشرية . فأصبحت هذه الكلمة منذ ذلك الحين ١٩٢٥ م ، اصطلاحاً شائعاً في لغة النقد الحديث .

والفكرة الرئيسية عند هذا الفيلسوف ، هي أن الإحساس الإنساني الذي يثيره العمل الفني يصرفنا عن قيمه الفنية ، وخصائصه الجمالية ، وإنما نتحقق لنا المتعة الجمالية الخالصة في حالة الخيال المجرد من كل هدف ، البعيد عن كل غرض . وعندما يطبق هذا الفيلسوف فكرته هذه على عصور الفن المختلفة ، نراه يعلي من شأن كل أسلوب فني بحول



يسردوا « قصة » تبدو كأنها جزء متجمداً من الزمان ، مما حدا بهم إلى اللجوء إلى الفعل الماضي وليس الفعل المضارع ، فإن الرواية الجديدة تروي لنا قصة في سبيلها إلى الحدث . . قصة تبني أحداثها أسماء أعيننا ، ونصور لنا بطلاً يبحث عن ذاته . وتكتمل صوته كلها استطراد في الحديث ، ومن هنا كان التجاء الرواية الجديدة إلى الفعل المضارع . فكاتب الرواية الجديدة ، لا يكتب وفقاً لخطة مسبقة ، ولا بناء على تخطيط سابق . وإنما هو يسلم نفسه لروايته ، ويتركها لضميرها الفني . يتركها تهديه وترشده ، وتعلمه ما لا يعلمه عن نفسه ، وتقي عليه موضوعها وطريقة تناوله هذا الموضوع .

إنه يختار البداية ، ولا يعلم شيئاً عن النهاية ، فالبداية هي التي تقود إلى النهاية ، وعندما يمسك بالقلم ويشرع أمامه الورق ، ولا يعلم شيئاً عن جوهر العالم الذي يصوره ، بل يعمل على التواجد معه والحياة وفقاً لإيقاع خطاه . إن الرواية الجديدة تكاد تبحث بنفسها عن نفسها ، وهي تبني نفسها كلها تقدمت في طريق البحث عن ذاتها . وعلى ذلك فهي ليست أداة للتعبير عن حقيقة خاصة ، ولا معنى إذن لرجوعها إلى السواقع اليومي . . وهذا هو ما عناه روب جريه بقوله :

« أن اني ولا أنقل ، هذا م كان يصبو إليه فلوير ، بناء شيء من لا شيء ، بناء شيء يقف وحده دون أن يحتاج إلى الاستناد إلى أي شيء آخر خارج العمل الفني نفسه . هذا هو ما نتطلع إليه الرواية الجديدة » .

ليست الذات ولكن الموضوع

على أنه إذا كانت قصة تير الوعي عند بروست وحويس وفرجيبا وولف قد صدرت عن فلسفة التحليل النفسي . وصدر شعر اللاوعي عند أراخون وبريتون وبول إيلوار عن الفلسفة السيريالية ، وكانت الرواية الوجودية عند كافك وكامي وجان بول سارتر هي الوجه

الأشياء أو يحورها بقصد تعريفها من حضورها الإنساني ، فالتجريد في الفن معناه تحويل الواقع وتغييره ، وهو ينطوي على نزعة التجريد من البشرية ، وهذا هو ما يوضحه جاسيت بقوله : « إن المتعة الجألية التي يشعر بها الفنان الحديث تأتي من هذا الانتصار على كل ما هو إنساني » .

ولكن ما معنى التجرد من الإنسانية أو طرح النزعة البشرية ؟

معناه استبعاد الحالات العاطفية الطبيعية ، وتخليه التعبير الأدبي ما أمكن من الصفات البشرية . فالذات مثلاً في الرواية الجديدة ، قد أصبحت نوعاً من « الجو الوجداني » المحايد ، وكلما أوشكت أن تقع في العاطفية أو الطراوة ، لجأ الكاتب إلى عناصر تزيد من صلابتها وخشونتها ، وهذا ما نراه بشكل واضح في روايات آلان روب جرييه ، التي لا تعرف الفرح ولا الألم ، ولا تمنح الكتابة بالدموع بالأحلام ، وإنما هي ترف في جو من التأمل الخالص المحايد .

وليس في سطور الرواية من رواياته قيم نفسية أو أيديولوجية ، وإنما تقتصر الحركة فيها على حركة اللغة والصور الشيعية . وكأما الكاتب الروائي يخشى أن يضبطه القارئ متلبساً بعاطفة من العواطف البشرية المألوفة ، إن الإحساسات اليومية المعتادة ينبغي أن تصمت في الرواية الجديدة ، بحيث تصبح الرواية كالفصيدة التي يصفها الشاعر بول فاليري بأنها ، عبد للعقل ، تحتوي كما يقول أيضاً على أشياء لا يمكن أن يتصف بها في العادة أي إنسان ، ذلك لأن الجهد الفني ، شأنه في ذلك شأن العمل العلمي ، يحتوي على شيء غير إنساني ، ومن هنا كانت تسمية الرواية الجديدة ، بالاروائية . . . ولكن . . . هل معنى إطراح النزعة الإنسانية القضاء على الإنسان ؟

كلا ، بطبيعة الحال ، فإن تجريد المضمونات وردود الأفعال النفسية من طابعها البشري بقصد إعطاء العقل الأدب أو الذات الروائية حريته غير المحدودة في التخيل والإبداع ، لا يعني القضاء المبرم على الإنسان ومكانة الإنسان ، فالرواية الجديدة كما يقول آلان روب جرييه ، لا تهتم إلا بالإنسان ، ومكانه في هذا العالم وعلى الرغم من أن الشخصية بمعناه التقليدي لا وجود لها في روايات هذا الكاتب ، فإن الإنسان مسائل فيها باستمرار ، وهذا ما عبّر عنه بقوله :

« الإنسان مائل في كل صفحة ، وكل سطر ، وكل كلمة . . . من رواياتي ، حتى لو وجدنا فيها كثيراً من الأشياء المرسوفة بدقة ، فإن هناك أولاً ودائماً العين التي تراها ، والفكر الذي يعرّد رؤيتها ، والعاطفة التي تغير من شكلها ، والأشياء واقعية كانت أم خيالية ، لا وجود لها البتة في رواياتنا خارج الإدراك الحسي عند البشر » .

ليس الفهم ولكن المشاركة

وهكذا نرى أن إيجاد هذه الأساليب الجديدة في « التعبير » ، الخالية من طابع « التفكير » وما يستتبعه التفكير من منطق أو نظام أو معقولية ، إنما هو مقصود في ذاته لكي يؤدي في النهاية إلى إيجاد عمل فني متكامل ،

يقوم على أسس من نوع جديد ، ويؤدي إلى متعة فنية هي الأخرى من نوع جديد .

ولا يفهم من هذا أن الرواية الجديدة إذ تنبذ الشكل التقليدي القديم تنبذ معه المضامين الإنسانية التي كان يحتويها هذا الشكل ، وما تحتويه هذه المضامين من قيم ومبادئ وأخلاق ، فكتاب الرواية الجديدة في تأثرهم بالمنهج الفنونولوجي الذي وضعه الفيلسوف الألماني هوسرل ، منهج الوصف البحث للظاهرة ، وفي نبذهم في الوقت نفسه لأساليب الرواية التقليدية من وصف سبكونولوجي أو ثيولوجي أو وجودي للأشخاص أو الأشياء أو الأحداث ، إنما يشيدون عالماً جديداً ، وإن كانت لبناته هي لبنات العالم القديم .

فالجديد هنا هو في وضع هذه اللبنات ، وفي إقامة العلاقات بينها ، فالشخصيات موجودة في الرواية الجديدة ، لكنها موضوعة في ظروف لا يشرحها الكاتب ولا يفسرها ، والأشياء قائمة ، ولكن الكاتب لا يكشف لنا عن الطريقة التي قامت بها ، والأحداث تقع دون أن نعرف لماذا أو كيف وقعت ؟ .

وعلى ذلك ، فالقيم والمبادئ والأخلاق كلها موجودة في الرواية الجديدة ، لكنها موجودة بشكل جديد ، أو بشكل خفي أو غير مرئي ، لأن كتاب الرواية الجديدة يمتنعون تماماً عن إصدار الأحكام .

وقد نجبل للقارئ أنه لن يستطيع بحال من الأحوال أن يفهم هذا كله ، أن يحل هذه الألغاز أو يفسر هذه الأحاجي أو أن يعيش لحظة واحدة في صفحة من صفحات الرواية الجديدة ، ولكن توهمه سرعان ما يتبدد ، عندما يعلم أن الكاتب الممتاز من كتاب الرواية الجديدة ، هو من يجعله يأنف هذه العوالم الجديدة ويعيش فيها ، كما لو كان يعرفها من زمان . لأن براعته لا تتمثل في مقدرة على الإقناع أو الإقناع ، بل في قدرته على إثارة الإدراك . ومن هنا كان اعتقاد كتاب الرواية الجديدة على المدرك الحسي لدى القارئ . . . على ما في الكلمة من موسيقى ، وما في المهارة من إيقاع ، وما في الصورة من أبعاد ، سل وعلى ما في الصفحة من تشكيل .

وأقول المدرك الحسي ، ولا أقول المدرك الذهني ، لأن كلمة الفهم لا تعني شيئاً ، فالكاتب الروائي الجديد لا يطلب من القارئ أن يفهم شيئاً لأنه لا يحدو حدو بذاك أو فلوير أو إميل زولا ، أو غيرهم ممن يقدمون للقارئ مادة مفهومة حتى من قبل أن تؤكل ، وإنما كتاب الرواية الجديدة يعتبرون المشاركة هي مهمة القارئ ، مشاركة الشخصية تجريبها ، وحركتها ، ونصرفاتها ، تماماً كما فعل المؤلف نفسه .

ولعل هذا هو السبب الذي جعل كتاب الرواية الجديدة ، يعمدون إلى جعل مهمة القارئ أكثر صعوبة ، وبالتالي أكثر إيجابية ، فالقارئ لم يعد هو المتلقي السببي ، وإنما أصبح المدرك الإيجابي ، وسواء عمد كتاب الرواية الجديدة إلى تصوير الأشياء كما عند آلان روب جرييه ، أو إلى تصوير الواقع كما عند ناتالي ساروت ، أو إلى الحوار الداخلي كما عند



* بركه *



* مالتوس *

مبني بيتور ، فالقارئ مضطر إلى استكشاف ما وراء الكلمات أو ما وراء الوصف الموضوعي ، مما يمكن تسميته بفنومولوجيا الرواية . ومن هنا كانت العلاقة بين كتاب الرواية الجديدة وكتابة السيناريو كما عند روب جرييه ، وبينها وبين كتابة الشعر الجديد كما عند روبير باتجيه ، وبينها وبين الفن التشكيلي الحديث كما عند ناثالي ساروت ، ومن هنا كانت صعوبة بل استحالة ترجمة هذه الأعمال إلى أية لغة أخرى غير لغتها الأصلية ، دون أن تفقد الكثير من أصالتها وطرافتها ، وما فيها من ابتكار وإبداع .

وهذا كله هو ما عبّر عنه آلان روب جرييه بقوله : « إن ما يقدمه الفن للقارئ أو للمتفرج هو طريقة للحياة في عالم اليوم . وللمشاركة في إيجاد عالم الغد ، ولبلوغ هذه الغاية ، تطلب الرواية الجديدة من الجمهور أن يثق في قدرة الأدب ، وتطلب من كاتب الرواية ألا ينجس من الاشتغال بالأدب » .

جدية الرواية الجديدة

والمهم الآن ، أن هذه جميعاً معايير نقدية في أيدي الناقد والقارئ على السواء ، بعكس ما يظن البعض من أن الرواية الجديدة شيء لا تحكمه قواعد ولا أصول ، وبالتالي لا يمكن تمييز الجيد فيه من الرديء ، وبالتالي أيضاً يستطيع أي عابث أو مهرج أن يكتب كما يكتب كتاب الرواية الجديدة .

وليس أدل على جدية الرواية الجديدة ، من انتشارها في هذا المدى القصير ، وغزو كتابها لدور النشر واستديوهات السينما ، وشاشات التلفزيون ، بل ولالجوائز العالمية الجديدة بالاعتبار . ومهما تضاربت الأقوال في جدية الرواية الجديدة ، فالذي لا يمكن إنكاره هو أن الرواية الجديدة اتجه جديد أتى على المقومات التقليدية هذا اللون من الأدب . ولم يكن ليتسنى هذا الاتجاه الجديد أن يجيء إلا في وقتنا الحاضر ، عصر التجديد في الفن التشكيلي واللامعقول في الفن المسرحي ، والسوريالية في الفن التشكيلي ، والموجة الجديدة في السينما والصباحات الجديدة في الموسيقى والغناء والأفلام التسجيلية .

إن الواقع كما يراه كتاب الرواية الجديدة ، أعقد وأعمق وأثري بالمشاعر الجديدة من الروايات التي يمدنا بها الإصدار التقليدي . ذلك الإطار الذي انحصر فيه بلزاك وفلوير وبروست وسيلين وغيرهم من كتاب الرواية الفرنسية ، لذلك فإن الروائيين الجدد يسمعون بالصور والعرض والعمق لابتكار أشكال مغايرة . تعبّر عن أحاسيسهم المغايرة . تلك الأحاسيس الجديدة ، التي عجزت الأشكال التقليدية عن احتوائها ، واحتونها بالفعل الأشكال الجديدة .

غير أن جديد النصف الثاني من القرن العشرين هو الذي سينتج به كتاب المستقبل جانباً ليسمحوا لإحساساتهم الجديدة ورؤاهم الجديدة أن تخرج إلى الوجود من خلال الأشكال الجديدة .

إن كل مدارس الأدب والفن مرحلة ، وهذا شيء طبيعي طالما كان الواقع في تغير ونطور مستمرين . فكل مدرسة تعبّر عن واقع ، وكل واقع متغير ، وهذا معناه أن المدارس الأدبية والفنية لا بد وأن تتغير . وكما اختفت الرومانسية والواقعية والطبيعية والتعبيرية والرمزية والسوريالية ، سوف تختفي الرواية الجديدة ، إلا إذا كان لها ما يبررها من واقع الفن أو الفكر الإنساني المعاصر .

أجل ، إن الرواية تجدد نفسها ، وهي تبحث بإلحاح واحتياج حقيقيين عن « التقاليد الجديدة » ، فلا تقفوا في طريقها ، ودعوها تخرج إلى الوجود لتحب ونعيش ، وهذا ما عبّر عنه آلان روب جرييه تعبيراً صريحاً موجزاً قال فيه : « لا نعرف ما ينبغي أن تكون عليه الرواية ، الرواية الحقيقية ونعرف فقط أن الرواية اليوم ستكون تلك التي سنكتبها اليوم ، وما علينا أن نسبها بما كانت عليه بالأمس » .

نحن .. والرواية الجديدة

والسؤال الآن هو هذا :

هل نستورد الرواية الجديدة شتلة خضراء نزرعها في أرض الواقع العربي ليحذو حذوها كتابنا المعاصرون ؟ وفي رأيي أن الرواية الجديدة نبات أجنبي خالص ، وأن اقتلاعه من أرضه نباتاً أخضر لزراعته في واقعنا العربي المغاير ، إنما هو « تهجين » أدبي لا ينفع وقد يضر ، وإنما الذي ينفع هو استيرادها « ثماراً » ناضجة وطازجة ، نتذوقها ونهضمها لا على سبيل الاستهلاك وإنفاق العملة الصعبة ولكن على سبيل التمثل والاستيعاب ، والإفادة منها في التعبير عن ذاتنا الأصيلة ، برواياتنا الخاصة التي تعبّر عن كل ما فينا من هموم ، وعن كل ما يحذونا من أشواق ، دون أن ننعزل في ذات الوقت عن التيارات الإبداعية في عالمنا المعاصر .

بسم الله الرحمن الرحيم

إعلان مسابقة

يسر النادي الأدبي بأبها أن يعلن
لجمهوره الكريم من المثقفين
والباحثين السعوديين عن مسابقة
ثقافية تخصصية عن هذا
الموضوع :



تعتبر قبائل « شهران » من كبريات القبائل في منطقة عسير ذات أصالة
ضاربة في أعماق التاريخ، ولها إرث أدبي عريق من الأغوار في تحاة حيث تطفئ
قبائل « بني ماجر والجره » ثم يندمج بها « الشعف » و« سهول السراة
معي وادي » « بيضة النخل » والمطلوب إيراد بحثين مستقلين عن هذه القبائل :
الأولى : معجم صغير في الأسماء المشهورة من الأودية والبيات والمردن والقرى والبحر
وموارد المياه والأسواق الإسبوعية والآثار مع إيراد نبذة موجزة عن المعالم العامة منها .
الثاني : لمحة تاريخية عن هذه القبائل وتعداد بطونها وأفخاذها وذكر أسماء المشاهير
من رجالها وشعرائها وفضائلها والإستشهاد بها من أمثالهم وقصائدهم
الماثورة مع التحدث عن العادات والتقاليد في الماضي والحاضر .
الجوائز :- وقررها ستون ألف ريال مقدمة من

الشيخ / عبد العزيز بن عبد بن مسيل

- يخصص لكل صاحب بحث فائز من البحث مبلغ ثلاثين ألف ريال ويمكن
الجمع بين الجائزتين للمسابوق وإصدار التقدير بالبحثين معاً وحاز على درجة الفوز .
الشروط : ١- يكتب البحث بلغة عربية فصلى مع إصباح المصادر .
٢- يطبع البحث على الآلة الكاتبة وتقبل الكتابة بالبراز أو كان الخط جيداً .
٣- يوضع البحث في ملف مرتب ورسل نسختان منه أحدهما الأصلية .
٤- يكتب اسم المسابوق وعنوانه في ورقة منفصلة عن البحث .
٥- تسقى لجنة متخصصة للتحكيم وقرائها نخلص ولها الحق
في سحب الجائزة عن البحث إذا لم تكن مستوفاه .
٦- لا ترد النصوص لأصحابها سواء فازت أم لم تفز .
٧- ترسل النصوص إلى النادي الأدبي بأبها « ص ٤٧٨ » في موعد
أقصاه نهايته شهر ذي الحجة ١٤٠١ هـ .
لهذا وسبقام حفل لتوزيع الجوائز في حينه .
والله ولي التوفيق .

تعريف

وترجمت إلى لغات أوروبية أخرى ، ونالت نساء واسعاً من أعلام النقاد الإيطاليين وغيرهم .
(من مؤلفاته نذكر : درب عشوش
العناكب - الغراب يأتي آخراً - الفيسكونت
المنشطور - السدخول في الحرب - البارون
المتوئب - الفارس اللاموجود - أقاصيص - المدن
غير المنظورة . وقد أعيد طبع هذه الأعمال الأدبية
مراراً متعددة) .

حياته الأدبية بعد انتهاء العهد الفاشستي ، فانتقل
إلى تورينو ، واتخذ منها مقراً له . وهو يعمل منذ
الخمسينات إلى اليوم مديراً للنشر في دار ايتاودي
للنشر في تورينو ، في المكان الذي خلا برحيل
الكاتب والشاعر الإيطالي الشهير (تشيزاره بافيزه) ،
الذي انتحر في أحد فنادق تورينو عام ١٩٥٠ م .
وفي دار ايتاودي نفسها نشرت أقاصيص كلفينو
ورواياته الكثيرة ، وقد نالت شهرة واسعة ،

(يعتبر ايتالو كلفينو بين كبار الروائيين
والقصصيين الإيطاليين المعاصرين . وقد اختط
في القصة والرواية أسلوباً طريفاً خاصاً ، يجمع بين
تصوير الواقع وألعاب الخيال الجموح . وهو من
الأدباء الذين قفزوا في مرحلة الشباب الباكر إلى
مرتبة شيوخ الأدب بسرعة فائقة .
(ولد ايتالو كلفينو في سان ريمو ، على الحدود
الفرنسية ، في مقاطعة ليجوريا عام ١٩٢٣ م ، وبدأ

— المترجم —

حياة زوجيني

القهوة . فما يكاد يبصرها حتى تمر بيدها على شعرها فزفعه عن عينيها ،
وتحاول جاهدة أن تفتحها ، كأنها هي تحجل من هذا الشكل الذي براها
عليه زوجها كلما عاد صباحاً : هذا الشكل المشوش ، والوجه لا يزال في
خمول النعاس . إن الأمر ليختلف كثيراً عندما يكون الاثنان نائمين معاً
طوال الليل ، ثم ينهضان على حالة واحدة : حالة الخارج من النوم
المشترك .

في بعض الأحيان كان يدخل هو إلى غرفتها ليوقظها ، حاملاً إليها
فنتجان القهوة ، قبل أن يدق المنبه بدقيقة واحدة . عند ذلك كان يبدو كل
شيء في حالته الطبيعية ، فتأخذ يقظتها لوناً من الكسل اللذيذ ، فيرتفع
ذراعها العاريان ليطوّفا عنقه ، ويتعانق الاثنان . وكان آرتورو يرتدي
معطفاً مشمئماً ؛ وحين تحسنه بقربها كانت تعرف كم تكون الساعة
عندئذ ، وتعرف ما إذا كان الجو غائماً ، أو كان هنالك مطر أو ثلج ،

كان العامل آرتورو مسولاري يعمل في التربة الليلية التي تنتهي في
الساعة السادسة صباحاً . ولكي يعود إلى منزله ، كان عليه أن يقطع
مسافة طويلة على الدراجة ، عندما يكون الطقس حسناً ، وفي الشترام في
أيام الشتاء الماطرة . فكان يصل إلى المنزل في الساعة السابعة إلا ربعا ،
أو في السابعة ؛ أي أنه كان يصل أحيانا قبل أن يدق منبه السيدة
(اليدة) زوجته ، وأحيانا بعده بقليل . وكثيراً ما كان يختلط في ذهن
اليدة صوت المنبه ووقع الأقدام معاً ، إذ يطرقان سمعها في أعماق نومها :
نوم الصباح الذي بلدّها أن تطيله قلباً ، فتروح ندفن وجهها في
الغدة . ثم لا تلبث أن تتمطى في سريرها ، وتنهض مندفعة ، فتدخل
ذراعها في كمّي الرداء بسرعة عمية ، وشعرها يتهدّل على عينيها .
بهذا الشكل كانت تظهر في المطبخ ، في حين يكون آرتورو قد
أخرج من حقيبته أوعية الطعام والشراب الفارغة التي كان قد حملها معه
إلى العمل ، ووضعها على المغسلة ، وأشعل الفرن ووضع عليه إبريق

عودتها ، كأنها هو بذلك يستقبلها مع بقائه بين جدران المنزل ، بينما تضاء الأنوار في الخارج ، وتطوف هي ببعض المتاجر في وسط الحركة الناشطة في غير أوانها ، في الأحياء التي تكثر فيها النساء السلافي يشتري حاجاتهن وحاجات بيوتهن في المساء .

وأخيراً يسمع وقع خطاها وهي تصعد الدرج مختلفاً عنه عندما خرجت في الصباح : فهو الآن ثقيل بطيء ، لأن اليد مجعدة من عمل النهار ، ومحملة بما ابتاعته من السوق في عودتها . فيهرع آرتورو إلى الخارج للقاءها ويحمل عنها حملها ، ويدخلان معاً وهما بتحادتان . وإذا تصل إلى كرسى هناك على كرسى هناك دون أن تخلع معطفها ، في حين يمضي هو فيفرغ السلّة مما فيها من أشياء . ولا تلبث هي أن تنهض بعد قليل فتخلع معطفها وترتدي ملابس البيت ، ويمضيان معاً في تهيئة طعام العشاء ، وطعام الوجبة التي يتناولها آرتورو في المصنع في الساعة الواحدة ليلاً ثم في فطور الصباح ، وكذلك للوجبة التي يتناولها عندما يستيقظ من نوم النهار . وكانت هي تندفع في العمل أحياناً ، وصوراً تجلس متعبة على كرسى من الخيزران وتقول لزوجها كيف يجب أن يعمل ، لأنه يكون قد نال قسطاً كافياً من الراحة . وكان هو مستعداً لأن يقوم بالعمل كله ، ولكنه يبدو مشغولاً بالذهن يفكر في أمور أخرى . وفي أثناء ذلك يكونان على وشك الوصول إلى الاختلاف أحياناً ، وإلى تبادل بعض العبارات الجافّة القاسية ، إذا تطلب منه هي أن يكون أكثر انتباهاً في العمل وأشدّ اهتماماً به ، أو أن يكون أكثر تعلقاً بها ، وأشدّ قرباً منها لينحها التعزية والراحة النفسية . أما هو فبعد الحامسة التي كان يلقيها بها عند وصولها ، كان تفكيره يأخذ في الانصراف إلى خارج المنزل ، وعليه أن يسرع في العمل لأن موعد انصرافه أصبح وشيكاً .

وما أن تُعَدّ المائدة ويصبح الطعام كله في متناول اليد فرفقها ، لثلا يضطرا إلى النهوض عنها في أثناء العشاء ، حتى تأتي اللحظة التي تنغص عليها حياتها ، لأن وقت بقائها معاً قصير جداً ، لها يكادان يجدان وقتاً كافياً لرفع الملاعق إلى فمها ، لتظل يداهما متشابكتين في حنان والفة لذيدة . ولم يكن آرتورو ينتظر ريثما تسكب القهوة كلها من مصفاة الإبريق ، بل يسرع إلى دراجته ليطمئن إلى أنها في حالة جيدة . ثم يتعانقان وكان تلك هي اللحظة الوحيدة التي يشعر فيها آرتورو بدفء زوجته . ثم لا يلبث أن يقود دراجته ويبسط بها الدرج . وتمضي اليد فغسل الصحون ، وتعيد ترتيب المنزل كله ، حتى الأشياء التي رتبها زوجها من قبل ، فتعيد ترتيبها وهي تبرز رأسها متذمرة ، في حين يمضي هو على دراجته مسرعاً في الطرق المعتمة التي لا ينيرها إلا عدد قليل من المصابيح الخافتة ، ولعله قد تجاوز مكان مقياس الغاز . بعد ذلك تأتي اليد إلى سريرها وتطفئ النور .

حسب برودة المشمع أو رطوبته . ومع ذلك كانت تسأله : « كم الساعة الآن ؟ » فكان يبتسم ابتسامة شبه تهكمية ، ويمضي يتحدثها عما لقيه في ليلته من حوادث مزعجة ، مبتدئاً من النهاية ، أي من ركوبه الدراجة في العودة ، والوقت الذي غادر فيه المصنع ، وهو يختلف عن الوقت الذي دخل إليه في الليلة السابقة ، ويحدثها عن الخصومات في المصنع والعمل ، والأحاديث التي تدور هناك ، وهكذا .

في تلك الساعة يكون المنزل قليل التدفئة ، فتمضي ، رغم ما تشعر به من برد ، ويمضي هو بهدوء فيخلع ملابسه العليا ويغتسل ببطء ، ويمسح

وتنتبه أليدة حالاً فتقول : « يا لله ! كم الساعة الآن ؟ ! » وتهرع لارتداء ملابسها في حركات سريعة ، ثم تمضي الفرشاة في شعرها صغوراً ونزولاً ، وتنظر في المرأة وما تزال مشاكب الشعر بين شفتيها . فيقف آرتورو خلفها وقد أشعل سيجارة وراح ينظر إليها وهو واقف يدخن ، وفي كل مرة يبدو عليه الاضطراب والانفعال لأنه لا يملك أن يفعل شيئاً . وإذا انتهت اليد من تصفيف شعرها ، ترتدي معطفها وهي تسرع الخطى في المسر ، فيتبادلان تحية خاطفة ، ثم تفتح الباب ، فما يلبث أن يسمع وقع خطاها سريعة على السلم .

وكان آرتورو يبقى وحيداً يتابع وقع أقدام أليدة وهي تنبسط وسط الحديقة ، حتى إذا لم يعد يسمع خطاها البعيدة ، راح يتابعها بأفكاره ، فيسمعها تحت الخطى في الحوش ، ثم في البوابة ، ثم على رصيف الشارع حتى موقف الترام . وكان يسمع جيداً صوت الترام حين يقف وتتدافع الأقدام صاعدة على درجاته القليلة . وعند ذلك يقول في نفسه : « لقد أقلها » . ويتصور زوجته وهي في وسط جماعة من العمال والعاملات في الترام رقم (١١) الذي ينقلهم إلى المصنع ، كعادته كل يوم . ثم يطفى عقب السيجارة ، ويغلق النافذة ، ويضطجع على سريريه في ظلام الغرفة .

إن السرير لا يزال كما تركته أليدة من جهتها حين نهضت منه ، أما الجهة الأخرى فلم يمسه أحد ، فكانها رُتبت في تلك اللحظة .

★ ★ ★

وفي موعد عودة أليدة في المساء يكون آرتورو قد نهض وراح يطوف بغرف المنزل ، وقد أشعل المدفأة ، ووضع شيئاً للطبخ . لقد كان يقوم ببعض أعمال المنزل في تلك الساعات التي تسبق العشاء ، كأن يرتب السرير ، ويكنس الغرف ، أو يضع الملابس التي تحتاج إلى غسل في الحمام . وكانت أليدة ترى أن كل ما يعملها إنما يؤديه بطريقة خاطئة ؛ غير أنه لم يكن يبالي بذلك ، فقد كان همه أن يتشغل بالعمل في انتظار

صغير على أمي

في ذلك اليوم البعيد ، دخل أذن المدرسة علينا قاعة الدرس ،
لبقرب من طاولة معلمنا « زاهد أفندي » ، ويقول بصوت خرج من
رأس شفثيه : « حرمة في الباب ... نطلب ابنها ! » ، مومناً بيده إلى
التلميذ الصغير ... الذي لم يكن إلاي !

أمي ، في باب المدرسة ، تطلبني ؟!

كان قد شتَجِرْ ، قبل أيام ، بين أمي وأبي خلافت شديد ، بينما
كنا نحن الصغار نستعد للذهاب إلى المدرسة ، تدخلت فيه جدتي ،
كعادتها ، مناصرة ابنها . ولما عدنا من المدرسة ظهراً ، لم نجد أمنا في
البيت . وعلمنا أنها ، بعد ذهاب أبي إلى عمله ، ألقت ملاءتها على
رأسها ، وضمت إلى صدرها وليدتها الصغرى ، التي لم يتجاوز عمرها
ثلاثة أيام ، ومضت إلى بيت أهلها ، في حرّو بعلم الله كم يطول !
والجدة ، الصارمة ، لم تحاول منع أمنا من مغادرة البيت ، بل إنها فالت
بعد انصرافها على مسمع عن حوها : « لسوف تنالين جزاءك
عاجلاً ، يا « فضيلة » ! كم نصحتك لما انتصحت ! » ، بذلك
همست في أذننا فيما بعد زوجة عمنا الأكبر .

لفحني ، في خروجي إلى باحة المدرسة ، برّد ارتعد له جسمي
الصغير ، فضلاً عما خالجي من خوف ومن نوقع للمجهول . وإزاء
أمي ، المنجلية بالملاءة السوداء ، وقفت في عتبة الباب ، مثل متهم
صغير مجرم كبير لم بقترفه ... لا ، ولا شارك فيه أو رضي به على
الاطلاق ... فاشتبهت ، حقاً ، ربشة في مهب ربح !

★ ★ ★

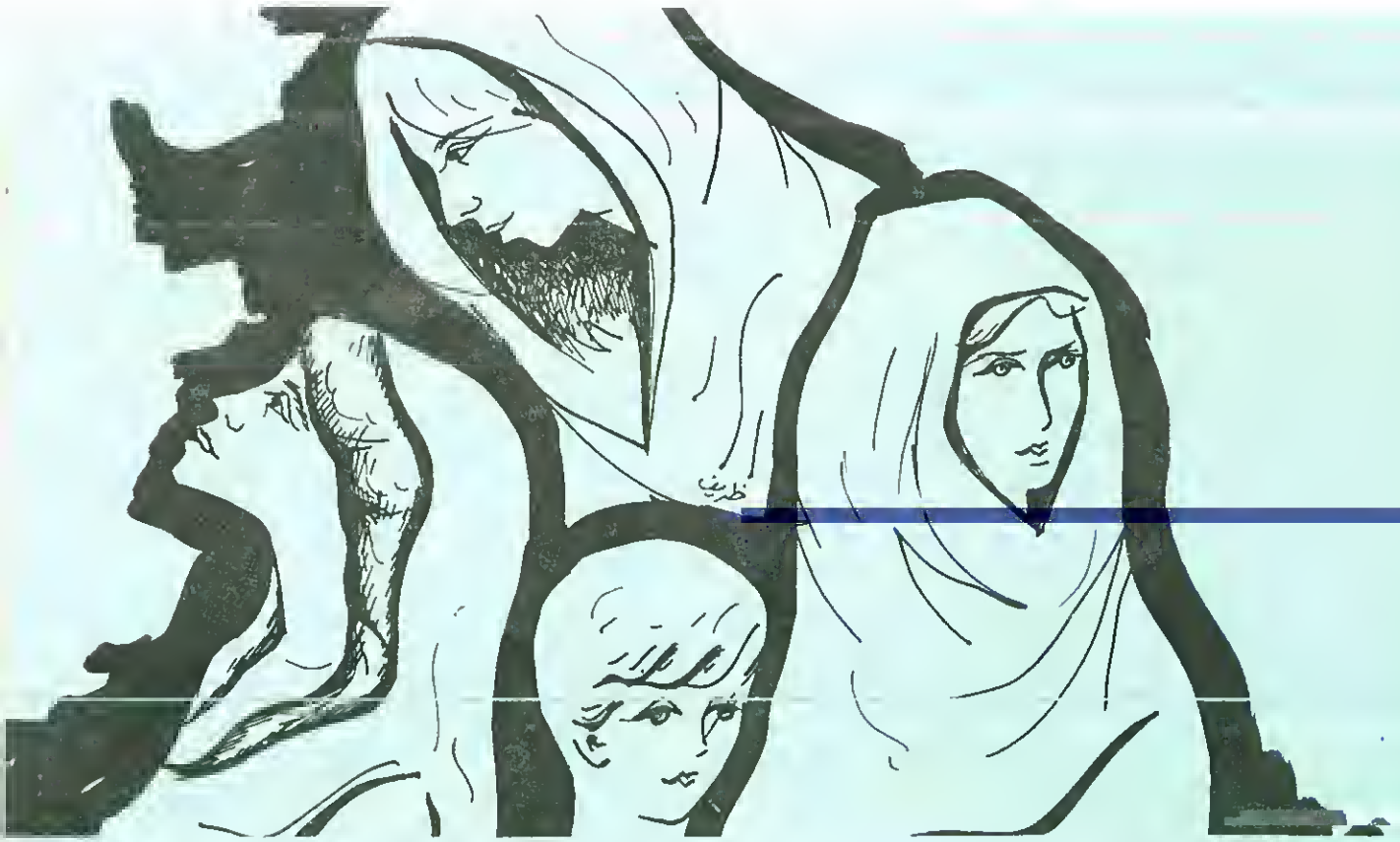
كان أبي قد بدا لنا ، في تلك الفترة من حياتنا ، دائب الشجار مع

أمي ، التي كانت قد أنجبت له - عدا الوليدة الجديدة « ريم » - خمسة
براعم : بنتان وثلاثة صبيان . وكان ما برح يتوعدنا بأن يأتي لنا
بـ « ضرة » ، إذا هي لم تصبح زوجة طيبة ومطبعة ! وكنا ، نحن
الصغار ، نحار في معرفة ما ينبغي على أمنا أن تفعله حتى تنال رضا
أبينا ، فيكف عن التلويح بوعيدة ، ونحن الذين نراها تنهض في الصباح
الباكرة ، توظف المتكاسل منا ، وتغسل الوجوه ، وتلم الفرش المدودة على
الأرض ، قبل أن تُقدم لنا طعام الفطور . وفي غيابنا في المدرسة ، نطبخ
وتنفع ، وتغسل الأواني والملابس وصحن الدار ... سلسلة من الأعمال
متزايدة ، بتزايد الوافدين على البيت من أطفال يُنجبهم أبي ،
المتوعد ، وما كانوا يهبطون علينا من السماء .

منذ أخذت بطن أمي ترتفع بجنينها الأخير ، لاحظنا أن أبي قد مال
إلى مهادنتنا على نحو ظاهر ، فخف ما بينها من شجار ، وكف هو عن
ترديد وعيده . ظننا أن ذلك كان منه مراعاة لما تستعد له زوجته من
عطاء الأمومة ، مع أنه لم يبد نحوها شيئاً من عاطفة الحنان . وقد ظل
كذلك حتى ما بعد ولادتها بأيام ثلاثة ، ثم نشب فجأة بينها خلاف
شديد ، لم تجد معه النُفساء مناصاً من أن تحمل وليدتها ، وتمضي إلى
بيت أهلها !

هل كان ذلك أمراً مبيتاً ، من أبي ومن أمه الداهية ، أعدا له
بتدبير وإحكام ؟

غادرت أمي البيت في ماعة ضحى . وقد افتقدناها في عودتنا من
المدرسة للغداء . كانت قد نركت لنا « رضوان » الصغير وذعبت
بأختنا الجديدة وحدها . وفي المساء ، كان شيء ما ، مريب ، بفع في
بيتنا !



— أبوك تزوج علي، يا أنيس!!

«فعددهم خمسة!»، تُصيح أخرى: «بل ستة. فعنده طفلة أخرى عمرها ثلاثة أيام، أخذتها أمها معها!». وشهقت إحداهن، ويدها على صدرها: «أولاد مثل الزهراء!». ... كن يتفرّجن علينا، يا أمي، وكأننا حيوانات اليفة في قفص!

— هل هي حلوة، يا أنيس؟

لم نرها، تلك الساعة. فعندما ملأت الزغاريد أرجاء الدار، والغربيات يتقدمن بها نحو الدرج، كان الغم قد ملك نفوسنا. قت أطفئ الكهراء، وسعدى تحضنا:

«ابكوا يا أولاد! أبوكم يتزوج على أمكم!».

وفي العتمة، أخذنا نعلو، وكأننا في برية موحشة، يا أمه! ضحى اليوم التالي، كانوا مجتمعين في غرفة جدي. كانت هناك زوجة عمي، والمرأة الجديدة، وامرأتان من الأعراب، وبينهن أبي وعمي.

طعام يوم الجمعة كان يُعد، وقد أرادوه أن يكون «كبة» أنواعاً. طلبوا אחتي. أهبّت بها: «لا تذهبي، سعدى! لقد غُددروا بأمننا!». ولكنها كانت حريصة على أن تتعرف إلى المرأة الجديدة! هناك أخذت تُساعدهم في إعداد الغداء. بين وقت وآخر، كانت إحداهن تحتاز المسافة ما بين غرفة الجدة والمطبخ.

وفي صحن الدار، رأيتها، يا أمي! كانت مكحلة، محمرة، مُبَوَّرة، وعلى خديها قرصان أحمران كبيران. ليست جميلة على الإطلاق. تلك اللحظة، كانت سعدى عائدة إليهم، فالتقت بها في صحن الدار. رأيت אחتي، المنظومة، تربت خدّها، قرب شجرة «العسلة» البابسة، قائلة لها: «تسلمي لي، ما أحلاك،

في باب المدرسة، وقفت، وجهاً لوجه أمام أمي الملتفة بالملاء السوداء، أرتحف من البرد، ومن الحزن، ومن إحساس بالذنب جعل يسوط ضميري ويعذبني.

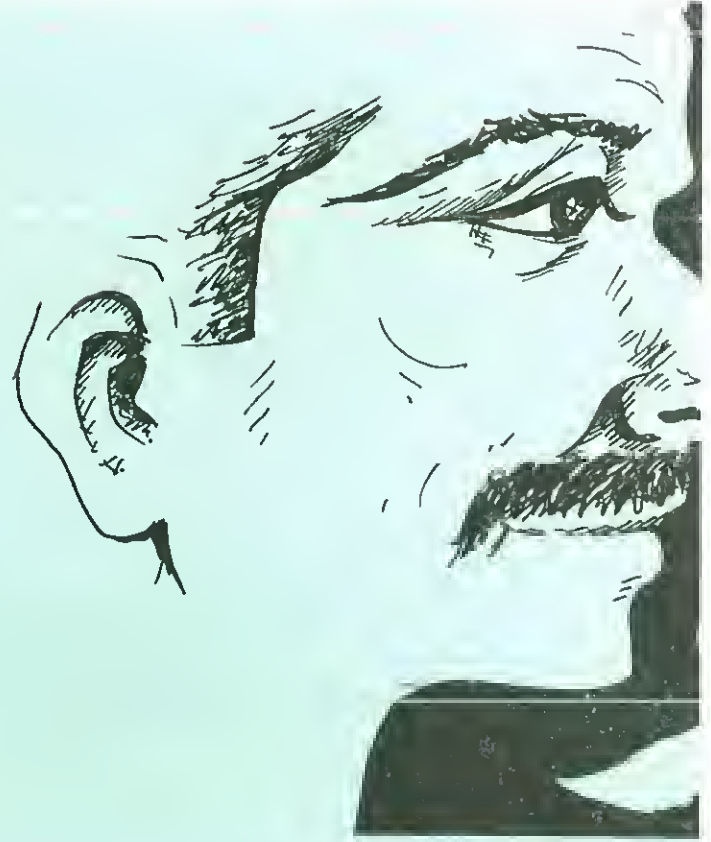
كنت أكبر إخوتي الذكور، وتكبرني אחتي «سعدى» بعام وبعض العام، وتليني «ملكة» و «عامر»... ولست أدري كيف تمكّن مني — أنا الصبي الذي لم يتجاوز العاشرة — شعور بأن الملوم في زواج أبي، وأنه كان علي أن أشول دون وقوعه، ولكنني لم أفعل في سبيل ذلك شيئاً أي شيء!

في ذلك المساء البارد، كنا، أنا وأخوتي الكبرى، نجتمع الأولاد في تلك الغرفة المرمية في أقصى الدار. مصباح شاحب، منقل تحبسو جذوته، بساط وطراحة، وشباك وحيد يطل على أرض الدار لولا أن يقطعه ذاك الدرج الصاعد إلى العلية.

ترامت إلى أسماعنا أصوات. وقفنا، وراء البساط والشباك، نستطلع. حتى «رضوان» الصغير أحسب أن يشاهد، فرفعته بين يدي. «يا الله! فيه أحد، يا جيران؟».

كانوا رجالاً غرباء. وما كان لنا أن نفارق الغرفة، كذلك حذرتنا الجدة. ولكن الغرباء أقبلوا، هم، نحونا. كانوا يتعمّلون على اكتنافهم ما يشبه أن يكون متاع بيت، صعدوا به الدرج إلى العلية. وكان برفقة الغرباء نسوة، غريبات أيضاً!

ارتفعت الرّيح رايدي، بعد دقائق معدودة أن غداً تُفجر في بيتنا، وأنت غائبة، يا أمي! بعض أولئك الغريبات كن يتوقفن، في صعودهن الدرج، وراء الزجاج، ويحملن فينا بعيون مفتحة:



يا خالتي !» .

تَزَوَّجْتُ أمي المأ ، مرارة ، فهرأ :

— آه ، ويسرقون مني أولادي !!

— ولكني أومات لابنتك أن تأتي ، يا أمي . وأمام إخوتي سألتها :

«لماذا تتوددين إلى الغربية ؟ إنها ضرة أمك !» . فانتزعت ،

فجأة ، من بنصرها خاتماً صغيراً ، ورمته أرضاً ، وأخذت تبكي بحمرة :

«لن أقبل ، بعد اليوم ، هداياها !» ، وانضمت إلينا . فلما

عرف أبي ما حدث في غرفتنا ، أنبل علي صائحاً : «مشاكس ،

عنيذ ! لن تكون أسعد حالاً من أمك !» . وضربني ضرباً مبرحاً

أمام إخوتي . ولكن عيني ، أؤكد لك ، لم تذرف دمعاً واحدة ، يا أمي !

— ويلاه ! اليوم ، بدأ الظلم والتعذيب بأولادي !

لم تذرف عيناى دمعاً وأنا أتلقى الضرب من أبي . ولكن

الدموع كانت قد غسلتني غسلأ ، لحظة أخذت أمي رأسي بين

يديها ، لتمس بشفتيها على شعري وجهي وعنفي ، فتخلط دموعها

بدموعي .

— أرايت ما يفعل أبوكم بي ، يا حبيبي ؟ نفساء ثلاثة

أيام ، يزعلني وينخن بدنني ، حتى أذهب إلى بيت أهلي

صباحاً ، والطفلة على يدي ، فيتزوّج هو في المساء !! إنه

يريد أن يقتلني ، يا أنيس !

تبين لي الآن ، أكثر من أي وقت مضى ، مبلغ القسوة الكامنة في

قلب أبي . إنها قسوة لا بعدها قط ما اعتاد أبي أن يشكّي منه من

تصرفات أمي .

كنا نعرف أن أمنا تأوي بنا إلى النوم ، في بعض الليالي ، وقد نال

التعب والإعياء منها كل منال . في حين يكون أبي منصرفاً إلى شأنه خارج البيت . وساعة يعود في منتصف الليل ، تكون أمي قد أوصدت باب غرفتنا بالمزلاج . هو يخبط الباب من الخارج ، وهي تقول له بعناد : «عد من حيث أتيت !» . وما كنا ، نحن الصغار ، نعرف من أين يأتي أبونا متأخراً ، ولا إلى أين يجب أن يعود ! ولكننا نعلم أنه يضطر ، آخر الأمر ، إلى المبيت عند أمه .

وفي الصباح ، تدافع أمي عن تصرفها أمام حانها : «لا أريد بقية زوج !» . وجدتي نحرها : «إن ظلمت ، يا فضيلة ، على هذا العقل ، هه (وتمسك بخصلة من شعرها الخنثى) إذا لم ينطقك بضرة !» .

سؤال حائر ونب إلى رأس لساني ، والدمع ما زال يسح من عيني : لماذا ... لماذا كنت توصدين الباب دونه ! أهذا ما جعله يأتي إلى بيتنا بالمرأة الغربية ، يا أمي ؟!

— لو انفطر قلبي من الحزن والقهر ، وتركتكم إلى القبر ، يا ولدي ، ترى من يعتني بكم ، ويغسل لكم ، ويغطيكم في الليل ؟ آه ، يا حبيبي ! إن الجيران ، الذين سمعوا الزغاريد عبر السطوح ، أوصلوا إلي الخبر ! في ذات نفسي هنتف : ويجهم ! ولماذا نقلوه ، وهم يعرفون أن أمي في النفاس ؟

— صبروا خمسة أيام ، وأخبروني البارحة . إذن ، فقد تزوج يوم الخميس ، حتى يتفرغ لها نهار الجمعة بطوله ! واي غرفة أعطوها ؟

— العلية .

— ولي أنا ولأولادي الستة ، الغرفة تحت الدرج ! يرضاها ربنا ؟ ما اسمها ، يا أنيس ؟

— «درية» .

— تَلْبِق لها الأسماء ! هل تعرف عمرها ؟

— سمعتها تقول : «عمري عشرون سنة إلا سنة ا» . فنهرتها جدتي : «قولي : ١٩ سنة ، يا درية ا» .

— آه ! وأميه أيضاً ، يا ولدي ، لا تعرف العدد أكثر من العشرة ! لم يعطوه أبا الستة ! طرق أبواباً كثيرة ، حتى وجد هذه «الدرية» . أين سمعتها تنطق بعمرها ؟

— في بيت جدتي . بعد أن ضربني أبي ظهيرة الجمعة ، جاءت زوجة عمي تسترضيني ، وهمت في أذني أنه ما كان يجب أن يضربني . وأخذتني إليهم . وهناك قبّلت يده .

— وهل قبلت يدها ، ابني ؟!

— لا ، أمي . هي قبلتني من جيبني ، وقدمت لي حلوى .

— آه ، يا ربي ! من أين جاءنا هذا البلاء الأعظم ؟ قبل الضرة ، ما كانت حياتي معه تطاق . لن أعود ولو قطعوني وفرموني ! آه ، يا ولدي ! من يغطيكم في الليل إذا انحسر عنكم اللحاف ؟ من يقدم لكم الطعام ثلاث وقعات في اليوم ، أو أربعاً ؟ من يغسل لكم ؟ من أشرف على استحمامكم الأسبوع الماضي ؟

— أنا وسعدى ، يا أمي .

— والغسيل كومتموه : من يشله ؟ ... آه . من نساد

أبيك ، يا ولدي ! رجل ما في الدنيا أسوأ منه ! هل تعدني أن تكون إلى جانبي دائماً ، يا حبيبي ؟ (وطوقتني بذراعها ، ودموعها تنهمر على وجهي) تنصرتني عليه ، هذا الظالم الذي عذبتني وأهانني ! تجبر خاطري ، يوم تصبح رجلاً ، يا ولدي ، يا حبيبي ، يا أنيس ؟ ...!

★ ★ ★

لم تغادر أمي باب المدرسة ، إلا لحظة تراسى إلينا رنين الجرس . فركتني مبلبل الوجه ، مكلوم الفؤاد ، مغمم القلب رجاء في أن أشد من أزرها متى أن لي أن أشب عن الطوق .

ما خطوط سوى خطوتين ، حتى وجدنتي وجهاً لوجه أمام زاهد أفندي ، الذي بدا لي كما لو أنه كان كامناً وراء الباب . استوقفتني ، وراح يستفسرن بفضول زاد في إيلامي :

« هذه أمك ، إذن ؟ ما سبب خلافها مع أبيك ؟ منذ متى وهي حردانة في بيت أهلها ؟ كم عدد إخوتك ؟ وهل جدتك قوية إلى هذا الحد ؟ » ...

وأكثر ما أثار غضبي تساؤله :

« ولكن ، لماذا تزوج عليها أبوك ؟ إنها حلوة ! » .

في البيت ، كنمت عن أهلي خبر زيارة أمي ، وما أسررت به إلا لأختي سعدى وملكة . بدأنا نألف وجود « زوجة الأب » بين ظهرائنا ، بمقدار شقائنا من غياب الأم الحاتية الخدم .

جدتي ، الداهية ، تركت الأيام تكرر ، أملاً في تليين عريكة الأم الغاضبة الجريح ، وفي إثارة حنانها وعطفها على فلذات الكبد المتروكين . حتى إذا تراءى للجدة أن قد آن الأوان ، بعثت بنا — نحن الأولاد الخمسة — إلى أمي ، برفقة زوجة عمنا التي لم يُقدّر لها أن تُنجب ، وذلك بعد أن تم تلقيننا درساً في أن نرفع أصواتنا بالبكاء لحظة نلتقي

بأمنا ، وأن نرغمي في أحضانها ، متوسلين إليها أن تعود بصحبتنا إلى البيت !

لما رأى جدي ابنته ، تضعف أمام عاطفتها الدفاقة ، أخذته العزة ونارت في نفسه الكبرياء ... فأنشأ يقول ، ولحيته البيضاء ترتجف من الانفعال :

— « اسمعي ، يا بنتي ، يا فضيلة .. زوجك لا يرجى منه خير ، ظالم ومتغطرس ! تذكرني قولي : ستجدين أمامك درياً طويلاً من الظلم والعذاب والشقاء ! لولا أن عندك منه ستة أولاد ، لحملتك على أن تركيه ، وأنت في ريعان شبابك ! » .

والنفت إلى زوجة عمي :

— « لماذا لم يكلف نفسه ، صهري العزيز ، عناء الجنيء إلينا لاصطحاب زوجته ؟ خجلان من فعلته ؟ أم لأننا أفقر منه حالا ؟ سلّمي لي عليه ، وفهّمي أن القرش لا يجلب سعادة ، ولا يجعل من الظالم إنساناً عادلاً ! » .

عادت أمي كسيرة المخاطر إلى بيت الزوجية ، لتعيش على نحو ما وصف جدي . وإنها لتسمع من حماها ، كلما ثارت فيها كرامة الزوجة المطعونة : « كم قلت لك يا كفتي ، فما سمعت ! » .

والعلم ، الذي استرق السمع والنظر ، يسألني كلما عن له : « ألم تعد أمك إلى أبيك ؟ » ... ومنذ قلت : « عادت » ، تغير سؤاله : « هل تجدد الشجار بينهما ؟ هل تعيش الضرّتان في وئام ؟ وأبوك ، هل يُفضل الأولى أم الثانية ؟ » . والله درّه ! لقد ظلّ زمناً يلاحقني بتساؤلاته السخيفة ، التي لم أكن أملك الاحتجاج عليها ولا نقلها إلى أمي أو أبي ... وما كف ، إلا بعد أن شاع بيننا نحن تلامذة المدرسة أن « زاهد أفندي تزوج بثانية ! » .

وفي سلسلة المظالم ، التي أحكم طوقها حولنا منذ وطئت زوجة الأب درج العلية ، سمعنا زوجة عمي ، العاقر ، تردد : « نزلوا عليها ضرة ، ولم ينفع لها أنها أعطتهم ستة أولاد جواهر ! » . ومن يومئذ ، ازدادت تقرباً من حماها ، وانحيازاً ضد أمي ... أمي التي ظلمت تعطي الأسرة أولاداً ، ثم لا تلقى إلا الظلم والجحود .

وأما أمل أمي ، في أن أشد من أزرها وأدفع عنها ما يحقّق بها من ظلم ، فقد كان يتصاعد مع الأيام تصاعد ما تتلقاه أمي من عناء وشقاء . فأورثني الوعد ، الذي قطعته على نفسي ، همّاً ثقيلاً حملته على كاهلي قبل الأوان ... وما كان أصغرني على حمله ومعاناته ، وأنا أدرج في مراتع اللهو وملاعب الصبا !



بقلم : عبد الله عمر باحکم

الحبيبة

أوه .. « الفلوس » .. لا تعني شيئاً إطلاقاً .. فالمرء غني بذاته .. لكن نقوده لا شيء ..

وقد يعتصر القائل الضياع وفقدان الأهمية .. لو رأى امرأته تكاد تحن من أجل الحصول على فستان أعوزه ثمنه .. يتأملها وهي « تتعذب » كأنه يشاهد قطعة جائعة .. حرماً من « ورك » دجاجة ميتة .. أما الصغار .. فلا جدال في أهمية النقود عندهم .. وأهميتهم وهي معهم وقناعتهم بذلك مطلقة ومؤكدة .. بعد ما رأوا .. أنها الوسيلة الوحيدة .. التي تجلب لهم حبيبات « البلي » الزجاجية الملونة .. والمزيد من زجاجات « المياد الغازية الفوّاره » ، وكافة أنواع « الحلوى » .. واللبان « البلّوني » .

حساباتهم كثيراً ما تبدأ هكذا :

قطعة اللبان بقرش واحد فقط .. وأربع « بليّات » بقرش آخر .. أيضاً .. فما مقدار ما تجلبه خمسة ريالاً .. العديد .. العديد .. من مثل هذه الأشياء الجميلة المفرحة .. وأما العشرة ريالاً .. فتلك إذا ثروة بلا شك .. ولهذا فداثماً ما يقتنعون بطلب قرش واحد لا غير .. من آبائهم وأمهاتهم .

أحياناً .. يثب الصغير ناحيتك .. ويقف تجاهك .. ويخبرك في زهو من عَقَدَ صفقة نادرة مربحة بأن عنده اليوم « فلوساً » كثيرة . تسأله :

هذه حكاية عن طفل صغير ، في يوم عيد ؛ يوم الصغار المنتظر ! والعيد يوم نهى فيه أنفسنا للفرحة ... ! إنه يوم فرحة حتمي .. وعيد الصغار لا يكتمل إلا بالنقود ..

وما ألد النقود !! وما تشتريه من أشياء !

إنها « شيء » مفرح بذاتها ، لا تأتي « مكلمة » للعيد .. لا .. فهي كل العيد . ينسى الصغير عداها كل شيء ؛ وبدونها لا يفرح بأي شيء .. !

يا لتلك السعادة الفياضة ؛ التي تتركها في النفوس تلك الوريقات الزاهية ، الملونة ، الراضة .. ؛ غامرة القلوب بالبهجة .. والتي تأتي بأشياء كثيرة !

أية أعجوبة صنعها الإنسان .. ليسعد بها نفسه ؟ !

والنقود .. ليست شيئاً صالحاً للتغزل . لكن ما تفجرّه في النفس من براكين الفرح ، والثقة بالذات ... شيء لا يمكن تصويره !

يكفي أن تمتلك كمية منها .. وعليك مظاهر ما أمدتك به تلك الكمية ؛ لنحس حينئذ بطاووس يتقمصك .. وأنت تسير سعيداً مختالاً .. توزع على الناس شذى أريجية متوسمة ، تطل من بين قسائك . وليس ضرورياً أن تكون واهباً .. بل يكفي أن تكون مالكاً لها .

والكبار دائماً ما يكونون أقل صدقاً مع أنفسهم ومع غيرهم .. وهم

يرددون :

كم ؟ فبرد مؤكداً بأن معه خمسة ريات كاملة . ولا ينكمش أو يهتز كما تتوقع من جراء التفاوت بين حديثه عن الثروة التي يملكها اليوم وتصريحه بأنه لا يملك شيئاً غيره . بل يخشى أن تستكثرها عليه أو تسرق بعضها منه . لا تفكر ملياً أنت وبلا قصد تستنكر قائللاً : - خمسة ريات « فقط » ؟ ! .. يجير الصغير موقفك ويظنك لا تعرف قيمة المال ! لا زلت أتذكر تلك السعادة الجبارة .. التي تفجرت كالنهر .. في نفس صغير - رأيته ، أعرفه ، وتتبع وجهته - كان يلبس ثياب عيده الجديدة ، ويحمل في جيبه عشرة ريات كاملة .. ورقة خضراء .. تسر الناظرين .

من في مثل سعادته ساعتها ؟ لا أحد مثله إطلاقاً !

عشرة ريات كاملة .. حصل عليها بلا صراخ ، وبلا زعيق ! وقد كان يمثل الغضب والهيحاج .. إلى حد الاضراب عن الطعام ، أو التهديد بترك المنزل .. حتى تنفخه أمه نصف ريسال .. أو بضعة قروش .. يشتري بها مؤونة يوم كامل من اللبان . أما - ومعه عشرة ريات - فقد ظن أنه غدا في أهمية الكبار تماماً ، وبحوزته مثل ما يمكن أن يملكوه من نقود ! فبوسعه أن يقصد متجرأ « للحلويات » ويحصل على تشكيلة رائعة منها .. يفتتح بها بدوره متجرأ ..

وبمقدوره أيضاً أن يشتري بعض ما يشتريه الكبار .. وعلى كل فهو « العبد ميادة - سليلات - ما زان » صغيراً بُت فيه بالحكمة لأول « تصرف » عن هذا التفكير .. وإلا لتخيل أن بإمكانه اقتناء سيارة ! وما معه كافو لا يتباع عربتين صغيرتين من تلك العربات التي تسير بالبطارية والتي كان يظن - عندما كان أصغر قليلاً - بأنها ربما تكبر معه ، ولا زال يتذكر ذلك اليوم .. ويتعجب !

وتدأخل في نفسه خواطر عن ما يجب أن يفعله الكبار .. ويحسن به أن يقلده .. وما تجر به على الاتيان به عواطفه من تصرفات .. هي تصرفات الطفل الصغير !

فهو يهوى اللعب بكرات البلي الزجاجية الملونة ، ويغرم بتناول الحلويات ويتلهف على الجري والوثب أمام منزله .

وتتحسس ما معه .. عشرة ريات كاملة .. تنام في جيبه .. يظنها كافية لشراء خروف .

ماذا لو حمل « خروفاً » إلى أمه ؟ !

ستدهش حقاً .. وتطري رجحان عقله ! .. وتحس أنه قد كبر .. ولم يعد طفلاً يبعثر النقود .. وأصبح قادراً على شراء الأشياء « الكبرى » مثل أبيه !

لكن العشرة ريات هذه لن يحاسب عليها .. فهي « العبدية » التي

كتب عليها أن تضيع وأن تنفجر « صواريخ ورقية » ولفيفات مفرقة « فراقيع » كفتابل الجند الحقيقية تخيف الكبار أحياناً بقدر ما تضحك الصغار .. وغلاً أذهانهم حبوراً ، وتنظير مع أعواد « نجوم الليل » الفسفورية .

إنه عيد .. يجب أن نفرح به .. وتلك هي أبرز صور اللهو والفرحة فيه ، صغيرنا مضى ، يطوف « بالجواري » والأزقة . يقف إزاء متاجر اللعب الصغيرة ، و « المباسط » المصفوفة على جوانب الطرق ونواصي الشوارع والتي تظهر مع كل عيد .. يلف ويدور ، يبحث عن الجديد لينتقيه ..

يدخل المحال بجراة منتصباً واثقاً بنفسه ، لا يعتره وجل ولا تلعثم ، يراوده إحساس بأن الكل يرحب به .. كيف لا ! ؟ وهو قادر اللحظة على أن يخرم عين أي كبير - يستهون بشانه - بورقته الخضراء هذه ! وتوقف متأملاً ما هو معروض فوق إحدى « المصاطب » المنصوبة في ركن شارع ؛ كل ما عليه « لعب متنوعة » ، وتخلو من الحلوى الرخيصة الثمن .. واللبان .. لذا لم تكن هدفاً لجلس الصغار ذوي القروش القليلة ..

كان الوحيد الشجاع الذي وقف أمامها متفحصاً .. تمنع المعروضات بروح من العزم على امتلاك إحداها وشعور الإعجاب بما يراه .. وعندما خاطبه البائع أحسن تاماً بمقدار ما في عباراته من إغراء له وحسب على الشراء ..

وقبل أن يمسك البائع بأرخص الموجود ليريه له ، وقف شيخ عجوز رث الثياب ويصوت خفيض فيه ضعف طلب منه أن يعطيه بعضاً مما أعطاه الله .. وشرح الشيخ موجزاً حالة ابنته الصغيرة وحاجتها إلى دواء لا يقدر على شرائه .

حاول البائع أن ينهره وقد ارتسمت بخاطره صور شتى لأساليب الاستجداء ، لكنه أحجم وتردد ودون أن يدعه يكمل وصف أزمته أو يعاود السؤال قال في لامبالاة : - إن الله كريم أيها العم . وهو بهم بأن يعرض على الصغير اللعبة التي اختارها له .. ويتأهب لأن يسرد له مزاياها ..

لم يترك صغيرنا لنفسه فرصة للتفكير يقتنع خلالها أو يتيقن من صدق حاجة ذلك الشحاذ لتلك النقود .. رغم كثرة المستجدين .. وإعراض الكثيرين عن التصديق ولم تقيدته رغبة التملك .. فقد شدته المأساة .. وثار في نفسه دوافع الشفقة ودعاه داعي الإحسان على المسكين والعطف على الضعيف ، وبلا تردد أخرج النقود من جيبه .. العشرة كاملة .. سلمها للشحاذ وقال في عزم وصدق وصفاء سريره : - خذ .. اشترى الدواء .

كتاب الحيوان للجاحظ

تحقيق وشرح : عبد السلام محمد هارون
(الفائز بجائزة الملك فيصل العالمية للأدب العربي هذا العام)

الطبعة الثانية ١٩٦٥م

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

إعداد وعرض : روتية صالح طه



التعريف بالمؤلف

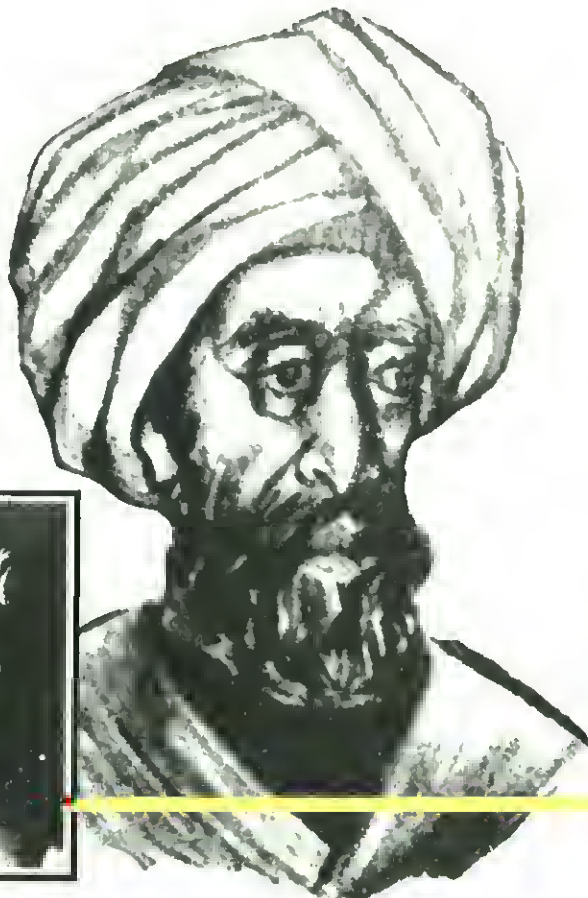
هو عمرو بن بحر بن محبوب الكناي بالولاء ، الليثي . أبو عثمان ، الشهير : بالجاحظ كبير أئمة الأدب ، ورئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة . مولده ووفاته في البصرة . فلج في آخر عمره ، وكان مشوه الخلقة . مات والكتاب على صدره . قتلته مجلدات من الكتب وقعت عليه .

عاش الجاحظ في العصر الذهبي للأمة العربية : عصر هارون والمأمون ، والعلوم والآداب والفنون يومئذ تزخر بها معاهد البصرة وبغداد والكوفة وقرطبة ، وسائر عواصم الإسلام ، ولقد عاصر الجاحظ ثلاثة ممن ضربوا بسهم كبير في وفارة الإنتاج الفكري والتأليف .

وهؤلاء هم : أبو عبيدة معمر بن المثنى ١١٠ - ٢٠٩ هـ ، وكان من أهل البصرة ، وتصانيفه تقارب مائتي مصنف ، والثاني أبو الحسن علي ابن محمد المدائني ١٣٥ - ٢٢٥ هـ ، له نحو مائتين وأربعين مصنفاً والثالث هو : هشام بن محمد الكلبي الكوفي ت ٢٠٦ هـ ، له نحو

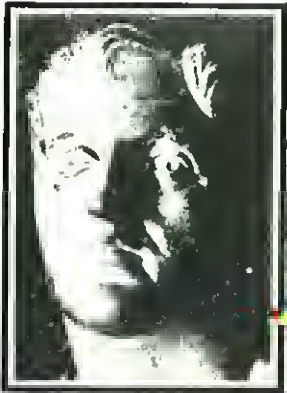
١٠٠٠ كتاب .

ولقد عاش الجاحظ ما بين ١٦٣ - ٢٥٥ هـ / ٧٨٠ - ٨٦٩ م .



★
تأليف
★

★
ترجمة
★



من مؤلفاته

خرج الجاحظ عن زهاء (٣٦٠) مؤلفاً في ألوان شتى من المعرفة ، ولقد ذهب معظمها ، من كتبه نذكر : البيان والتبيين ، سحر البيان ، التاج ، البخلاء ، الحاسن والأضداد ، ذم القواد ، تنبيه الملوك ، مسائل القرآن ، النبي والمتنبي ، جهرة الملوك ، الأصنام ، صياغة الكلام ، الاستبداد والمشاورة في الحرب ، الربيع والخريف ، المعلمين ، الجواري ، النساء ، البلوان ، المغنين .

والخليفة المأمون العباسي ، كان من قراء الجاحظ ومن المقدرين لعلمه وفضله في كتبه .

وكانت كتب الجاحظ تداع وتنتشر ، وتطير إلى الأفاق ، في حياته ، ولرغبة الملحة فيها ، ولحرص الناس على ما فيها من خير كثير .

وكان الجاحظ أول واضع لكتاب عربي جامع في علم الحيوان ، وقد كان قبله وفي عصره محاولات شتى لطائفة من العلماء . علماً بأن اليونانيين كانوا قد سبقوا العرب في التأليف في علم الحيوان ككتب : ديمقراطيس ، وأرسطاطاليس ، وأرسطو .

كتاب الحيوان

يقع هذا الكتاب في ثمانية مجلدات أنيقة ، من إصدار مكتبة الجاحظ في القاهرة ، ولقد نال هذا الكتاب الجائزة الأولى للنشر والتحقيق العلمي في المسابقات الأدبية التي نظمها مجمع اللغة العربية ١٩٤٩ - ١٩٥٠ م .

ولقد اعتمد الجاحظ في تأليفه لهذا الكتاب على خمسة أمور رئيسية :

● أولها : ينبوع الذي لا ينضب من القرآن الكريم والحديث الشريف .

● الثاني : الشعر العربي وبخاصة البدوي منه .

● ثالثها : كتاب الحيوان لأرسطو .

● رابعها : المنازعات الكلامية التي ولدها المعتزلة .

● خامسها : الخبرة الشخصية للمؤلف نفسه .

ولقد ألف الجاحظ كتابه « الحيوان » وهو في سن عالية ، والفالج الشديد وقال المصري : « ومن إحدى عجائبه أنه ألف كتاب الحيوان وهو على تلك الحال » .

المجلد الأول

بدأ هذا المجلد بمقدمة بلغ عدد صفحاتها (١٠٥) صفحات ، ولقد ذكر الجاحظ في بداية المقدمة ما يلي : « جنبك الله الشبهة ، وعصمك من الحيرة ، وجعل بينك وبين المعرفة سبباً ، وبين الصدق سبباً ، وحبب إليك التثبت ، وزين في عينك

الانصاف ، وأذاقك حلاوة التقوى ، وأشعر قلبك عز الحق ، وأودع صدرك برد اليقين ، وطرده عنك ذل اليأس . وعرفك ما في الباطل من الذلة ، وما في الجهل من القلة » .

ثم يتعرض الجاحظ لذكر عدد من المصادر والكتب والأشعار التي رجع إليها ، ولموضوعات أخرى مثل : قتل لقمان بن عاد لنسائه وابنته ، حديث سنار ، عناية العلماء بالملح والفكاهات ، أقسام الكائنات ، تقسيم النامي ، تقسيم الطير ، تقسيم الحيوان إلى فصيح وأعجم ، وسائل البيان ، ما يعجز عنه الإنسان مما قدر عليه الحيوان ، مزج الهزل بالجد في الكتاب ، نعت الكتاب ، كون الاجتماع ضرورياً ، البيان ضروري للاجتماع ، خطوط الهند ، نفع الحساب ، فضل الكتابة ، فضل القلم ، فضل اليد ، فضل الكتاب ، السباع والكتابة ، حرص الزنادقة على تحسين كتبهم ، مسجد دمشق ، صفة كتب الزنادقة ، فضل التعلم ، التخصص بضروب من العلم ، جمع الكتب ، ضروب من الخطوط ، أقوال الشعراء في الخط ، الكتابات القديمة ، فضل الكتابة وتسجيل المعاهدات والمخالفات ، الرقوم والخطوط ، الخط والخضارة ، تخليد الأمم لآثارها ، تخليد العرب لآثارهم ، طمس الملوك والأمراء آثار من قبلهم ، تاريخ الشعر العربي ، صعوبة ترجمة الشعر العربي ، قيمة الترجمة ، شرائط الترجمان ، ترجمة كتب الدين ، مشقة تصحيح الكتب ،

بين أنصار الكتب وأنصار الشعر ، ما ابتدعه الحجاج من السفن والمحمل الجہازات ، الترغيب في اصطناع الكتاب ، الكتاب قد يفضل صاحبه ، أفضل الكتب ، مواصلة السير في خدمة العلم ، كتب أبي حنيفة ، وجوب العناية بتنقيح المؤلفات ، تداعي المعاني في التأليف ، مقايضة بين الولد والكتاب ، ما ينبغي أن تكون عليه لغة الكتب ، وموضوعات أخرى .

ثم يتعرض بعد هذه المقدمة إلى باب وضعه تحت عنوان (ذكر ما يعتري الإنسان بعد الخضاء وكيف ما كان قبل الخضاء) . أما الباب الثاني فقد جاء تحت عنوان : (ذكر ما جاء في خضاء الدواب) .

وجاء الباب الثالث تحت عنوان : (باب مما قدمنا ذكره ، وبيته وبين ما ذكرنا بعض الفرق) أما الباب الرابع فقد ورد تحت عنوان (باب ما ذكر صاحب الديك من ذم الكلاب وتعداد أصناف معاليهم) وينتهي المجلد الأول الذي يبلغ عدد صفحاته ٤٨٠ صفحة بباب : (ذكر من هجا مآكل حوم الكلاب وحوم الناس) . ولقد استشهد ببعض أبيات الشعر . نذكر منها :

قال الفرزدق :

إذا أسدي جعاً يوماً ببلدة

وكان سميناً كلبه فهو آكله

وقال مساور بن هند :

بني أسد إن تحمل العام فقعى

فهذا إذن دهر الكلاب وعامها

وقال حسان بن ثابت يذكر هذيلًا :

إن شرك الغدر صرفاً لا مزاج له

فات الرجيع وسل عن دار حيان

قوم تواصلوا بأكل الجار بينهم

فالكلب والشاة والإنسان سيان

المجلد الثاني

ويقع هذا المجلد في (٣٨٣) صفحة ، ولقد خصص للحديث عن الكلب .

قال طفيل الغنوي :

أناس إذا ما أنكروا الكلب أهله

جوا جارهم من كل شنعاء مطلق

وقال : بأن جميع أصحاب المعارف قد أكدوا بأن الكلب أشد ثباتاً وأصدق حساً .

وقال أيضاً بأن داء الكلب ينتقل بالوراثة وأثبت ذلك بقصة رواها عن الأسور بن أوس بن الحمرة .

كذلك أورد الجاحظ مقابلة بين الكلب والديك ، ومقابلة بين الكلب والثعلب ، وأخرى بين العصفور والكلب وغيرها . وعن انفة الكلب قال الجاحظ : إن الكلب لا يرضى بالنوم والريوض على بياض الطريق ، وعلى غفر التراب ، وهو يرى ظهر البساط ، ولا يرضى بالبساط وهو يجد الوسادة ، ويرضى بالمطارج دون مرافق المطارج فمن نبهه في نفسه أنه يتخير أبداً أنبل موضع في المجلس ، ولقد اتخذ معاوية المقصورة لأنه رأى كلباً على منبره .

المجلد الثالث

وهو يقع في (٥٤٧) صفحة ، خصص منها حوالي ٣٠٠ صفحة للحديث عن الحمام ، وفي الصفحات المتبقية تحدث الجاحظ عن الذبآن والغربان والجعلان والخنافس ، وعن الهدهد والرخم والخفاش .

المجلد الرابع

وهو يتألف من (٥٠٣) صفحات ، تحدث فيها الجاحظ عن : الذرة والنمل ، القرر والخنزير ، الحيات ، خشاش الأرض ، وموضوعات أخرى كالقول فيما اشتق له من البيض اسم والقول في الثبرات .

المجلد الخامس

ويقع هذا المجلد في (٦١١) صفحة ، تحدث فيه المؤلف عن النار

وعن الصفد والخلاف والوفاق ، وعن الماء ، وعن مديح النصارى واليهود والمجوس والأنذال وصغار الناس ، ثم تعرض لأجناس الطيور التي تألف دور الناس ، وللعقارب والفأر والجربذان والسنور والبرغوث والبق والجرجس والشران والفراش والعنكبوت والنحل والقراد والخبازي والضأن والماعز والضفادع والجراد والقطا ثم انتهى بإيراد بعض النوادر من الشعر والحديث .

المجلد السادس

وهو مؤلف من (٥١٥) صفحة خصصت للحديث عن الضب ، وعن أسماء لعب العرب ، وعن القول في تفسير قصيدة البهراني ، وتحدث هذا الجزء أيضاً عن الأعراب الذين ادعوا بأنهم يرون الغيلان ويسمعون عزيف الجان ، ثم تعرض للأرنب ، وللهجرس ، والقنفذ والضبع والبريوع والورل وأشباه ذلك . كما تعرض إلى النوادر والأحاديث التالية :

باب نوادر وأشعار وأحاديث ، باب من القول في العرجان ، باب أحاديث في أعاصيب المماليك ، باب عن الشهب واستراق السمع .

المجلد السابع

ويتألف هذا المجلد من (٥١٦) صفحة ، تحدث في النصف الأول من هذا المجلد عن القول في إحساس أجناس الحيوان وعن اتباع الرخم والسنور والعقبان للجيوش ، وعن عادات صغار الحيوان ، وعن الثعلب والقنفذ والطيور والضب وعن الفأر والعقرب والذبذبة والأسماك ، والإبل ، والفهود ، والنسر ، والخيول ، والطيور ، وعن أسماء النجوم والروح وتحدث أيضاً عن اختلاف طبائع الحيوان وما يعثرها من الأخلاق ، وعن موضوعات أخرى متعددة مثل :

أفل الحيوان نسلًا وأكثره ، ما جاء في الفيلة ، معارف في البيض ، ضروب من العداوات ، نصوص من كليلية ودمنة ، أشراف السباع وسادتها ، الكركدن ، العنقاء ، أعاجيب الولادة ، عجائب الدلفين واللحم والكوسج ، خيل النهر ، الأسد ، الثمر ، الجاموس ، فرس الماء ، شيء من الطرف والحكم والأشعار ، الهجاء ، الزندبيل ، الجن والجان ، الناس والنسنان ، خصائص كسرى ، الذناب ، السقنقور ، الظلف ، التداوي بفرس الماء وبنات عرس ، وموضوعات أخرى .

أما القسم الثاني من هذا المجلد ، بالإضافة للمجلد الثامن الواقع في (٣٣٤) صفحة فقد خصص للفهارس المختلفة التي بلغ عددها (١٧) فهرساً .

وأخيراً نقول بأن لا يعرف فضل هذا الكتاب إلا من نظر فيه طويلاً ، وتناول نواحيه بالدرس والتبيين . فهو صورة ظاهرة لثقافة العصر العباسي المتشعبة الأطراف .

الذرية

الإلكترون :

يعتبر الإلكترون من الوحدات الأساسية المكونة لبنية الذرة ، حيث تعادل كتلته $1/1836$ من كتلة ذرة الهيدروجين ، أما شحنته فتعادل -1.6×10^{-19} وحدة كهروستاتيكية . وقد اعتبر الإلكترون أصغر وأدق الجسيمات الدقيقة لفترة طويلة ، وكل الإلكترونات متساوية الشحنة والكتلة وتشابه في لفها ، سواء كانت إلكترونات لمادة الحديد أو الماء أو الخشب أو غيرها . ويختلف عدد الإلكترونات في كل ذرة عن الأخرى طبقاً لموقعها في الجدول الدوري للعناصر لمندلييف ، الذي رتب فيه العناصر الكيميائية طبقاً لأعدادها الذرية .

وتدور الإلكترونات حول النواة ، ونظراً لحركتها الدائمة فهي لا تستقر في مدار محدد نظراً لارتباط شحنتها السالبة بشحنة النواة الموجبة ، ومن ثم فإن الإلكترونات تتواجد فيما يسمى بسحابة الاحتمال ، ولكي ينطلق الإلكترون من مدار إلى آخر لا بد من انبعثات أو اكتساب الفوتونات ، ولا يمكن تركيز الإلكترونات كلها في الذرة الواحدة في مدار واحد نظراً لاختلاف طاقاتها ، وتعتمد الخواص الكيميائية للعناصر على عدد وتركيب الإلكترونات في المدار (الغلاف) الأخير . وإذا وجهنا سيراً من الإلكترونات في مادة موصلة أو شبه موصلة فهذا هو التيار الكهربائي .

البروتون :

أحد الجسيمات المستقرة التي تدخل مع النيوترون في تركيب كل نوى الذرات للعناصر الكيميائية باستثناء عنصر واحد هو الهيدروجين الخفيف الذي تتكون نواته من بروتون واحد فقط ، وكتلة البروتون تعادل كتلة الإلكترون 1836 مرة ، أما شحنته فإنها موجبة وتساوي عددياً شحنة الإلكترون السالبة . والعدد الذري للعنصر بقدر بعدد البروتونات الموجودة في ذرته ، وهو مساو لعدد الإلكترونات الخارجية الموجودة في الذرة المتعادلة .

التريتيوم :

نظير مشع ثقيل للهيدروجين ، وزنه الذري ٣ ، وتتكون نواة التريتيوم من بروتون واحد ونيوترونين ، وفرة نصف العمر له هي ١٢ سنة ، وتعرف فترة نصف العمر بأنها الوقت الذي خلاله يتحلل نصف المادة الأصلية . والتريتيوم نظير غير مستقر ، فهو يضمحل مبعثاً إلكتروناتاً وضدبد نيوترونات ، وتحول إلى نظير خفيف للهيليوم هو الهيليوم ٣ . ويمكن الحصول على التريتيوم من المفاعلات الذرية .

وهو يشكل خطراً شديداً على جسم الإنسان بسبب نشاطه الإشعاعي القوي ، وتطاييره الزائد .



الفلورينوم .

عنصر طبيعي ثقيل من العناصر المشعة ، وزنه الذري ٢٣٦,٠٥ وعدده الذري ٩٠ ، وهو يتميز بأن فترة نصف العمر له هي أطول فترة على الإطلاق بين العناصر السطيفية المشعة ، حيث تبلغ ١٤,٥٠٠,٠٠٠,٠٠٠ سنة ، ولا يمكن استخدام الثوريوم كوقود نووي في حالته الطبيعية العادية . ما يمكن ذلك بواسطة تذفه بالنيوترونات في المفاعلات الذرية .



أشعة جاما :

إحدى أنواع موجات الإشعاع التي تصدر من نوى الذرات المشعة الطبيعية أو الصناعية ، وهي موجات كهرومغناطيسية مشعة ذات طاقة عالية ، وطول موجة قصير جداً (١٠^{-١٠} الميتر أو أقل) ومن ثم فإن قدرة اختراقها كبيرة . ولذلك فإن لها خطراً كبيراً على الإنسان والكائنات الحية . الخرسانة والرصاص وأجهزة معقدة أخرى . وتستخدم أشعة جاما في أغراض علمية وتكنولوجية كثيرة ، وهي تفييد في علاج السرطان ، وحفظ وتعقيم المواد الغذائية ، والأدوية ، وفي شتى مجالات العلم المختلفة .



الحالة البلازمية للمادة :

كلنا نعرف أن المادة يمكن أن تتواجد في ثلاث صور فيزيائية ، هي الحالة الصلبة ، والسائلة ، والغازية ، وكمثال لذلك الماء فهو يتواجد في هذه الثلاث صور (صلب : ثلج ، سائل ، غاز : بخار الماء) ، وفي الحقيقة فإن الكون الفسيح يحتوي على كميات ضخمة من هذه الصور الثلاث ، حيث يجزم العلماء أن ٩٠٪ من كل المواد التي في الكون (النجوم والكواكب والفراغات الموجودة بين هذه النجوم والكواكب) تتكون في حالة أخرى غير الصلابة والسيولة والغازية ، يطلق عليها اسم : البلازما .

وإذا سخنا غازاً لملايين الدرجات ، فإن الروابط بين الإلكترونات والنواة في الغاز تضعف وتتفكك ، وتفصل الإلكترونات ، ويحدث التأين . وإذا سخنا الغازات المتأينة ملايين الدرجات في التفاعلات النووية الحرارية نحصل على البلازما ، والبلازما وسط كهربائي متعادل ، وله قدرة على توصيل التيار الكهربائي أفضل من النحاس . وأهم استخداماتها هو إنتاج الطاقة الكهربائية مباشرة من الطاقة الحرارية .



خاصية النشاط الإشعاعي :

وهي تعني النفثت التلقائي لنواة الذرة ، عن طريق انبعاث إشعاعات جسيمية أو كهرومغناطيسية منها ، وقد اكتشف هذه الظاهرة العالم بيكريل عام ١٨٩٦ م ، والنشاط الإشعاعي إما طبيعي أو مستحث ، وينتج النوى المشع صناعياً في التفاعلات النووية ، وعموماً فإنه ينتج من تفتت النواة إشعاعياً نحوها إلى نواة عنصر آخر ، فمثلاً ينتج عن تفتت الراديوم بانبعاث جسيمات ألفا تحولها إلى غاز الرادون ، وأهم أنواع الإشعاعات هي أشعة ألفا وهي جسيمات موجبة ثبت أنها نوى عنصر الهيليوم ، وأشعة بيتا وهي جسيمات سالبة ثبت أنها إلكترونات أو جـ - وهي البوزيترونات ، وأشعة جاما . وترجع أهمية النشاط الإشعاعي إلى أنه كان المفتاح لدراسة نواة الذرة ، كما أن له تطبيقات كثيرة في ميادين العلوم والطب والتصنيع والزراعة .



الديوتيريوم :

ويطلق عليه أحياناً - الهيدروجين الثقيل - وقد اكتشف في عام ١٩٣٢ م ، ولا تختلف قشرته الإلكترونية عن قشرة الأيدروجين العادي في أي شيء ، فهي تحتوي على إلكترون واحد فقط ، غير أن نواته أثقل من نواة الأيدروجين العادي بمرتين تقريباً ، وهي تتكون من جسيمين مرتبطين ببعضهما ارتباطاً وثيقاً ، أحدهما بروتون والآخر جسيم متعادل : أي نيوترون .

ويشكل الديوتيريوم نسبة صغيرة من إجمالي الهيدروجين الموجود في الطبيعة - حوالي ٠,١٥٦٪ - من الهيدروجين الإجمالي . ومع ذلك فإنه يمكن للإنسانية أن تحصل من هذه الكمية على مصدر غير محدود للطاقة ،

حيث سيصبح في المستقبل وقوداً للمنشآت الحرارية النووية المنتجة للطاقة . ويستخدم الديوتيريوم الآن حالياً في التكنيك النووي كحادة متفجرة .



الذرة:

الذرة Atom كلمة يونانية تعني « غير قابلة للقسمة » حيث اعتقد قديماً الفلاسفة اليونانيين أن الذرات هي نهاية تفتت الأشياء ، وقد اعتبر جون دالتون الذرة وحدة بناء المادة ، وتعرف الذرة علمياً بأنها « أصغر جزء من العنصر يحمل خواصه ويدخل في التفاعلات الكيميائية » ، وهي تتكون من نواة تدور حولها الإلكترونات ، والنواة تتكون من جسم شحنة موجبة يسمى البروتون ، ومن جسم متعادل الشحنة يسمى النيوترون ، أما الإلكترون فإن شحنته سالبة ، وعدد الإلكترونات يساوي عدد البروتونات في نواة الذرة الواحدة ، لذلك فإن الذرة تكون متعادلة كهربياً ، وكل من الجسيمين أو الأجسام التي تحمل شحنتين مختلفتين في الإشارة ، ينجذب بعضها إلى بعض بقوة كهربية استاتيكية .

وهكذا فإن الإلكترون لا يطير مبتعداً عن النواة ، بل يدور حولها كما تدور الأرض حول الشمس ، منجذبة إليها بقوة الجذب ، والإلكترون يدور في مدارات محددة تماماً ، واقعة على مسافات مختلفة من النواة ، وهو بذلك يشكل القشور الإلكترونية للذرة ، ونحن نرمز إلى القشور بالحروف ك ، ل ، م ، ن ، ... إلخ ، وذلك إذا بدأنا العد من جهة النواة ، فالإلكترون الذي ينحرك في أقرب قشرة إلى النواة يسمى بالإلكترون ك ... وهكذا ، وترجع اختلافات العناصر إلى اختلاف أعدادها وأوزانها الذرية ، ويمكن أن يتواجد العنصر الواحد في أكثر من نوع من الذرات ، لها نفس العدد الذري ، ولكنها تختلف في العدد الكتلي وتسمى النظائر ، والعدد الكتلي يساوي مجموع أعداد البروتونات والنيوترونات في نواة الذرة ، وقد أمكن تحويل ذرة عنصر إلى ذرة عنصر آخر عن طريق التفاعلات النووية ، ويتج من انشطار نواة الذرة تحرر كمية هائلة من الطاقة يمكن استخدامها في الأغراض العسكرية التدميرية أو في المفاعلات النووية للأغراض السلمية .



الراديويم:

عنصر أبيض لامع ، من العناصر الطبيعية ذات خاصية النشاط

الإشعاعي ، وهو يتآكل بتعرضه للهواء ، ويمكن الحصول عليه من سلسلة من التفاعلات الذرية تبدأ باليورانيوم ٢٣٨ ، ويصعب استخلاص الراديويم من خاماته الطبيعية نظراً لاحتوائها على كميات صغيرة منه ، وترجع أهمية الراديويم إلى أنه كان أول عنصر مشع أمكن اكتشافه وفصله في صورة نقية ، حيث قام بذلك الزوجان بير وماري كوري في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي ، ويستخدم في علاج السرطان وعمل بعض أنواع الطلاء والورنيشات المضئية .



الزركونيوم:

عنصر معدني عدده الذري ٤٠ ووزنه الذري ٩١,٢٢ وله أربعة نظائر ، وهو عنصر موجود بكثرة وموزع بانتشار في قشرة الأرض ، ونظراً لشدة تفاعله الكيميائي فإنه يوجد فقط في صور مركبات ، وهو عنصر نووي هام حيث يستخدم في المفاعلات النووية كحادة إنشائية .



السيكلوترون:

جهاز اخترعه أرنست لورانس ، يمكن بواسطته زيادة سرعة جسيمات ألفا والبروتونات والديوترونات وهو كمعجل للجسيمات النووية يستخدم تياراً كهربياً ذي تردد عالي جداً وثابت ، مع مجال مغناطيسي ثابت ، وهو يستخدم في تحطيم الذرات عن طريق القذائف النووية (من بروتونات وديوترونات وجسيمات ألفا) ، أما السيكلوترون الذي يستخدم تياراً كهربياً متغيراً فيسمى السينكروترون .



الانشطار النووي:

تم اكتشاف أسرار الانشطار النووي لأول مرة عام ١٩٣٨ م ، على يدي العالمين الألمانيين : أ. هان ، وف. شتراسمان ، حيث وجد أن اليورانيوم الذي يتعرض للقذف بالنيوترونات يحتوي على الباريوم واللتانوم ، وهما عنصران أخف مرتين تقريباً من اليورانيوم ، وفي عام ١٩٤٠ م ، تم اكتشاف الانشطار التلقائي لنواة اليورانيوم ، ويرجع

ذلك إلى عدم استقرار النواة ، فكلما كانت النواة أثقل ، كلما كانت أقل استقراراً ، ويقترب انشطار اليورانيوم بانبعث نيسوترونين أو ثلاثة في إمكاناتها أن يشطر بدورها نواتين أخريين أو ثلاث ، وتزداد كمية النيوترونات الطليقة ويزداد عدد النوى المنشطرة تحت تأثيرها وتنتسار العملية كمتواليّة هندسية ، وينشأ تفاعل الانشطار المتسلسل الذي يتحقق في القنبلة الذرية . ويصحب انشطار النواة الثقيلة تحرر هائل من الطاقة ، فانشطار كيلوجرام واحد من اليورانيوم ٢٣٥ يعطي كمية من الطاقة قدر الكمية التي نحصل عليها من حرق كمية مئالة من البترول مليوني مرة .

ص

الصاروخ الفوتوني :

لقد وجد العلماء أن كمية الطاقة التي نحصل عليها من الانشطار النووي لا تتعدى ١٪ من إجمالي الطاقة الكامنة في المادة ، كما وجدوا أن طاقة الاندماج النووي لنويات العناصر الخفيفة أيضاً لا تتعدى ١٪ من الطاقة الكامنة ، ولكي يتم تحويل كل الطاقة الكامنة بالمادة إلى إشعاع ، لا توجد في الطبيعة إلا عملية واحدة هي **الفناء الزوجي Pair Annihilation** حيث تصطدم مادتان ، أحدهما كلاً منهما تحت تأثير فيزيائية معاكسة للآخر ، ومثال ذلك الإلكترون وضديده البوزيترون ، والبروتون وضديد البروتون ، حيث ينتج عن هذا الفناء الناتج من التصادم تحرر كل الطاقة الكامنة ، والتي تظهر في صورة فوتونات ، هذه الفوتونات لها ضغط ويمكن قياسه .

وقد تخيل العلماء إمكانية بناء صاروخ فوتوني ، في داخله مصنع نووي ذي قدره هائل ينتج كميات هائلة من جسيمات الهدر القديمة وأصدادها ، وتتصادم هذه الجسيمات وأصدادها في غرفة خاصة بهذه الآلة فتتبدد بعضها البعض ، وتنتج الفوتونات التي يتم تجميعها بواسطة مرآة ضخمة مركبة في ذيل الصاروخ ليتم توجيهها إلى الاتجاه المطلوب ، ويستخدم ضغط الفوتونات في دفع الصاروخ بسرعة الضوء (٣٠٠,٠٠٠ كيلومتر في الثانية) ، ولكن بناء هذه الآلة ليس سهلاً كما يبدو نظرياً ، فالخصول على أصداد المادة أمر صعب المنال ، ولكن كثيراً من الأحلام يمكن تحقيقها ، وربما لو أمكننا اختراع هذا **الصاروخ الفوتوني** في المستقبل لأمكن البشرية أن تغزو الفضاء المتناهي وتخرج من عالم المجموعة الشمسية إلى أعماق المجرة والكون .

ض

ضديد المادة

تتكون ذرة المادة من نواة شحنتها موجبة والإلكترونات شحنتها سالبة ،

ويتخيل العلماء وجود ضديد للمادة تكون النواة شحنتها سالبة . والإلكترونات شحنتها موجبة ، ولف ضديد الإلكترون - وهو البوزيترون - يعاكس اتجاه لف الإلكترون .

وقد شجعهم على هذا التخيل اكتشاف ضديدات الجسيمات ، ففي عام ١٩٣٢ م ، اكتشف العالم الأمريكي أندرسون جسيم البوزيترون في الأشعة الكونية ، وإن جاء ذلك بعد أن نبأ العالم الإنجليزي ديراك في ١٩٢٨ م ، بوجود الإلكترون ذي الشحنة الموجبة (البوزيترون) . كما أمكن للعلماء بعد ذلك إنتاج ضديد البروتون ، وأمكن تصنيف ما يعادل خمسة عشر زوجاً من الجسيمات الأولية وأصدادها حتى الآن ، وعموماً فإن ضديد الجسيم يختلف عن الجسم في الشحنة واتجاه اللف ، لكنه يساويه في الكتلة ومقدار الشحنة . وعند اصطدام جسم بضديده أو المادة بضديدها ، تتحول الطاقة الكامنة بكتلة كل منها إلى فوتونات أي إلى طاقة إشعاع .

ط

طاقة نووية :

اصطلاح يطلق على الطاقة التي تتحرر من نواة الذرة ، وهي تكون في صورتين :

● الأولى : إما بانشطار نويات العناصر الثقيلة كالـيورانيوم والبلوتونيوم .

● الثانية : وهي تكون باندماج نويات العناصر الخفيفة كالهيدروجين لتكوين عناصر ذات وزن ذري أكبر (الهيليوم) وكمية الطاقة التي نحصل عليها في هذا التفاعل تبلغ ١١٧,٥ مليون كيلوات ساعة لكل كيلوجرام من الهيدروجين ، أي خمسة أضعاف الطاقة التي نتحرر من انشطار كيلوجرام واحد من اليورانيوم ٢٣٥ .

ويمكن استخدام الطاقة النووية في الأغراض العسكرية كصناعة الأسلحة الذرية ، ويمكن استخدامها في الأغراض السلمية كتوليد الكهرباء والتدفئة وإدارة السفن .

ومن المعروف أن تفاعلات الاندماج النووي هي مصدر طاقة الشمس والنجوم حيث تتفاعل نويات غاز الهيدروجين في الشمس وتندمج معاً على غرار ما يحدث في القنبلة الهيدروجينية .

ظ

ظاهرة التحول الكهروضوئي :

ظاهرة اكتشفها العالم الروسي ستوليتوف عام ١٨٧٢ م ، حيث

تساوي سرعة الضوء (٣٠٠,٠٠٠ كيلومتر في الثانية) وهو جسم ليس له أي شحنة كهربية ، فهو متعادل كهربياً . وهو يعتبر مثالا واضحا يؤكد الطبيعة المزدوجة : الموجية والجسمية للمادة .

ق

قنبلة ذرية :

هي سلاح له تأثير انفجاري وقوة تدمير عالية ، حيث يحدث تفاعل نووي انشطاري متسلسل لنوى وقود ذري كاليورانيوم ٢٣٥ أو البلوتونيوم ٢٣٩ ، والعناصر الرئيسية في مكونات هذه القنبلة هي : شحنة الوقود الذري ، وجهاز التفجير . وجسم القنبلة ، وقبل الانفجار تكون مادة الوقود النووي في داخل القنبلة مقسمة إلى جزئين أو أكثر ، وكل جزء تكون كتلته أقل من الكتلة الحرجة ، لكن مجموع هذه الأجزاء كلها يزيد عن الكتلة الحرجة . ويصمم جهاز التفجير بحيث يمكن أن يضم هذه الأجزاء معاً بسرعة عالية جداً ، وعندما تتعدى كتلة الوقود الذري الكتلة الحرجة يتم التفاعل المتسلسل ، وينشأ الانفجار الذري الذي يكون مصحوباً بموجة انفجارية عالية وإشعاع يتسبب في تلوث المنطقة المحيطة بالانفجار ، ويتسبب في تلوث الهواء والماء والتربة . وقد استعملت القنبلة الذرية لأول مرة في الحرب العالمية الثانية ، حيث أسقطتها الولايات المتحدة الأمريكية على هيروشيما باليابان في ٦ أغسطس (آب) ١٩٤٥ م . ثم أتبعها بأخرى على ناجازاكي بعدها بثلاثة أيام .

ك

الكتلة الحرجة :

تنشط نويات العناصر الثقيلة المشعة عند قذفها بالنيوترونات ، ويمكن للنيوترونات أن تمتص في اليورانيوم ٢٣٨ كما يمكن أن تهرب دون أن تقوم بدورها في بدء التفاعل المتسلسل ، ولكي يف ذلك يجب أن يجمع في حجم معين كمية كافية من النوى القابلة للانشطار ، وهو ما يسمى بالكتلة الحرجة ، وذلك لكي يكون عدد النيوترونات المؤثرة والمؤدية إلى الانشطار أكبر من عدد النيوترونات التي تمتص أو تهرب من التفاعل .

ل

الليثيوم :

عنصر كيميائي في أول الجدول الدوري لمندليف . عدده الذري

أخذ دورقاً مفرغاً من الهواء ووضع فيه لوحين معدنيين ، وربطهما ببطارية كهربية ، وكان طبيعياً ألا يمر التيار الكهربائي ، لكنه عندما وجه ضوء مصباح زئبقي على أحد اللوحين تولد تيار كهربائي في الدائرة الكهربائية ، وعندما أطفأ ضوء المصباح توقف مرور التيار ، فاستنتج من ذلك وجود عوامل ناقلة لتيار الكهرباء في الدورق عرفت فيما بعد باسم الإلكترونات ، ولم تظهر إلا عندما توجه الضوء إلى اللوحين المعدنيين . أينشتاين في عام ١٩٠٥ م ، هذه الظاهرة وأوضح أن سر التيار الكهربائي يعود إلى انطلاق الإلكترونات من المعدن بتأثير الضوء .

ع

عداد جيجر :

جهاز صممه العالم الألماني هانز جيجر (١٨٨٢ - ١٩٤٥ م) يستخدم في قياس الإشعاعات الذرية ويتكون من أنبوبة زجاجية محكمة الغلق ، مملوءة بغاز أو بخار تحت ضغط منخفض ، وعلى محور الأنبوبة الزجاجية يوجد سلك معدني رفيع يمر داخل أسطوانة معدنية ، وعند دخول أي جسم مشع داخل الغاز يتم تأين هذا الغاز ويمكن قياسه وتوضيح كمية الإشعاع على العداد .

غ

الغبار الذري :

عبارة عن بقايا المواد المشعة التي تهبط على سطح الأرض ، والتي تنتج من جراء التفاعلات أو التفجيرات النووية ، وهو يسبب تلوثاً للبيئة ، كما يضر بصحة الإنسان حيث يسبب أمراضاً خطيرة كاللوكيميا وسرطان العظام .

ف

الفوتون :

يعتبر الفوتون كمية الطاقة الضوئية المرئية أو غير المرئية ، ولذلك يعتبر الضوء سبلاً من الفوتونات ، ولقد كان ألبرت أينشتاين أول من عرف الفوتون بدقة كجسيم وذلك في عام ١٩٠٥ م ، ويمتلك الفوتون طاقة وكمية حركة ، وهو يتمتع أيضاً بكتلة تساوي طاقته مقسومة على مربع سرعة الضوء ، غير أنه ليس له كتلة سكون ، ولذلك من المستحيل أن ننصّر الفوتون في حالة سكوت فهو دائم الحركة بسرعة

٣ ووزنه الذري ٦,٩٤ ودرجة انصهاره ٨٠٠° . لونه أبيض فضي ،
طري جداً ، ويوجد طبيعياً في عدد من المعادن ، يستخدم الليثيوم
في الفيزياء النووية للحصول على جسيمات ألفا بطاقات
مختلفة ، وعند ذلذ الليثيوم بنبوترون نحصل على نظير ثقيل للهيدروجين
(الترتيوم) ، ويمكن استخدام ديوتريد الليثيوم Lithium Deuteride
كمفجر نووي في القنبلة الهيدروجينية .



مفاعلات نووية :

المفاعل النووي عبارة عن آلة تستخدم لإحداث تفاعل الانشطار
النووي المتسلسل المستمر الذي يمكن التحكم فيه ، ويمكن الاستفادة من
الطاقة النووية الناتجة في توليد الكهرباء ، وتصنف المفاعلات حسب
الغرض من إنشائها ، أو حسب طاقة النيوترونات المسببة لانسداد
التفاعل ، أو حسب نوع مركبات التفاعل ، ويتم التحكم في التفاعل
المتسلسل بحيث يبقى دائماً عند مستوى ثابت ، ويتم تنظيم سرعة التفاعل
عن طريق قضبان التحكم ، وهي تصنع من البورون أو الكادميوم
وهما عنصران يتميزان بشدة امتصاصهما للنيوترونات ، ويستخدم
المفاعل الذري في الأبحاث العلمية والطبية ، وفي إنتاج
الكهرباء ، والمواد المنشطرة .



النيوترون :

اكتشفه العالم الإنجليزي جيمس شادويك عام ١٩٣٢م ، وهو
أحد الجسيمات الأولية التي تدخل في تركيب نواة الذرة ، وكتلة
النيوترون تعادل ١٨٣٨,٦ مرة كتلة الإلكترون ، وهو جسيم متعادل
كهربياً ، ولا يكون النيوترون مستقراً خارج النوى ، لذا يستخدم
كقذيفة نووية في المفاعلات الذرية ، ويمكن الحصول على النيوترون
عن طريق إطلاق جسيمات ألفا على عنصر البريليوم . ومتوسط عمر
النيوترون تقريباً ١٧ دقيقة .



قنبلة هيدروجينية :

وفها تنحرر الطاقة النووية الناتجة من اندماج أنوية

الهيدروجين ، التي تندمج لتكون نواة أكثر ثقلاً ، ويلاحظ أن ظاهرة
الاندماج النووي لا يمكن تحقيقها إلا عند درجات حرارة مرتفعة
جداً ، لتصل المادة إلى حالة البلازما حتى يمكن حدوث الاندماج ،
ويلزم لذلك إثارة حرارية عالية جداً حتى يمكن اتحاد الأنوية التي تحمل
نفس الشحنة الموجبة ، ويمكن الوصول إلى درجة الحرارة المطلوبة لذلك
عن طريق تفجير قنبلة ذرية توضع داخل القنبلة الهيدروجينية ، والطاقة
الناتجة عن تفجير القنبلة الهيدروجينية تعادل أضعاف الطاقة التي
نحصل عليها من تفجير القنبلة الذرية ، ويعتقد أن خليط الديوتيريوم
والترتيوم يعتبر أفضل خليط يصلح للاندماج النووي .



وقود نووي :

يطلق هذا الاصطلاح على كل العناصر الطبيعية والصناعية ، التي
يمكن لنوى ذراتها أن تحرر جزءاً كبيراً من الطاقة الحرارية ، وتستعمل
الذرات الثقيلة القابلة للانشطار كوقود ذري في المفاعلات الذرية مثل
أنوية اليورانيوم ٢٣٥ والبلوتونيوم ٢٣٩ ، أما أنوية البورانيوم ٢٣٨
فيمكنها أن تقتصر النيوترونات لتتحلل إلى عنصر النبتونيوم ثم إلى
البلوتونيوم ٢٣٩ القابل للانشطار ، وفي المستقبل عندما يتم التحكم في
التفاعلات النووية الحرارية الناتجة من اندماج نويات العناصر الخفيفة ،
عندئذ يمكن أن نعتبر نظائر الهيدروجين (الديوتيريوم والتريتيوم)
وقوداً نووياً .



اليورانيوم :

عنصر طبيعي فلزي مشع وزنه الذري ٢٣٨,٠٧ وهو عنصر جامد
لونه أبيض فضي ، درجة انصهاره هي ١١٣٠° ، ويمكن اشتعاله تحت
ضغط الجو العادي عند درجة حرارة ١١٠٠° مئوية ، وله ثلاثة نظائر مشعة
هي : اليورانيوم ٢٣٨ وتبلغ نسبته في الطبيعة ٩٩,٢٧٪ ، واليورانيوم
٢٣٥ وتبلغ نسبته ٠,٧٢٪ ، واليورانيوم ٢٣٤ وتبلغ نسبته ٠,٠٠٦٪ ،
وفترة نصف العمر لليورانيوم ٢٣٨ هي ٤,٥٠٠,٠٠٠,٠٠٠ سنة ،
واليورانيوم ٢٣٥ تعادل ٧١٠ ملايين سنة ، واليورانيوم ٢٣٤ حوالي
٢٥٠,٠٠٠ سنة ، ويمكن الحصول على عدد من نظائر اليورانيوم صناعياً
وأهمها اليورانيوم ٢٣٣ الذي ينتج من ذلذ عنصر الثوريوم ٢٣٢
بالنيوترونات . ويعتبر اليورانيوم ٢٣٨ مصدراً لسلسلة تحلل ينتج عنها
الراديوم ، وتنتهي بالرصااص ٢٠٦ ، ومن أهم خامات اليورانيوم
الموجودة في الطبيعة البتشلند والكارنوتايت .

و تعليقات

تنشره . وهناك أخيراً حالات نادرة جداً يبعث فيها بعض المرتزقة ، ولا أقول الكتّاب ، بنسختين أو أكثر من مقالة واحدة إلى مجلتين أو أكثر .

العامل الأخلاقي والعامل القانوني

إن مشكلة ازدواجية النشر التي برزت على وجه الخصوص بعد صدور مجلات تعتمد في تحريرها على الأعلام العربية من كافة بلاد العرب لا على الأعلام المحلية وحدها (كمجلات الفيصل والمجلة العربية والفكر العربي والكويت) تتضمن جانبين : الجانب الأخلاقي والجانب القانوني . فلو أن العلاقات بين الكتّاب والمجلات تقوم دائماً على أسس أخلاقية ، ونم بطرق يترفع فيها كل طرف ترفعاً وجدانياً عن محاولة الإساءة إلى الطرف الثاني ، لما كانت هنالك مشكلة ازدواجية نشر ، ومن جهة ثانية فلو أن نقابات الصحافة أو المحادات الكتّاب سئّت تشريعات لتنظيم العلاقات بين الكتّاب والمؤسسات الصحفية المختلفة حتى يقوم التعامل بين الطرفين على أسس قانونية واضحة ، تحدد واجبات وحقوق كل طرف ، وتعاقب كل تجاوز وإساءة ، لما كانت هناك مشكلة ازدواجية نشر .

وإذا كان من غير الممكن تغيير أخلاق بعض الكتّاب الذين ينسبون بازدواجية النشر لعدم تذرّعهم بالصبر أو لرغبتهم في الحصول على مكاسب سريعة آتية ، أو تبديل أخلاق بعض المسؤولين الذين يصنّون الأذان عن استفسارات الكتّاب ويصرون على عدم إعلاّمهم بمصير أعمالهم المرسلة هم ، وإذا كانت نقابات الصحافة لم تشعر حتى الآن بال حاجة إلى سن تشريعات لتنظيم العمل الصحفي ، فهل معنى ذلك أن علينا أن نقف مكتوفي الأيدي لا نحرك ساكناً حيال مشكلة ازدواجية النشر ؟ !

مقترحات عملية

إن هناك بضعة اقتراحات متواضعة رأينا أن نتقدم بها على صفحات مجلة « الفيصل » آمليّن أن تمهد السبيل أمام حل مشكلة الازدواجية :

١- الجانب الأخلاقي والقانوني في مشكلة الازدواجية للنشر

تتسابق المجلات العربية الراقية اليوم على خطب ود القارئ واجتذابه ، وهي تسعى في سبيل ذلك إلى إتخافه بأجود ما لديها من مادة سميّة تجمع بين الدقة العلمية والتشويق الصحفي . على أن كل من يحاول النفاذ إلى الأعماق السحيقة للقارئ وصولاً إلى استكناه ميوله وسبر رغباته القرائية ، يكتشف أن خير ما يرضيه ويأسر اهتمامه المادة الصحفية الجديدة التي لم يسبق نشرها في مجلة أو صحيفة أو كتاب ، أو إذاعتها عبر محطة إذاعة أو تلفزيون . فالجدة تكاد تسبق الجودة وتحتل الدرجة الأولى في سلم اهتمامات القراء .

ولكن المجالات في سعيها إلى إرضاء القارئ وتلبية تطلعه إلى الجدة وإلى إرواء عطشه إلى الاطلاع على المواد غير المألوفة بالنسبة إليه ، نصطدم بعقبة احتمال ازدواجية النشر التي لم يعد بالإمكان الاستهانة بها أو التغلب من شأنها بعد أن أصبحت محل شكوى من قبل عدد من المجالات الراقية : فقد تقوم مجلة بنشر مقال قيم ومنمّع لكاتب ما ، ثم يتضح بعد فترة أن المقال ظهر في الوقت نفسه في مجلة أخرى ، أو أن هذه قد سبقتها إلى نشره . وهذا لا يسيء إلى المجلة التي أعادت نشر المقال فحسب ، بل إن الإساءة تلحق أيضاً حتى بالمجلة التي كانت سباقة إلى نشره ، ذلك أن من مصلحة أية مجلة راقية أن تنفرد بنشر دراسة ما حتى تبقى هي المرجع الوحيد لهذه الدراسة بالنسبة للباحثين والدارسين يرجعون إليها وحدها دون غيرها عند الاقتضاء ، والدليل على ذلك أن بعض المجالات الراقية (كمجلة الفكر العربي) تحظر صراحة إعادة نشر ما نشر فيها إلا بإذن خاص منها .

وفي بعض حالات الازدواجية قد تكون المجلة مسؤولة وذلك عندما يزودها كاتب بمقال ويمر أكثر من عام دون أن تعلمه بمصيره رغم استفساره عنه . وحتى لا يفقد المقال جدته ومناسبته قد يبعث الكاتب بنسخة ثانية منه إلى مجلة أخرى . فإذا تم ذلك دون إخطار المجلة الأولى به ، تصبح إمكانية نشر المقال في المجلتين واردة .

وفي حالات أخرى يكون الكاتب هو المسؤول . وذلك عندما يبعث إلى مجلة بنسخة ثانية من مقال سبق أن أرسل نسخة منه إلى مجلة ما قبل أن تمضي فترة طويلة من الزمن وقبل أن يتأكد من أن المجلة الأولى لن

مناقشات و تهليلات

يفكرون أكثر من مرة قبل محاولتهم الإقدام على غش مجلة ما وخداعها .

● رابعاً : عندما تتعامل المجلة مع كاتب غير معروف بالنسبة لها ولم يسبق أن تعاملت معه من قبل ، يستحسن إذا نشرت له مقالاً ما أن تزخر دفع المكافأة المالية له إلى حين تأكدها في المستقبل من أن المقال لم يسبق نشره من قبل . ورغم أن من غير اللائق أدبياً أن تهبط العلاقات بين المجلة والكاتب إلى هذا المستوى ، إلا أن المهم في المرحلة الحالية الحد من مشكلة ازدواجية النشر التي تعكر العلاقات بين الكاتب والمجلات ،

وتشجيع جو عدم الثقة بينهما ، والطريقة التي اقترحناها يمكن أن تشكل رادعاً يثني بعض المرتزقة عن محاولة الكسب المادي غير المشروع بواسطة ازدواجية النشر .

بعد هذا الاستعراض السريع لمشكلة ازدواجية النشر ، وطرق معالجتها يتضح لنا أن الحل يجب أن يقع بصورة رئيسية على عاتق نقابات الصحافة التي عليها أن تسن قوانين وأنظمة مناسبة لمنع التجاوزات الصحفية ومعاقبة المتجاوزين ولكن إلى أن تتحرك هذه النقابات وتباشر مسؤولياتها في هذا المجال فإن من واجب الكاتب المخلصين والمجلات الراقية أن يتعاونوا على حل المشكلة . فعلى الكاتب أن يتذرعوا بالأناة ويساعدوا المجلات وبخاصة التي يصلها أعداد هائلة من المقالات (كمجلات الفيصل والمجلة العربية والفكر العربي وعالم الفكر) ، بالصبر وعدم التسرع ، وعلى المجلات أن تساعد الكاتب ،

بقدر ما تسمح لها إمكاناتها الإدارية ، بالرد على استفساراتهم بشأن الأعمال التي يرسلونها لها ، وعليها ألا تضيق ذرعاً بهذه الاستفسارات . وإذا أمكن القضاء على مشكلة ازدواجية النشر أو الحد منها على أقل تقدير ، فإننا على ثقة بأن مسار التعامل الصحفي سيأخذ منحى جديداً يحقق مصلحة الفكر والثقافة بشكل أفضل ، لأنه سيصبح بمقدور أية مجلة

أن تنشر أي مقال مشوق يصلها من أي كاتب في أي مكان يقيم ، حتى ولو كان كاتباً مغموراً ، دون خوف من احتمال كون المقال قد نُشِرَ في مجلة أخرى من قبل ، ودون تحشية من أي غش أو خداع . كما سيغدو بوسع أي كاتب ، مهما كان مغموراً ، أي يبعث بأي مقال إلى أية مجلة وهو على

● أولاً : طالما أن المجلات الراقية التي تحييب الكاتب عن استفساراتهم وتعلمهم بمصير أعمالهم ومنها مجلات (الفيصل وقافلة الزيت والتراث الشعبي) لا تعاني إلا بدرجة محدودة من مشكلة ازدواجية النشر ، على عكس المجلات التي لا ترد على الكاتب والتي أصبحت فيها الازدواجية ظاهرة شائعة تتكرر باستمرار ، فإن هذا يجب

أن يقنع الجميع بأن إعلام المجلة الكاتب بمصير أعماله المرسلة لها ، رغم ما ينطوي عليه من مصاعب كبيرة وما يستلزمه من جهود مرهقة ، هو وسيلة ممتازة للحد من ازدواجية النشر ، الأمر الذي يجعل من واجب المجلات التي لم تُعِد نفسها للرد على الكاتب ، أن تعيد النظر بسياساتها حرصاً على مصلحتها ومصلحة الكاتب والقراء معاً ، وإذا كانت إمكاناتها الإدارية

لا تسمح لها بذلك يمكنها أن ترد على الكاتب ضمن زاوية بريد المجلة مشيرة إلى اسم الكاتب وعنوان المقال بأحرف رمزية منعاً للحساسيات التي قد تنشأ من جراء ذكر الاسم أو العنوان الصريحين .

● ثانياً : يستطيع الكاتب الذي يتعامل مع المجلات التي ليست لديها ترتيبات لإعلام الكاتب بمصير أعمالهم ، أن يحدد للمجلة فترة زمنية معينة تنشر المجلة خلالها المقال إذا شاءت نشره ، فيكتب على رأس المقال مثلاً عبارة : « هذا المقال صالِح للنشر من تاريخ كذا حتى غاية تاريخ كذا » وبعد انقضاء الفترة المحددة يقدم الكاتب في حل من الالتزام تجاه المجلة بشأن المقال ويصبح له ملء الحق في التصرف به . وعلى المجلة في هذه الحالة ألا تشعر بالحساسية تجاه تحديد فترة زمنية لنشر المقال ، وألا تعتبر ذلك إنذاراً لها للإسراع بالنشر ، بل الأحرى أن تنظر إليه على أنه وسيلة لجأ إليها الكاتب لمنع نشوء نزاع بينه وبين المجلة بشأن المقال في المستقبل .

● ثالثاً : إذا نشرت مجلة عملاً لكاتب ثم اتضح لها أنه سبق أن نشره في مجلة أخرى ، يستحسن أن تستفسر المجلة من الكاتب عن سبب حدوث ذلك طالبة منه التبرير والتفسير ، فإذا جاء جوابه غير مقنع ، وإذا تبين للمجلة أن الازدواجية متعمدة من قبل الكاتب للحصول على كسب ، فإن من حقها عندئذ أن تشهر به وتفضحه في باب بريد المجلة أمام القراء والمجلات الأخرى . فثل هذا الإجراء كفيل بأن يجعل المرتزقة

و — تعليقات

نقطة بأن المقال سيلقى الاهتيم اللازم وأن المجلة لن ترفضه مجرد الحرف من احوال كونه قد نُشر من قبل . وفي هذا ، كما هو واضح كل الفائدة للمجلة وللكاتب والمقارئ على حد سواء .

ياسر الفهد

سورية

«كشاجم» أحواله من ديوانه

تعقيباً على مقال الدكتور محمد بن سعد الشويمير الفهم عن «كشاجم الشاعر العالم والواصف المبدع» في العدد (٣٩) من «الفيصل» ، أود أن أدرج الملاحظات السريعة الآتية لافتاً العناية إليها :

١ — إن وفاته حسب ما جاء على ظهر ديوانه المخطوط ، وحسب ما ورد في ترجمته المبصرة المصدر بها ديوانه المطبوع في بيروت بالطبعة الأنسية سنة ١٣١٣ هـ ، كانت سنة ٣٣٠ هـ (الديوان : ٣) ، وهذا التاريخ أراه الأصوب .
٢ — وانطلاقاً أرجح أن (كشاجم) لم يكن من الشعراء الذين تحلقوا حول سيف الدولة الحمداني في حلب ، ودليلي أن سيف الدولة دخل حلب مؤسساً إمارته فيها سنة ٣٣٢ هـ ، أي بعد وفاة كشاجم بنحو سنتين .

٣ — ويدعم هذا الرأي خلو ديوان كشاجم من أي إشارة إلى سيف الدولة فضلاً عن عدم تضمنه أي قطعة أو قصيدة في مديحه .

٤ — أما ما قيل عن وفاة كشاجم سنة ٣٥٨ هـ ، بدلالة مديحه لكافور ، فهذا ما ينفيه الديوان أيضاً إذ لا يحتوي على أي مديح له ، وكل ما في الأمر أنه كان لكشاجم غلام اسمه كافور فال فيه بعض المقطوعات القصيرة ، ومن ذلك المنجاء الذي يقول في أوله :

اكافور قبحت من خادم

ولاقتك مسرعة جانحة

(الديوان : ٣٢)

٥ — وفيما يتعلق بكنيته فهي لا شك «أبو الفتح» ، أما ما ذكره الدكتور الشويمير من أنها كانت «أبا النصر» فهذا يجافي الحقيقة لأن هذه الكنية كانت لابنه الذي كان شاعراً أيضاً . ولورجع الدكتور الشويمير إلى «يتيمة

الدهر» للشعالبي لتيقين من ذلك بنفسه ، ووجد بعض القطع الشعرية تحت عنوان : أنشدني أبو نصر ابن أبي الفتح كشاجم بصيذاء الشام لنفسه ... إلخ (١ : ٢٨٥) .

٦ — وهذه الكنية كانت أيضاً (لجده) السندي حيث يذكر كشاجم في نضايف قصيدة يمدح بها الرشيد (١٩) :

يا ابن مول أبي نصر السندي ركن الخلافة الموطود
وبذكر في القصيدة نفسها :

من سطور أعدها جدي السندي من حسن نقشه في النقود (مدور)

٧ — والسندي هذا كما يصرح كشاجم في شعره كان جده (....) ومن اسمه يتضح أنه كان سندياً (= هندياً = باكستانياً) (انظر بدء العلاقات العلمية بين الهند والعرب للدكتور محمد يوسف بمجلة اللسان العربي ، بنابر (كانون الثاني) ١٩٧٣ م) .

٨ — والسندي هذا أيضاً كان مولى أبي جعفر المنصور ، وكان أميراً على دمشق فأخرب سورها في فتنة أبي الهندام في سنة ست وسبعين ومائة في خلافة هارون الرشيد ، وولي القضاء ببغداد وكانت وفاته هناك ، (وترجمته في مرآة الزمان نسخة دار الكتب المصرية ، الجزء السادس ، الورقة ٤٢) .

٩ — أما بصدد (ديوان كشاجم) حيث أكاد أنتهي من تحقيقه ، أقول هنالك عدة نسخ متفرقة منه ، وثمة نسخة خطية بمكتبة الأستاذ مصطفى السقا بمصر ، ونسخة أملكها ، أما ديوانه المطبوع في زمن السلطان عبد الحميد ، في بيروت سنة ١٣١٣ هـ ، فطبعته سقيمة على ورق أصفر بحروف صغيرة غير مشكولة ، ويقع في نحو (١٨٨) صفحة وقصائده مرتبة

أجدياً ، وتدور موضوعاتها حول مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ، ووصف أجزاء القرآن الكريم ، ونجاة ولده ، وشكوى الحظ والزمان ، ووصف الثلج والطبيعة ، وبعض المغنين ، ومدح بعض الأمراء والرؤساء إلخ ...

١٠ — وأخيراً أذكر أنه كان من شعراء الإمارة التنوخية التي كانت قائمة في اللاذقية وله في بعض أمرائها قصائد عدة .

إحسان جعفر

اللاذقية — سورية

مسابقة مجلة الفيصل

شروط المسابقة وإيضاحات أخرى

- ١ - قيمة المسابقة عشرة آلاف ريال سعودي .. موزعة على عشر جوائز على النحو التالي :
 - أ - الجائزة الأولى ٢٠٠٠ ريال
 - ب - الجائزة الثانية ١٥٠٠ ريال
 - ج - الجائزة الثالثة ١٠٠٠ ريالإلى جانب سبع جوائز مالية قيمة كل جائزة (٥٠٠ ريال سعودي) ، وعشر جوائز أخرى قيمة كل جائزة (٢٠٠ ريال سعودي) .
- ٢ - المطلوب الإجابة على جميع الأسئلة .. ورافقها مع قسيمة العدد الخاصة بالمسابقة موضحاً عليها الاسم ثلاثياً أو رباعياً - إن أمكن - مع وضع العنوان بوضوح لضمان وصول قيمة الجائزة إلى المشترك في المسابقة حالة الفوز .
- ٣ - ترسل الإجابات على العنوان التالي :
(الرياض - المملكة العربية السعودية - مجلة الفيصل - ص . ب (٣) المسابقة) .
مع ذكر رقم المسابقة على الغلاف من الخارج .
- ٤ - أية إجابة تصل بعد ٤٥ يوماً من صدور العدد لا يلتفت إليها .
- ٥ - من حق القارئ أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة على شرط ارفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة .



السؤال الأول :

أنشأ المسلمون العرب أعظم جسر في بريطانيا أقيم على نهر « التاميس » في عهد أحد الخلفاء الأمويين . . ما اسم هذا الجسر . . ولماذا أطلق عليه هذا الاسم ؟

السؤال الثاني :

أين تقع مراكز السمع ، والشم ، والتذوق ، والإحساس في الإنسان ؟

السؤال الثالث :

إلى أين يرجع أصل فنود الحمر ؟

السؤال الرابع :

اذكر أسماء مؤلفي الأعمال التالية :

البرصان والعرجان والعميان والحولان - الربع الخالي - بيجاليون - رصف المباني في شرح حروف المعاني - تاجر البندقية .

السؤال الخامس :

ضرر العقل عند الإنسان . . لماذا أطلقت عليه هذه التسمية ؟



قسمة
مسابقة مجلة
الفصل
العدد (٥٢)

الاسم :
المهنة :
العنوان :

● نتائج مسابقة العدد الخامس والأربعين ●

- فازت بالجائزة الأولى وفيمتها (٢٠١١) ألفي ريال سعودي من منطقة الرياض الأخت مسبرة ناصر إبراهيم الغنام.
- وفاز بالجائزة الثانية وفيمتها (١٥٠٠) ألف وخمسمائة ريال سعودي الأخ دباب محمد وعنوانه 81 شارع منصور الذهبي / سوف أرباء الغرب - المغرب.
- وفازت بالجائزة الثالثة وفيمتها (١٠٠٠) ألف ريال سعودي من دمشق - سورية الأخت بدرية غالب خطاب.
- وهناك سبع جوائز قيمة كل جائزة (٥٠٠) خمسمائة ريال سعودي فاز بها الإخوة والأخوات الأتية أسماءهم:
- الأخ سهل السلاوي وعنوانه 155 نهج المنجي سليم . صفاقس - تونس.
- الأخ حسين إلياس إبراهيم وعنوانه : دولة قطر ، قيادة الشرطة ، قسم شرطة أم سعيد ، ص . ب (٩٢٠).
- الأخ السيد عبد اللطيف السيد محمد وعنوانه : بور سعيد ، مساكن ناصر ، سوكن (٤) شقة (٢) مصر.
- الأخت ندى سالم سليمان سالم من وادي السير - الأردن.
- الأخ محمد أحمد مكبة ، بواسطة أحمد مكبة . ملبك - لبنان.
- الأخ وليد سليمان جليوط جامعة حلب ، كلية الطب - سورية.
- الأخ عازف نومان الخبوي ، لتوتية حطين ، سككا - الجوف.
- بالإضافة إلى عشر جوائز قيمة كل جائزة (٢٠٠) مائتي ريال سعودي فاز بها الإخوة والأخوات الأتية أسماءهم:
- الأخ الشاعر عزيز وعنوانه : الخش النائي ، رقم الدار 148 ، نطوان - المغرب.
- الأخت نفيسة علي محمد خير من الخرطوم - السودان.
- الأخ خميس سالم أبو زور من المنيا ، أرض سلطان . عمارة سيد بهجت شقة (١٠) مصر.
- الأخ عبد الزهرة عبد الجبار علي من البصرة . عشار حلة القيمية ، رقم الدار ٥٣/١٩١ دور الشركة - العراق.
- الأخت عائشة كنونة من الجزائر كلية اللغة والأدب العربي .
- الأخ موسى مروان موسى من دبي ، الإمارات العربية المتحدة ، ص . ب : (١١١٣) بواسطة السيد محمود جرادات .
- الأخت منال أحمد خليل المنصور من المنامة - البحرين .
- الأخ محمد صلاح عبده من عمان ص . ب (٢٣٠٥٦) الأردن .
- الأخ محمد محمد كامل عاشور ، بلدبة بجرجي ، بلجربي .
- الأخ عبد القادر ديب ، ص . ب (111) أدرار - الجزائر .

● أجوبة مسابقة العدد الخامس والأربعين ●

- ج ١ الزهراوي (٣٢٤ - ٤١٤هـ) أحد أطباء العرب ... لقب بأبي الخراجه بين أطباء عصره .. وقد نال هذا اللقب لأنه عقم آلانه الخراجية بمادة الصفراء ، وقام بجراحة صابونة الركبة ، واستخراج الحصاة من المثانة ، وشفق القصبه أهوائية ، وتوسيع الرحم .. الخ .
- ج ٢ كانت نهاية الصليبيين في الشام على يدي الملك الأشرف خليل بن المنصور قلاوون ، حيث حاصر عكا وفتحها سنة ٦٩٠هـ . ثم صور وصيدا وبيروت .
- ج ٣ خط الاستواء السماوي : دائرة وهمية على الكرة السكونية في مستوى خط الاستواء الأرضي .
- ج ٤ أعدى من السليلك .. وأعدى من الشنفري : تعني سرعة العدو لشهرة السليلك بن السلركة ، والشنفري بسرعة العدو ، وهما شاعران معلوكان جاهليان .
- ج ٥ أعذني رب من حصر وعي ومن نفس أعجزها علاحا
- قائل هذا البيت التمر بن تولب .
- ج ٦ «ديوان الأشعار الستة» .. من كتب التراث حسب رواية الشنتمري عن الأصمعي .. والشعراء الستة هم : امرؤ القيس ، والنابغة الذبياني ، وعنفة ، وزهير . وطرفة ، وعنترة .
- ج ٧ البعوب : ذكر الحبل ، والبرقة : طور مبكر من أطوار الخو في الحيوانات التي يتغير نسيجها تغيراً كبيراً عندما تصل إلى طور البلوغ .
- ج ٨ فلبوم عنصر غزي بالغ الخفة لا لون له يستخدم في المناطيد لأنه أخف من الهواء وعبر قابل للاحتراق أو الانفجار .
- ج ٩ حرزت الأرض ذهب بناب فحط أو جواد وصارت جرداء فهي جُرُز . وقد ذكرت في القرآن الكريم في سورتي السجدة : ٢٧ والكهف : ٨ .
- ج ١٠ المقصود بقول العنبي «طاقة الشمس» هو الطاقة الإشعاعية التي تصل إلى الأرض من الشمس . ومن العوامل المؤثرة : بعد الشمس من الأرض ، وطول النهار ، وحالة الجو ، وزاوية التعرض .

TELEX 202600 DRFATH SI

مجلة ثقافية شهرية
تصدر عن
دار الفیصل الثقافية

الرياض - المملكة العربية السعودية
مجلة آلفين
ص.ب (٣)
هاتف : ٤٦٥٣٠٢٦ - ٤٦٥٣٠٢٧
تلكس ٢٠٢٦٠٠ DRFATH SJ

Belgium	BF	200
Denmark	DKR	30
Finland	FMK	30
France	FF	15
F.R.G.	DM	10
Greece	DR	100
Italy	L	4000
Netherlands	DFL	10
Norway	NKR	30
Pakistan	RS	10
Portugal	ESQ	100
Spain	PTS	150
Sweden	SKR	30
Switzerland	SF	15
United Kingdom	£	2
U.S.A.	\$	5

للافراد ١٥٠ ريالاً سعودياً
لغير الافراد ٢٥٠ ريالاً سعودياً
ترسل قيمة الاشتراك باسم مجلة الفصل

Personal Subscription : S.R. 150
Others : S.R. 250

PAYABLE TO AL-FAISAL MAGAZINE

ريالات	٨	المملكة العربية السعودية
فلس	٦٠٠	الكويت
دراهم	٧	الامارات العربية المتحدة
ريالات	٦	قطر
فلس	٥٠٠	البحرين
بسة	٦٠٠	سلطنة عمان
فلس	٤٠٠	الأردن
ريالات	٦	ج . ع . اليمنية
فلس	٨٠٠	ج . ا . اليمن الديمقراطية الشعبية
مليم	٣٠٠	مصر
مليم	٣٠٠	السودان
دراهم	٥	المغرب
مليم	٥٠٠	تونس
دنانير	٥	الجزائر
فلس	٤٠٠	العراق
ليرات	٥	سورية
ليرات	٥	لبنان
درهم	٨٠٠	ليبيا

[illegible]